الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد (١٩٣) - رجب ١٤١٣هـ - (يناير) ١٩٩٣م
AL FAISAL MAGASINE ISSUE (193) JAN. 1993

ألعاب أولمبية بين سكان الكواكب



يحيى حقي
وهج الصدق الذي رحل

العالم في التسعينيات إلى أين؟!

في آسيا الوسطى
عالم إسلامي جديد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي ورجائي

الحمد لله القديم الاول، الذي لا يزول ملكه ولا يتحول، خالق
الخلايق، وعالم بدقايق الحقايق، مفني الامم، ومحيي الرمم
ومعيد النعم ومبيد النقم، وكاشف الغمم، وصاحب الجود
والكرم، لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون
اشهد ان لا اله الا الله هو تعالى عما يشركون، واشهد ان سيدنا
محمدا عبده ورسوله الى الخلق اجمعين، المنزل عليه نبا القرون
الاولين صلى الله عليه وعلى اله ما تعاقبت الليالي والايام
وتداولت السنين والاعوام وبعد فيقول الفقير عبد الرحمن
ابن حسن الجبرتي الحنفي غفر الله له ولوالديه واحسن اليهما واليه
اني كنت سودت اوراقا في حوادث اخر القرن الثاني عشر وما يليه
واوايل الثالث عشر الذي نحن فيه جمعت فيها بعض الوقايع اجمالية
واخرى محققة تفصيلية وغالبها محن ادركناها وامور شاهدناها
واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن افواه الشيخة تلقيتها
وبعض تراجم الاعيان المشهورين من العلما والامرا المعتبرين وذكر لمع
من احوالهم وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم فاحببت جمع شملها
وتقييد شواردها منسقة النظام مرتبة على السنين والاعوام

ليسهل

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

ملاحظات عامة

- □ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
- □ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.
- □ أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم
- □ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها
- □ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.
- □ تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

- □ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- □ يجوز الاقتباس من موضوعات المجلة أو إعادة النشر دون إذن مسبق على أن تُذكر كمصدر.
- □ ترحب المجلة بتعليقات القراء ومناقشاتهم لما يُنشر فيها

مجلة الفيصل — العدد (١٩٣) — رجب ١٤١٣هـ — السنة (١٧) — كانون الثاني (يناير) ١٩٩٣م

إطلالة

هُويتنا الثقافية

خصوصية الذات في مواجهة الآخر

برغم تعدد الثقافات البيئية وتنوّعها داخل الدول الإسلامية، إلاّ أن مجتمعنا المسلم - في نسقه الكلي - له هُويته النابعة من خصوصيته المتميزة والمتمايزة في الوقت نفسه، تلك الخصوصية المتفردة المستمدة من الإسلام الذي بلغت تشريعاته غاية الكمال الرفيع لخير الإنسان وصلاحه على هذه الأرض، والتي جعلت الحقوق الأساسية والحريات العامة جزءًا لا يتجزأ من الدين؛ لا يملك أحد تعطيلها كليًّا أو جزئيًا أو خرقها أو تجاهلها أو إهمالها أو العدوان عليها، فكل إنسان مسؤول عنها بمفرده، والأمة مسؤولة عنها بالتضامن، وذلك كله وفق معانٍ وأحكام معيارية توجّه وتقوّم سلوك كلٍّ من الفرد والمجتمع على السواء.

وبرغم هذه الخصوصية لمجتمعنا المسلم وثباته جوهرًا، وتميّزه فكرًا، ورحابته إنسانية، إلاّ أن كثيرين في مجتمعنا المسلم - للأسف - وقعوا أسرى وَهْم بتصدع الذات في مواجهة هيمنة الآخر؛ الذي يمثل الغرب باستعلائه وتضخيمه ذاته، واعتبار «الآخر/ الغرب» أصلا والآخرين (سواء نحن أو غيرنا من غير الغربيين) مجرد صور وأصداء ونُسخ مشوهة منقوصة ومهمشة وغير قابلة للتحقق دون الاتكاء على ذلك الآخر.

وقد ساعد على هذا الاستلاب ما عانته دول إسلامية متعددة من سيطرة أجنبية وهيمنة استعمارية مارس فيها «الآخر/ الأجنبي» صنوفًا من التضييق على التعليم والتعبير الثقافي والفكر الإسلامي بشكل عام - بجانب المجالات الأخرى جميعها - في محاولات مستميتة لاستئصال هذا الفكر والقضاء على خصوصيته وتميزه، وبالتالي ضياع هذه الهُوية المتفردة.

وحتى بعد حصول أغلب هذه الدول على استقلالها ظلّ الأجنبي مخترقًا وعيها في شبكة معقدة من العلاقات والممارسات؛ سواء عن طريق ما نستعمله من أدوات تحمل مدلولات ثقافية غريبة صدّرها إلينا ذلك «الآخر/ الأجنبي» أو هجرات خارجية إليه أصبح أثرها واضحًا في نفوس مهزومة كان قد لازمها فراغ ثقافي خطير، أو لعله تلك الحرب اليومية عبر وسائل إعلامه الدولي: صحفا ومجلات وشبكات إذاعية وتلفازية.

الخطير هنا - والمؤسف في الوقت نفسه - أن هذه العلاقات والممارسات والهجمات الإعلامية بدأت تأخذ لدى نسبة ملموسة في بعض المجتمعات طابع الإعجاب، ونأمل ألا يتبعه تقليد يؤدي إلى إذابة الخصوصية وضياع الهوية لا سمح الله. في حين أن إنسان هذا «الآخر/ الغرب» المعاصر يعاني إحباطات متعددة واغترابا وشعورا بالضعف على المستوى الفردي وعدم انسجام مع مجتمعه ومظاهر غير سوية في الحياة وفي السلوك.

إن في مورثنا الفكري رحابة تبيح لنا الأخذ بما سبقنا به غيرنا من ثمرات الفكر الإنساني والتقدم العلمي والتقني مما يغني شخصيتنا دون أن يمحوها، وما يزيدها ثراءً وصقلا دون أن يذيبها، على ألا ننسى فكرنا الأصيل وتميزنا وخصوصيتنا. والله أسأل الثبات والعون.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

● المراسلات

مجلة «الفيصل» ص. ب. (٣) الرياض: ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية.

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - تلكس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية: المملكة العربية السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان ٦٠٠ بيسة - الأردن ٤٠٠ فلس - الجمهورية اليمنية ٦ ريالات - مصر ١٠٠ قرش - السودان ١٠٠ قرش - المغرب ٥ دراهم - تونس ٥٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ١٠ ليرات - ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل».

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● ALL CORRESPONDENCE TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027. Telex: 402600 DRFATH SJ. Telefax: 4647851.

● EUROPE - AMERICA - ASIA:

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

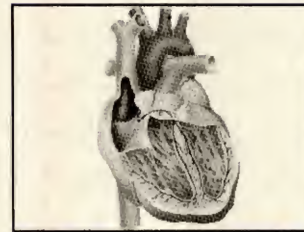
في هذا العدد



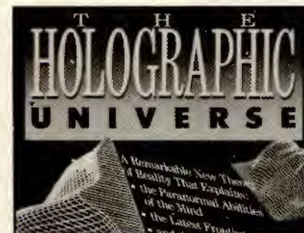
ص ٥ الناقد د. عبد القادر القط وحديث عن: البنيوية، والنقد العلمي، وموقف المبدعين من النقاد.. وقضايا أخرى.



ص ٦٧ المحلة الكبرى إحدى أهم قلاع صناعة النسيج وأقدمها في دلتا مصر.. وربما في العالم.



ص ٧٣ الذبحة القلبية.. مرض لا تسببه جرثومة أو فيروس، بل نوع الحياة التي نحياها.



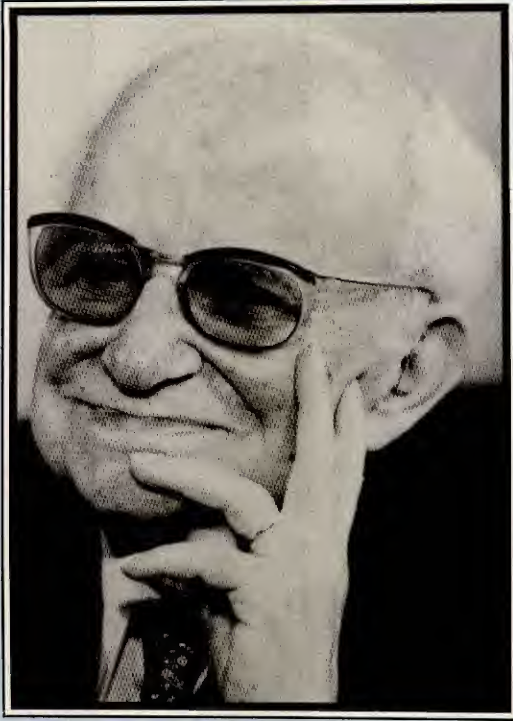
ص ٩٩ الكون الهولوجرافي.. وتفسير ما لم يستطع عقل الإنسان تفسيره.

إطلالة .... د. زيد بن عبد المحسن الحسين ٣
يحيى حقي وهج الصدق الذي رحل .... د. مرعي مدكور ٥
الجملة الاعتراضية عند يحيى حقي .... د. عبد الفتاح عثمان ٦
يحيى حقي بقلم يحيى حقي .... عرض: عبد الرحمن شلش ٨
أدبنا سعودي في عيون الآخرين (٣) .... د.: منصور الحازمي ١٠
مراعاة الحالة النفسية في الكلام .... محمد الرابع الحسني الندوي ١٣
ومضى الصبا (قصيدة) .... معتز أبو شقير ١٥
الشاعر غازي القصيبي وهذا التوحد بين الفن والصحراء .... محمد محمود عبد الرازق ١٦
كيف يقودنا العقد الأخير إلى القرن القادم؟ .... إعداد: رجب سعد السيد ١٩
رحلة وراء الكتب .... محمد بن عبد الله الحمدان ٢٢
عند أهل الكتابة: الطبع والتكلف .... د. عبد الله الحامد ٢٣
صناعة الفُرقة .... محمد رواس قلعة جي ٢٦
القوس العربية: تاريخ وفن وانتصارات طويلة .... عيد ضيف العيادي ٢٧
العالم يُغنِّي.. العالم يضحك! .... د. محمد عبد العليم مرسي ٣٠
هل أنت مستمع جيد؟ .... أحمد محمد عيسى ٣٢
غبَّر وجهه (قصة قصيرة) .... محمد حمد الصويغ ٣٤
في آسيا الوسطى: المسلمون قادمون .... محمد سلامة ٣٥
جوته.. أسير الشرق الفاتن .... د. حسن الأمراني ٤٠
الشرق في عيون الغرب ٤٢
رحلات حول العالم (٢٥) .... الشيخ حمد الجاسر ٤٣
الآخر (قصة قصيرة) .... تأليف خورخي لويس بورخيس، تعريب د. محمد أبو العطا ٤٧
حوار مع الناقد الدكتور عبد القادر القط .... حوار: صالح خيري ٥٠
بين طه حسين وزكي مبارك .... د. محمد رجب البيومي ٥٢
باب نوبل!! .... د. محمد بن سعد الشويعر ٥٥
قصة إسلام ابن غاندي (الطريق إلى الله) ٥٦
طريق الهدى .... الشيخ د. صالح بن سعد اللحيدان ٥٨
تجربة إبراهيم ناجي مع الشعر (من تجاربهم) .... أسامة الألفي ٥٩
بزوغ (قصة قصيرة) .... مصطفى الأسمر ٦٢
ليلة الزفاف (قصة قصيرة) .... رفقي بدوي ٦٣
من المكتبة السعودية ٦٤
المحلة الكبرى: قلعة صناعة النسيج في مصر .... أحمد توفيق مصطفى بصل ٦٧
الوقاية من الذبحة القلبية: هل هي ممكنة؟ .... د. حسان شمسي باشا ٧٣
حقائق وغرائب ٧٦
العربية إلى أين؟ .... د. عبد الله حامد حمد ٧٨
العرب وإعادة اكتشاف أمريكا .... ناصر عبد الرازق الموافي ٨٠
البحث عن الطمأنينة سبب الارتداد إلى الطفولة.. بقلم ليليان ج. كاتر، ترجمة نجلاء حسن حامد ٨٢
ضوابط للإعلان: كيف ولماذا؟ .... د. شمس شعبان ٨٣
الحرمان العاطفي للطفل .... د. تماضر حسون ٨٧
الألعاب الأولمبية بين سكان الكواكب! .... بقلم: إيان ستيوارت، ترجمة عدنان عضيمة ٨٨
«قرية ظالمة» وأزمة الضمير الإنساني .... عبد المنعم مجاهد عبد الوهاب ٩٢
إرهابيون.. لماذا؟ .... صالح عبد العزيز السالم ٩٥
الدراما بين المسرح الشعري والقصيدة .... أحمد سويلم ٩٦
دينار نادر لسلطان مملوكي .... صلاح أحمد البهنسي ٩٨
الكون الهولوجرافي (نافذة على الثقافة الغرب) تأليف مايكل تاليوت، عرض وتقديم الحديدي ٩٩
الخال فانيا (من قضايا المسرح العالمي) .... د. محمد أبو بكر حميد ١٠٤
مدن سعودية - ١ (دائرة المعارف) ١٠٧
استراحة العدد ١١٢
الجليلة .... محمد علي الجفري ١١٣
كتب وردت إلى المجلة ١١٤
تاجر البندقية المنتظر .... د. حسن ظاظا ١١٥
الحركة الثقافية في شهر ١١٦
المسابقة ١٣٠
مناقشات وتعليقات ١٣٢
خطر البَرْوَزَة (على موعد) .... د. عبد الحميد إبراهيم ١٣٦
كشاف العدد ١٣٧

يحيى حقي

وهج الصدق الذي رحل..

بقلم: د. مرعي مدكور


يحيى حقي

رحيل أنشودة البساطة؛ يحيى حقي؛ منذ أسبوعين تفقد الساحة الفكرية عندنا واحدا من أهم أصحاب الأساليب، وأصدقهم في الأدب العربي المعاصر. .

كيف لا ؟وقد انخرط هذا الكاتب المدقق في البيئة الشعبية فانعجن وانخبز في حارة الميضة بحي السيدة زينب في مصر [ناسيا المورة وتركيا «وقنعرة» الأجانب في ذلك الوقت] ليصبح ـ صاحب الوجه الأبيض المورّد ـ ابن ذلك الحي الشعبي مائة في المئة، معترفًا أنه «صحيح من أصل تركي، ولكن هذه البلد التي تُسمى مصر لها قدرة غريبة على الامتصاص والاستيعاب وأكْل كُل أجنبي عنها بحيث لا يستطيع الفكاك منها، ولو عصروني في معصرة قَصَبٍ فلن تخرج مني نقطة تركية». وقد كان أخذ من المصريين فكاهتهم ودعابتهم وسخريتهم حتي من أنفسهم [كان يسخر من قصر قامته ويوقّع بعض مقالاته بـ«قصير»] وميلهم إلى البساطة والتوقف عن الاسترسال في اللحظات البسيطة الضاحكة، واضعين أيديهم على قلوبهم متسائلين : «اللهم اجعله خيرًا».

زرته في منزله في مصر الجديدة ـ منذ ستة عشر عامًا ـ وصديقاي القاص المصري محمد الشريف والناقد الجزائري عز الدين المخزومي الذي كان يعد وقتها دراسة للماجستير في آداب القاهرة موضوعها : يحيى حقي ناقدا، وكانت فرحته كبيرة أن يرى ناقدًا من قطر عربي يهتم بالجانب الآخر غير المعروف عنده فيدرس كتاباته النقدية المنتشرة في الصحف البسيطة مثل «جريدة العمال» وصحيفة «المساء»، خاصة تلك التي وقّعها ـ العم يحيى ـ تحت أسماء مستعارة، منها :

- عبد الرحمن بن حسن (المؤرخ المصري الشهير «الجبرتي»)
- لبيب
- شاكر فضل الله
- أبو شنب فضة
- قصير
- يحيى
- ي

وعندما اصطحبناه إلى حارة الميضة تورّد وجهه وانساب ضاحكا في صفاء قائلاً : «كانت أحلى أيام»، ومع رشفات الشاي طلب سماع قصة، ولما شرعت في قراءة واحدة ـ نشرتها في ذلك الوقت ـ بعنوان (من حديث الحب والحرب) قاطعني في ود : قرأتها وأحب سماعها منك، ولكن وسعها على نفسك يا أخي واحذف أربع الكلمات الأولى منها «قلت لمن يعبرون الضفاف : خذوا وردة من جراحي وغنّوا لمن للمت كل حزني وصارت لعمري حلمه، وأخبروها بأني أتيت»، والتفت باسما : «لماذا قلت لمن يعبرون الضفاف . . ؟» ولما وافقته كان في الامتنان والفرح مثل طفل صغير، وقال «هذا هو الفن» ! وهكذا لم ينس ـ لحظة واحدة ـ اهتمامه باللغة العربية وبالأسلوب الذي يعتمد على تحديد المعاني واختيار ألفاظ «حتمية» بحيث لا يكون المكان صالحًا إلا للفظ واحد بعينه، وهو ما كان يقول عنه أنه «الأسلوب العلمي في الأدب» هذا الأسلوب الذي فرض عليه أن يخالف ما اعتاده غيره من «ثرثرة» و«لتّ» و«عجن» وأن يصمت عندما وجد أنه سيكون آنذاك صادقا مع نفسه.

فبعد آخر كتبه : «ناس في الظل/ ١٩٧٤م» صمت ورفض ممارسة الكتابة بأنواعها صائحا دون خجل : قلت كل شيء ولم يعد عندي ما أقوله» حتي لا يتناقض مع نصيحته للقارئ «أن يتأمل لنفسه بنفسه كيف يدب الخداع والكذب في المؤلفات التي تسعى وراء استرضاء الجمهور».

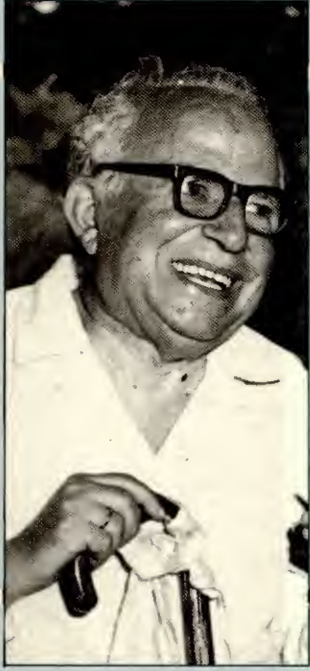
وهكذا نال التقدير بصدقه ورؤيته ـ كما قالت حيثيات جائزة الملك فيصل العالمية في منحها له ـ أن الفن لا قيمة له إن لم يكن إيمانًا وتواصلاً يدفعان الحياة ويضيفان الجمال والأمل».

كان صادقًا مع نفسه ـ أولا ـ فتواصل القراء والمبدعون معه.

صحّ النوم

وتوظيف الجملة الاعتراضية عند يحيى حقي

بقلم: د. عبد الفتاح عثمان



حينما نال شيخ كتاب القصة العرب يحيى حقي جائزة الملك فيصل العالمية في الإبداع الأدبي ركزت اللجنة في تقريرها على لغته القصصية التي تتسم بالرصانة والشفافية والمزج بين التراث العربي والموروث الشعبي في ظل اهتمام دائم باللغة العربية الفصحى التي اعتبرها عشقه الأول وهمه الوحيد !

ويلاحظ الدارس ظواهر أسلوبية بارزة تتميز بها لغة يحيى حقي القصصية منها مهارته في السرد الوصفي، واستخدامه التشبيه في إبراز المعاني وتجسيدها، وتوظيف المفارقة التصويرية في بيان المفارقات بين الأشياء، ثم التركيز اللافت على الجمل الاعتراضية بحيث لا تكاد تخلو صحيفة، أو لوحة وصفية، أو مشهد درامي من وجود جملة اعتراضية تبرز بين السطور لتضيف معنى جديدا أو تنفي معنى محتملا، أو تستدرك على شيء فات، وذلك في زخم المعاني المتصلة التي تتوالد وتنمو وتتآزر في بنية السياق.

وسنحاول في هذا المقال دراسة الظاهرة الأخيرة، وأعني بها توظيف الجملة الاعتراضية في التعبير القصصي.

نماذج راقية

إن توظيف الجملة الاعتراضية لتحقيق بعض المعاني التي يريد الأديب التعبير عنها داخل إطار النسق اللغوي المتصل ليس بالأمر الجديد، فقد عرف تراثنا الأدبي هذه الظاهرة الأسلوبية، وترددت في أرقى نماذجه، وهو القرآن الكريم، كما تكررت عند بلغاء العرب وفصحائهم، خاصة الجاحظ، مما جعلها تفرض نفسها فرضًا على ميدان الدرس البلاغي، ولكن استخدامها في الأسلوب القصصي على هذا النحو من الكثرة والتنوع بحيث يعد لازمة أسلوبية لم يُعرف إلا عند يحيى حقي، فقد وظفها توظيفا فنيا، واستطاع من خلالها أن يعبر عن الكثير من المعاني، ويدعم أسلوبه القصصي بطاقةٍ جديدة توسع مداه، وتعطيه دفعة قوية من النشاط والحيوية، غير أن الإسراف في استخدامها قد يلحق ضررا بليغا بالبناء القصصي، لأنه يوقف حركة الصراع الدرامي، ويشتت انتباه القارئ، ويفقد السياق اللغوي حرارته واندفاعه وتماسكه !

ويمكن أن نأخذ قصة « صحّ النوم » مثالا صالحا لدراسة هذه الظاهرة الأسلوبية، فقد أكثر من الجمل الاعتراضية مريدا بها معاني عديدة تتنوع حسب السياق اللغوي، فقد تكون للتنبيه وإضافة معنى جديد له مزيد ارتباط بالسياق، وفي الوقت نفسه يمهد للأحداث ويكشف عن طبيعتها، كقوله في أول القصة : «**فقال أبناء قريتنا - وسترى من قولهم أنهم أهل ظرف وتسامح وطيبة - أن المهندس كان إمّا حنبليا فرسم الخط بالمسطرة لم تلتفت عينه يمنة أو يسرة فلم تع رأسه المملوءة بالطنين أو الألحان نداء قريتنا إليه : إننا هنا - يا أخي - على بعد فركة كعب من خطك**» (الرواية ص ٨).

خدمة المواقف

فالجمل الاعتراضية التي وضعها بين القول ومقول القول تضيف معنى جديدا يرتبط بالموقف ويخدمه، وهو تقديم الصفات التي يتمتع بها أهل القرية، والتي ستتكشف من خلال الأحداث، ومواجهة المواقف فيما بعد.

كما أن الجملة الاعتراضية التي ختمت بها الفقرة وهي - يا أخي - فيها إشارة وتنبيه إلى ما كان ينبغي أن يفعله المهندس مراعاة لحق الإخوة من العدل، وعدم الجور على حقهم، بل إن هذا الاعتراض يتضمن عتابًا يحمل سماحة أهل القرى وتقاليدهم في مواجهة مثل هذه المواقف.

وقد تجيء الجملة الاعتراضية في صورة حسية يتجسد بها المشهد ويتأكد المعنى، وذلك عن طريق التشبيه الاعتراضي، كقول الراوي واصفا أهل القرية : «**وأهل القرية أسرة واحدة كبيرة معروفة بالكسل، قليل تنقل أفرادها، ولكن إذا جاء النداء هبت جماعتهم - كما ينطلق سرب الطيور المهاجرة فجأة من على الشجرة - وسافرت لحضور مولد السيد ووفاء النذور**» (ص ١٣).

○ ظواهر أسلوبية بارزة تتميز بها لغة القص عند هذا الكاتب

وقد تتردد الجمل الاعتراضية في السياق مفرغة شحنات معنوية تدعم الفكرة التي يريد التعبير عنها، ويتخفف منها في زحمة الأفكار التي تتفاعل وتتدافع في رأسه كقول الراوي عن حياة القَصَّاب: « **وفي حياة القَصَّاب مأساة أليمة لعلها هي أيضا ممّا يجذبني إليه يتحدث عنها أهل القرية سرا، بعضهم يعلم بها ولا يتتبع أخبارها تاركا الرجل لِحَظِّه لا يحكم عليها بشر أو بخير، وبعضهم يتشمم أنباءها ـ ساخرا من الرجل القوي كيف يستخذي ومن القَصَّاب يصبح خروفا ـ وبعضهم ـ وهم قلة ـ تزيدهم هذه المأساة محبة للرجل وإعزازا، والعجيب أن نساء القرية ـ وإن لم يجهرن برأيهن ـ هنّ من هذاالنفر الأخير** » (ص ٢٢).

لكن ينبغي القول بأن **تتابع الجمل الاعتراضية في الفقرة الواحدة قد يؤدي إلى تشتت الذهن وإرهاقه بالمتابعة المستمرة لحمولات المعاني الجديدة التي يفرغها، وسيتخفف منها من وقت لآخر.**

وهي تمثل نتوءات بارزة تظهر بين الحين والحين فتعوق تدفق الفكرة، وتبطئ من حرية الصراع الدرامي، وتؤثر في مستوى التوحد الأسلوبي.

ويمكننا أن نتخذ من هذا النص نموذجا لذلك.

يقول الراوي الذي هو الكاتب نفسه في قصة « صحّ النوم »: « **واقتصرت على وصف بعض رواد الحان وتركت بقيتهم خشية الإطالة ـ لأنهم هم الذين وجدت في حياتهم عبرة، هم الشواذ، مُقَدَّرٌ عليهم ـ وهذا دورهم المقسوم لهم في دنيانا ـ أن تتركز فيهم** هذه المتاعب والمشاكل الموزعة ـ حتى تبدد تأثيرها ـ بين العامة **فهم خير من ينطلق بها هناك وهم أيضا ـ وهذا عدل تحت قناع من الظلم ـ أول من يتلقى الصدمة إذا أصيب كيان المجتمع بهزة كالنتوءات البارزة في الجذع، عنوان سر الشجرة ومكمن الحياة لفروع جديدة، أول ما يسقط إذا أريد تهذيب هذا الجذع** » (ص ٧٩).

إن مثل هذا الإسراف في استخدام الجمل الاعتراضية يقطع تسلسل الأحداث، ويبرز ذاتية الكاتب، ويشتت انتباه المتلقي، وبالتالي يضعف من المستوى التعبيري للغة القصة.

ومعنى هذا أن استخدام الجمل الاعتراضية في قصة « **صح النوم** » **كان لازمة أسلوبية أثرت النسيج اللغوي، وأضافت إلى المعنى في بعض السياقات، لكن لم تكن بمثل هذا التوفيق في بعضها الآخر،** وذلك إما نتيجة للإسراف، أو التدخل بالتعليق، أو ترك المجال للانطباعات الذاتية.

ولم تكن قصة « **صح النوم** » وحدها مجالا لاستخدام الجمل الاعتراضية، بل كانت جميع قصص يحيى حقي مجلى هذه الظاهرة الأسلوبية، ففي قصة « **قنديل أم هاشم** » يقول على سبيل **التوضيح**: « وفاز الأسطى حسن ـ **الحلاق دكتور الحيّ ـ بحلوانه المعلوم** » وفي قصة « **عنتر وجوليت** » يستخدم الاعتراض **في التجسيد والتحديد** كما في قوله: « **وانتظر نبيه فلم يدق التليفون، عقرب الدقائق ـ كثور مغمم ملول تديره ساقية يتنع في طريق مستقيم مألوف لا ينتهي ـ يتعرج نحو الحادية عشرة** » (ص ٥٥).

وفي قصة « **السلحفاة تطير** » يستخدمه لإظهار الرضى النفسي بالواقع، ولتحديد المعنى حيث يقول: « **فنحن أولاد حارة واحدة أسارع وأقول إنها ـ والحمد لله حارة مسدودة فمثل هذه الحارات وحدها هي التي تعمل في تصفية الود بين الجيران ما تعمله الزجاجة في تعتيق الشراب** » « **على رأس الحارة تقع دار داود أفندي بطل هذه القصة الخيالية ـ واجهة طويلة لها باب على الحارة، وواجهة أخرى على الشارع** » (مجموعة قنديل أم هاشم ص٥٩).

خدمة المعنى

وفي قصة « **كنّا ثلاثة أيتام** » تكثر الجمل الاعتراضية **لتضيف معاني جديدة** يقول بطل القصة حينما رأى فتاته: « **لم تهتم بي كثيرا. وما وجهت لي غير نظرة أو نظرتين. ومع ذلك عندما انصرفت ـ وأنا أجر رجلي جرا ـ كنت شاعرا بتعب من حس رقيق تناول روحي وجسدي** » (السابق ص ٨٢). وحينما دخل شقته: « **ولما دخلت شقتنا حانت مني التفاتة إلى أختي فقلت في نفسي ـ والأسى يملؤها ـ ما ينقصها والله إلا أن تطول الضفيرة** » (السابق ص ٨٣).

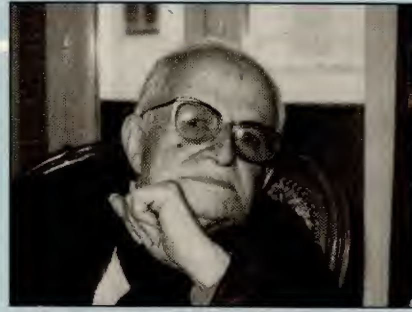
وتنتهي قصة « **كنا ثلاثة أيتام** » بجملة اعتراضية يقول فيها البطل ملخصا المغزى: « **لا يعلمون أنني ـ ولا أدري كيف ـ انتهيت إذا ذاك فحسب إلى قسوة الفكاهة، وهي تنطبق عليّ في المثل القائل راح يصطاد صادوه** ».

إذا تأملنا هذه الفقرات الثلاث، وحللنا موقع الجمل الاعتراضية فيها، وجدنا أنها موظفة لخدمة المعنى، وإضافة بعد شعوري إلى الشخصية في بأسها وضعفها والمفارقة التي وقعت فيها!

وقد تتضمن الجمل الاعتراضية **حكمة** يلقى بها في وسط احتدام الموقف وفي قمة دراميته، كقوله في رصف داود أفندي بطل قصة « **السلحفاة تطير** » « **فمن نحس هذا الزمان ولؤمه أن يهان رجل طيب مسالم مثله، ويكون مثله عند دخول القسم كمثل حيوان أليف آكل عشب في غابة تعج بكل ذي ظفر وناب، ومع ذلك ـ فهذا شأن الحياة واكتساب الرزق بعرق الجبين وقشف اليدين ـ نسيته ونسيت أوهامه، وأنا منمح مفقود وسط آلات المطبعة** » ص ١٠٠.

إن استخدام الجملة الاعتراضية يعد سمة من سمات **يحيي حقي** الأسلوبية التي تميزه من غيره من كتاب القصة العرب، ومن ثم ينبغي على الدارس لأدبه أن يهتم بهذه السمة، ويدرسها دراسة نصية ويحللها تحليلا لغويا يكشف عن وظيفتها الفنية في التعبير، ومدى نجاحها في تطوير حركة الصراع الدرامي، وبناء الشخصية القصصية، والكشف عن طبيعة الحدث، وحينذاك سيتأكد له أنها **لم تكن من قبيل اللغو، وإنما وظفت فنيا لخدمة البناء القصصي.**





قراءة في آخر كتبه «خلّيها على الله ..»

يحيى حقي .. بقلم يحيى حقي

عرض: عبد الرحمن شلش

برغم توقف يحيى حقي منذ سنوات عن الكتابة ، إلا أنه منذ عامين وبالتحديد في مطلع عام ١٩٩١م ، صدر له بالقاهرة كتاب « خلّيها على الله » مبيناً على غلافه الداخلي أنه السيرة الذاتية لأديبنا الكبير يحيى حقي ، عاشق اللغة العربية تحدثًا وكتابة وقراءة ، وأحد أبرز رواد الرواية والقصة القصيرة واللوحة القلمية والنقد في الأدب العربي الحديث والمعاصر ، الحائز على أكبر جائزة عربية تمنح للعلماء والأدباء ، وهي جائزة الملك فيصل العالمية التي نالها تكريما وتقديرًا لعطائه الإبداعي وجهوده الأدبية .

عُرِفَ أديبنا بالدقة والموضوعية في كل ما يكتب ، وفي كل ما يقول ، فكان دقيقًا وموضوعيًا في كل كتاباته ، وفي كل أقواله ، إنه شاهد على القرن العشرين ، منذ مولده عام ١٩٠٥م حتى وفاته منذ أيام .

تتصدر كتابه ـ السيرة الذاتية ـ مقدمة أو دراسة تأتي دليلا على الوفاء من الأديب **محمد روميش** ، عنوانها « نعم . . **خلّيها على الله** » وهي تعبير ــ في الوقت نفسه ــ عن ود موصول بين الكاتبين ، وعلاقة محبة بين جيلين من الأدباء .

فنانًا ومفكرًا وإنسانًا

يتناول صاحب المقدمة ـ الدراسة رحلة عطاء يحيى حقي فنانًا ، ومفكرًا ، وإنسانًا ، من خلال رصد وافٍ لإبداعاته المميزة ، وإنجازاته في الحياة الأدبية ، وجهوده في حياته العملية سواء أثناء وجوده داخل مصر أو خارجها .

والدراسة تعنى بتسجيل تفاصيل كثيرة مهمة في حياة يحيى حقي بوصفه قمة شامخة من الفكر والأدب والنقد في الحركة الأدبية في مصر في القرن العشرين ، فضلاً عن كونه **أحد رواد التنوير والثقافة** .

فالكاتب يرسم لوحة وصفية كبيرة لمسيرة عطاء فارس عربي مصري من الفرسان الذين أسهموا في إحداث تغيير واضح في حياتنا علمًا وفكرًا وفنًا وأدبًا وتثقيفًا وتنويرًا .

ويرى الكاتب في كتاب **يحيى حقي** «خليها على الله» سيرة ذاتية لصاحبها ، مثلها مثل السير الذاتية التي كتبها أدباء آخرون .

ويعرض الكاتب كثيرا من تفاصيل حياة **يحيى حقي** ، منذ مولده في أوائل القرن العشرين ، ونشأته ، ودراسته ، وانتسابه إلى الحزب الوطني ، والتحاقه بمدرسة الحقوق العليا ، وقراءاته ، وتجربة عاطفية عاصفة مر بها ، وزواجه ، والوظائف التي شغلها منها ـ مثلا ـ رئاسته لتحرير مجلة « **المجلة** » ، ورحلاته وتنقلاته ، وترجماته لعدد من الأعمال الروائية والمسرحية .

ثم يعلق الكاتب قائلا : «ومازال يحيى حقي ، يشع فينا وفي حياتنا ، فكرا وفنًا ونشاطًا ، تعبر عنها المقولة ، التي أوردها أندريه مالرو ، في رواية (قدر الإنسان) ترجمة فؤاد كامل : «أستاذ بالمعنى الصيني للكلمة ، أي أقل من الأب قليلاً ، وأكثر من الأم» .

ويدلف الكاتب ـ والفعل (دلف) من الأفعال التي أخذ يحيى حقي ، على الكتّاب الذين كانوا شبانًا ، كثرة استعمالها ـ إلى كتاب « **خليها على الله** » .

يلقي روميش ضوءًا على هذا الكتاب بقوله : «الكتاب ليس أثيرًا ، في عنوانه ، وحده ، إنه أثير في موضوعه ، لقد سمى كتاب « **خليها على الله** » مذكرات ، ولكنه سارع إلى القول بإنها «**مذكرات عابر سبيل**» أي ليست مذكرات «مقيم» يذكر تاريخ الحدث بالساعة واليوم ، ويوثقه في مصلحة الشهر العقاري ، ولا يكتفي بذلك ، إنها «مذكرات عابر سبيل ، يرويها عفو الخاطر ، تاركًا نفسه على سجيتها ، والحبل على الغارب» أي أنه لم يربط نفسه إلى المكتب ، ليقدم للناس سيرة يحيى حقي ، بخطاياها ، بقصد التوبة» .

لكن متى كتب يحيى حقي هذه المذكرات؟ وأين نشرها لأول مرة؟

يوضح رويش تاريخ كتابتها ومكان نشرها ـ كما جاء تقديمه ــ «**إن يحيى حقي عندما كتب** «خليها على الله» في ثلاثة عشر مقالاً ، نشرت بجريدة (الجمهورية) في الفترة من ١٩٥٩/٣/٢٧ حتى ١٩٥٩/٦/٢٦م ، وبناء على طلب من **أحمد رشدي صالح** ، المسؤول عن الجريدة ، آنذاك ، لم يكن قصده ، أن يقدم سيرته (هو) الذاتية بالدرجة الأولى ، **كان هدفه ، أن يقدم ، من خلال معرفته الشخصية ، ومن خلال تجربته الشخصية ، صورة للمجتمع في مدينة منفلوط في أواخر العشرينيات من هذا القرن** : «حيث أتيح لي أن أعرف بلادي ، وأهلها ، وأخالط الفلاحين عن قرب ، وأهمية هاتين السنتين ترجع إلى اتصالي المباشر بالطبيعة المصرية ، والحيوان ، والنبات . . واتصالي المباشر بالفلاحين ، والتعرف على طباعهم ، وعاداتهم » .

سِيَرهُمُ الذاتية

ربما كانت الذات واضحة في كثير من السير

الذاتية للكتاب، كما لدى **أحمد أمين**، **وطه حسين**، **وتوفيق الحكيم**، لكن لدى يحيى حقي هناك مسافة بين الذات والموضوع الذي يعبر عنه، وإن لم تغب الذات عن الالتحام بالموضوع المطروح.

لنطلّ على فكر الكاتب في «خليها على الله» كي تتضح لنا أبعاد الصورة التي يرسمها للعصر الذي عاش فيه، إنسانًا ومكانًا وزمانًا.

فالكتاب ينقسم إلى أربعة أبواب، أولها : مدرسة الحقوق ومضاعفاتها، **وثانيها :** خبط عشواء، **وثالثها :** وجدت سعادتي مع الحمير، **ورابعها :** الصعيد.

في الباب الأول يعبر الكاتب عن إحساسه حين انتهى من امتحانه في مدرسة الحقوق العليا ـ كلية الحقوق الآن ـ قائلا : «يوم أديت الامتحان الشفوي لآخر مادة في شهادة الليسانس (وقد دام الامتحان بين تحريري وشفهي أكثر من خمسة وعشرين يومًا) عدت من الجيزة إلى شارع السيوفية تحت شمس محرقة ـ وإن كادت تغيب، فنحن في عز الصيف، يوليو سنة ١٩٢٥ ـ فإذا بي حين وصلت الدار أعجز عن صعود السلم» (ص٣٨). ويتابع الكاتب موضحًا : «لا أذكر كيف حملت إلى مسكننا، ولكني أذكر بوضوح أنني ارتميت بملابسي وحذائي راقدًا على الكنبة، مسندًا رأسي إلى ركبة أمي، أنفاسي متلاحقة تلهث، في جفاف، كأنما هرب ريقي كله إلى عيني فهما مغرورقتان بالدموع، والتعب يبكي كالحزن» (ص : ٣٨).

ونجد في هاتين الفقرتين، دقة الوصف، وبساطة التعبير، ورهافة الحس، مع ميل إلى التشبيه البليغ، والأسلوب الساخر، وكلها من مميزات أسلوب يحيى حقي قاصًا وكاتب صور قلمية.

ونراه في موضع آخر يتحدث عن تجربته في الخطابة : «لم يتح لي أن أخطب في حفل إلا بعد أن جاوزت سن الخمسين. وقد رأيت دائما أن الارتجال خير من الحفظ.. وإنما ينبغي للخطيب أن يعد ـ على الأقل ـ مدخل كلامه، ولو جملة واحدة.. تفتح له الباب، فلا يتلجلج أو يتريث طويلا عند بدء الحديث» (ص : ٥٣).

ولعل هذه الفقرة تعكس لنا لمحة عن تجربة الكاتب في الخطابة، وإن كانت ـ في الوقت نفسه ـ تبين لنا ميل أسلوبه إلى البساطة، لا التبسيط المخل، وإنما أسلوب ينتمي إلى السهل الممتنع، أي الأسلوب البعيد عن التعقيد والغموض والحذلقة، كما نجدها عند بعض من الكتّاب والأدباء في عصرنا الراهن.

يشير **يحيى حقي** إلى الدور الذي أدته المحاكم المختلطة في مصر في زمن مضى : «ما دام ذكر المحاكم المختلطة قد جاء في هذه (المذكرات) فلن أستطيع إلا أن أروي منظرًا شهدته ـ ولا أنساه ـ يكفي وحده للدلالة على الدور الخطير الذي لعبته هذه المحاكم في هدم الاقتصاد القومي وسلبه وتثبيته في يد الأجانب» (ص : ٦٦).

وروى ـ فيما روى ـ كيف تم نزع ملكية أرض من فلاح مصري، بموجب حكم نزع ملكيتها من الفلاح، في إحدى قرى منفلوط حين كان معاونًا للإدارة بها، إذ بيعت هذه الأرض بالمزاد العلني في القاهرة : «ووقف الفلاح وحده يقلب الورق بين يديه كأنما عثر على حيوان عجيب يتلوّى في خشخشة الورق أنين خوفه. ولكزت حماري هاربًا من منظر عينيه وهو (يبربش) بهما» (ص : ٦٧).

في الباب الثاني من الكتاب وعنوانه (خبط عشواء) يستهله يحيى حقي بالوقوف عند عام ١٩٢٥ حينما كان يبحث عن عمل يرتزق منه : «يوليو سنة ١٩٢٥ ـ شهادة الليسانس هي اليد التي دفعتني في ظهري وأنا واقف ـ كمتفرج ـ على سلم القفز فوقعت بملابسي في حوض السباحة وسط متسابقين أشداء ـ وكنت لا أعرف العوم! ـ فيهم مَنْ يشق الماء بذراع قوي، وفيهم مَنْ يتمنطق بقرعة (استامبولي) مكتوب عليها (المحسوبية) أو (الوساطة) وفوزهم لا يخلو مع ذلك من عامل غريب خفي مجهول اسمه (الحظ)» ـ (ص : ٨٠).

وفي الباب الثالث (وجدت سعادتي مع الحمير) نراه يرسم صورًا أخرى، منها هذه الصورة لواقع الحياة المعيش. لنتأمل ما يرويه : «حين نزلت الصعيد لم أفهم لأول وهلة قول محدثي عن رجل من الأعيان أنه (حَمّار) بميم مشددة. ظننت والكلام عن غائب قد تحول كالعادة من الاستفتاح بالمدح إلى التثنية بالذم والسب، فلما تلجلجت في الرد أردف يقول عن صاحبه : إنه أكبر مالك للحمير في المركز وأن ربحه واسع مضمون. أدركت أن كلمة (حَمّار) هي عندهم ترجمة لكلمة (مليونير).. وأنها عنوان صناعة من أهم الصناعات، أحفادها في الوقت الحاضر شركات (ص : ١٣٢).

هذه الكلمة نلمس فيها مدى سخرية الكاتب، والناس، بوصفها دعابة ساخرة تكشف عن جانب حيوي في سلوك بعض الناس. ويبدو في أسلوب الكاتب قدر من هذه السخرية، وتكاد تمثل سمة بارزة في أدبه بوجه عام.

فلم تكن شخصية يحيى حقي هي المحور الذي يدور حوله القص، بقدر ما كان الوطن هو محور الرؤية والتذكر.

ولم تخل هذه الرؤية من سخرية تبدت في أسلوب الكاتب، كما مر بنا في الفقرات التي استرشدنا بها.

في هذه الرؤية خلاصة فكر أديب فذ على هيئة تذكر، وحصاد أعوام، لكنها لا تتضمن سيرة ذات أو سيرة عقل أو حصاد السنين كلها.

يتجاور في رؤية يحيى حقي الخاص والعام، فيمزج الكاتب الذاتي بالموضوعي، والظاهر بالباطن، والحاضر بالماضي. وتأتي المنظومة جامعة بين التذكر والنسيان، الخبرة والبراءة، الانكسار والصمود، اليأس والأمل، السلبية والإيجابية. وعند حد معين قال يحيى حقي : كفى فتوقف أديبنا عن متابعة كتابة مذكرات الرحلة العميقة الممتدة التي روى فيها التاريخ الذي لا يكتبه المؤرخون.

وبما أن هذه الكتابات تتخذ شكل المذكرات وطبيعتها، بوصفها رحلة بحث عن الحقيقة أو المعرفة، فإنها ليست سيرة ذاتية لكاتبها كما سمّاها **محمد روميش**، بل مذكرات كما دعاها صاحبها.

أدبنا السعودي في عيون الآخرين:

الانكماش في الأدب السعودي: حقيقة أم افتراء؟

بقلم: د. منصور الحازمي

بانوراما تقويمية للكتابات غير السعودية التي تناولت الأدب السعودي، يقدمها الدكتور منصور الحازمي عبر ثلاث حلقات أطلق عليها: عين السائح، وعين الباحث، وهذه الحلقة الأخيرة أسماها: عين الصديق.


أبو شادي


السحرتي

إذا كانت عين السائح لا ترى في الغالب سوى الذي يعرض لها مصادفة، وتنجذب إلى الغريب والعجيب، كما يفعل السواح في كل زمان ومكان؛ وعين الباحث تقصد إلى الشيء قصدا وتحاول أن تراه على حقيقته، بعد تعب ودراسة وفهم؛ فإن عين الصديق قد تجمع بين المصادفة والقصد؛ ولكنها لا ترى في أكثر الأحيان سوى الجوانب الإيجابية التي ترضي وتبهج، فإن تناولت شيئا من الجوانب السلبية، فإنما تتناولها في لين ورفق.

ο ο ο

والصداقة هنا أشكال وألوان. فقد تعني علاقة التلميذ بالأستاذ، بأن يعرض الناشئ من الأدباء إنتاجه على أديب أو ناقد مشهور ليرى رأيه فيه ويسجل هذا الرأي في تصدير أو مقدمة، تشجيعا له واعترافا بإبداعه. ولهذه العلاقة تاريخ طويل منذ النابغة في أدبنا العربي، ونوابغ الأمم الأُخرى. وقد تعني « **العلاقة** » اتجاها معينا في التأليف على المستوى القومي، حين يحاول بعض الباحثين العرب الخروج من الإطار الإقليمي فيجعلون نماذجهم الأدبية ممثلة بقدر الإمكان لأقطار العالم العربي دون تمييز، وهذا الضرب من التأليف لا يزال، وللأسف، قليلا في البلدان العربية، **ولرابطة الأدب الحديث في مصر فضل الرِّيادة في هذا الاتجاه؛ إذ أسهمت في التعريف ببعض أدبائنا ودراسة إنتاجهم منذ وقت بعيد، وكان أستاذهم أبو شادي قد فتح صدر مجلته «أبولو» لإنتاج الشباب من البلدان العربية كافة، كما عني في دراساته بالأدباء الناشئين، ولم يدخر وسعا في التنويه بهم وتشجيعهم. وقد حذا حذوه تلميذاه محمد عبد المنعم خفاجة ومصطفى عبد اللطيف السحرتي** [١].

وقد تعني « **الصداقة** » المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، إذ وفد الكثيرون من الأشقاء العرب إلى هذه البلاد منذ زمن مبكر، معلمين أو موظفين أو غير ذلك، وقد أتاحت لهم إقامتهم القصيرة أو الطويلة التعرف على أدباء هذه البلاد وقراءة إنتاجهم منشورا في الصحف والمجلات أو مطبوعا في الكتب والدواوين. وقد شارك بعضهم مشاركة إيجابية في حياتنا الثقافية، عن طريق الكتابة أو المحاضرات أو التأليف، وفي مختلف وسائل الإعلام، مقروءة ومسموعة ومرئية.

وربما تحوّلت « الصداقة » إلى نوع من الاحتراف، ولا سيما أثناء ما سمي بـ « الطفرة » في السبعينيات وأوائل الثمانينيات، حين أصبح الأدب السعودي كالعقار والمقاولات، سلعة مربحة يتهافت عليها الكثيرون. وكانت حصيلة ذلك التهافت مجموعةً من الكتب التي حظها من الموضوعية والصدق ضئيل. وقد تحوّل أدبنا، بين يوم وليلة، على أيدي هؤلاء المحترفين إلى أدب عالمي يهز الأوتار وتشدو به الأطيار ولا يشق له غبار. يقول أحدهم عن العواد إنه « علم من أعلام الفكر والأدب لا في المملكة العربية السعودية فحسب، بل في الوطن العربي الكبير، والمهاجر في الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، وفي كثير من بقاع العالم الحر . . » [٢]. على أنني والحق يقال، أحاول ــ طوال الثلاثين عاما الماضية ـ أن أجد كتابا واحدا من كتبنا على أسوار حديقة الأزبكية بالقاهرة، فأضناني البحث واستسلمت لليأس. ومع ذلك فقد رأينا بعض المؤلفات لبعض أدبائنا الذين لم يبلغوا بعد سن النضج، كما رأينا بعض المجلات تخصص بعض أعدادها للأدب السعودي الحديث، وتلك صورة من صور الاحتراف.

وإذا كنا لن نستطيع أن نتحدث هنا عن كل هذا الإنتاج الضخم الذي أملته الصداقة الصحيحة أو الزائفة، فإننا سنتوقف قليلا عند بعض المقدمات التي بدأت بمقدمة **محمد حسين هيكل** لكتاب **(وحي الصحراء)** سنة ١٣٥٥ هـ/١٩٣٥ م، ولا تزال مستمرة حتى وقتنا الراهن. وسنلاحظ على هذه المقدمات جميعها ــ وقد أحصيتُ منها عشرين مقدمة على الأقل ــ أن رابطة الصداقة هي التي تجمع غالبا بين المقدِّم والمقدَّم. ونحن لا نعلم مدى هذه العلاقة، ولكن المقدِّم ينعت أديبنا بـ « الصديق »، وهذا يكفي حقيقة أو مجازا [٣].

وأكثر هؤلاء المقدِّمين لا يستطيعون قراءة إنتاج أدبائنا إلا من خلال ربطه

”تحوّل أدبنا في زمن الطَّفْرة إلى سلعة مربحة تهافت عليها الانتهازيون“


د. محمد عبد المنعم خفاجي


عبد الله الجفري

بالماضي، ومقارنته بالصورة القديمة التي تختزنها أذهانهم عن شعراء العصور القديمة في الحجاز، ونجد، فشعراء (وحي الصحراء) متأثرون « بوحي البادية وعيشها الحر الطليق في بساطة أدنى إلى الشّظف » في نظر **محمد حسين هيكل** (٤). أما غزل القرشي - في نظر **طه حسين** - فيقف « موقفا وسطا بين غزل ابن أبي ربيعة الحسّي وغزل العذريين من أمثال جميل بثينة؛ وفي لغته يسر ورصانة أتته من البيئة البدوية » (٥). فإذا ما وصلنا إلى **محمد الفهد العيسى** - وهو شاعر مجدد معاصرة لاحظ عليه **رجاء النقاش** أن في شخصيته «تناسخ الروح العربية القديمة » في حبه للرحلة وعشقه للمكان (٦). أما شعر غادة الصحراء فله « من البيد الحبُّ والعفة والكبرياء، وله لمعان السيوف وهزّ الرماح . . »، كما يقول **جورج غريب** (٧).

وهذه الصورة المعلومة والثابتة للصحراء وأدبها، تقتضي البساطة والعفوية، كما هو الحال في شعر الأعراب وأحوالهم منذ أقدم الأزمان.


محمد الفهد العيسى


القرشي

وقد مر بنا استخدام كل من **هيكل وطه حسين** كلمتي « البساطة » و « اليسر ». ولكن هذا الاستخدام يؤكده آخرون. يقول **جمال الدين الرمادي** عن **إبراهيم علاف** إنه يجمع في شعره بين الصنعة والفطرة (٨). ولنلاحظ كلمة « الفطرة ». ويقول **صلاح لبكي** إن شعر **عبد الله الفيصل** يتسم بـ« البساطة » : « وهذه البساطة يصل إليها محروم دفعة واحدة » (٩). ويقول **جلال العشري** عن الشاعر « **مسافر** » : « الفطرة والفكرة . . هذان هما الجناحان اللذان يحلق بهما هذا الشاعر المسافر أبدا . . » (١٠). ويصف **محمود تيمور** البيئة الاجتماعية في أقاصيص **القرشي** (أنات الساقية) بأنها « أقرب الى الفطرة »(١١).

ومن المؤكد أن هذه « **الفطرة** » ومرادفاتها لا تعني الذم عند هؤلاء الأساتذة فالإسلام دين الفطرة، فالأحرى أن تكون إذن للتقريظ والمديح، ولا سيما في مثل هذه المقدمات التي لا ينبغي أن تخرج عن هذا الهدف، ولكن اتفاق كل هؤلاء - على اختلاف أجيالهم ومشاربهم وجنسياتهم - على استخدام هذه الكلمة ومشتقاتها في نعت الأدب العربي السعودي الحديث، مثير للدهشة حقا، وربما يعني تدخل اللاوعي الجماعي في تثبيت الصورة القديمة للبدوي البسيط، الذي لا ينبغي أن يخرج أساسا عن فطرته وبداوته.

ولكن البدو في هذا الزمان قد خرجوا فعلا عن بداوتهم، كما خرج أجدادهم إلى حواضر الدولة أو الدول الإسلامية في الأزمنة الغابرة. ولا تزال العواصم العربية القديمة دمشق وبغداد والقاهرة تمارس دورها الحضاري القديم في تمدين هؤلاء البدو وإخراجهم من عزلتهم، وقد لاحظ **هيكل** تأثر الأدباء الحجازيين بالنهضة الأدبية العربية في « الأسلوب والصور وطرائق التفكير »، وتأثرهم الشديد بالأدب المصري على نحو خاص وبما نقل إلى العربية من آداب الأمم الأخرى. وقد لاحظ مثل ذلك، في فترة لاحقة، كلٌّ من **بنت الشاطئ وطه حسين**.

ومن هنا تجتمع في شخصية الأديب السعودي خصيصتان متناقضتان، البساطة والتعقيد، أو البداوة والحضارة. الأولى أصلية عميقة، من وحي الإرث والمحيط، والثانية مكتسبة من وحي الرحلة والاحتكاك أو الثقافة. ومن هنا أيضا **يظل الأديب السعودي محاصرا بين قطبين، قطب الماضي وقطب الحاضر**، إن ظل في ماضيه اتهم بالتخلف، وإن انجذب إلى حاضره - أي حاضر المدينة العربية - اتهم بالتكلف والتعقيد. وها هو **هيكل** يلاحظ أن كل ما رآه من جديد في إنتاج **(وحي الصحراء)** يمكن ردّه إلى أصوله ومصادره : « وترى تفكير هؤلاء الأدباء مصورًا في قوالب تكاد تردّها إلى مصادرها في تفكير العصر الحاضر وأدبه » (١٢). ويقول **طه حسين** بعد ذلك بحوالى عشرين عاما - في مقدمة ديوان **القرشي (الأمس الضائع)** : (. . . وفي شعر الحجاز وشعر الأستاذ الصديق [القرشي] صفة تحببه إلينا نحن المصريين وتعطف نفوسنا إليه، فإخواننا الحجازيون قد قرؤونا فيمن قرؤوا من الأدباء المعاصرين، ولأمر ما أحبّوا قراءتنا وكلفوا بها، ثم تأثرونا، ثم حاولوا أن يذهبوا مذهبنا، لا في الشعر وحده، ولكن في شؤون الحياة على اختلافها . . »، وهكذا يقول **صلاح لبكي** أيضا عن شعر **عبد الله الفيصل**، ولكنه يرد الجدة فيه إلى لبنان لا إلى مصر : إن « محروم بعيد جد البعد عن شعراء الصحراء الأقدمين والمحدثين معا، وهو أقرب ما يكون إلى شعراء لبنان وإلى الشعراء الوجدانيين منهم ». ولبناني آخر - وهو **جورج غريب** - يرى أن لبنان هو التربة الحقيقية التي تفتحت فيها الموهبة الشعرية لغادة الصحراء : « يالها من إطلالة على لبنان من وراء اتساع الصحراء تود التفلت من قيودها وحدودها الضيقة ».

> بعض الإخوة العرب ينسبون جديدنا إلى مصادره ومنابعه لديهم


محمد علوان


سباعي عثمان

وبعد كل هذه السنوات الطويلة من التتلمذ والتعلّم والتحضر، فلا يزال **بعض الإخوة العرب ينسبون جديدنا إلى مصادره ومنابعه لديهم**. ولا بد أن الخلايا الحية في جسد قصائدنا الشبابية المعاصرة من صنع **أدونيس ويوسف الخال وسعدي يوسف** وغيرهم من شعراء الحداثة، وقل مثل ذلك في النقد وفي الفنون الأدبية الأخرى كافة. لماذا؟ ألا نستطيع أن نصنع شيئا مختلفا وأصيلا، مع التسليم بقانون المثاقفة والتأثر؟ بلى نستطيع، ولكن سيكون أقرب إلى ما نفعله في بعض مصانعنا المحلية. أما لو صنعناه أصيلاً، أصيلاً، فسيكون حقا مثار الدهشة والعجب. لقد استغرب **محمود تيمور** - في مقدمته لمسرحية **حسين سراج (غرام ولادة)** - أن يشغف المؤلف بالمسرح والتمثيل « في تلك الأصقاع العربية التي تغلب عليها نزعة المحافظة » (١٣). ويعجب **يحيى حقي** بالمستوى الرفيع الذي وصلت إليه القصة القصيرة على يد **محمد علوان** في **(الخبز والصمت)** (١٤). كما يعجب **عبد الرحمن الربيعي** بأقاصيص **سباعي عثمان في (دوائر في دفتر الزمن)** ويقول إنه فوجئ « بالمستوى الذي وصلت إليه القصة القصيرة الشابة في القطر السعودي الشقيق، وهو مستوى يؤهلها لأن تأخذ مكانة بارزة في مسار القصة العربية وأن تساهم في تطويرها.. » (١٥).

أما قمة الدهشة والعجب فيصورها **الدكتور علي جواد الطاهر في معجمه** أجمل تصوير حين اطلع على أشعار **الثبيتي والصيخان والحربي**، وأصيب بالدهشة كما أصيب آخرون، ويقول بأسلوبه الدرامي المثير: « وإذا كان هذا حالي، فلا عجب أن يكون حال البعيدين جدًا عن السعودية وشعرها حال دهشة وتعجّب.. ومفاجأة.. أيكون هذا في السعودية؟! أهؤلاء سعوديون؟!» (١٦).

وبغض النظر عما قلناه من ثبات صورة البدوي، أو التي ينبغي أن تكون ثابتة، والتي لا شك ستصيب الرائي بالدهشة حينما تتغير ملامحها وتتبدّل ألوانها؛ فإن هناك أسبابا أخرى قد ساعدت على هذه الغربة وتلك القطيعة. وقد تنبّه **عبد الرحمن الربيعي** إلى قصور حركة النشر والتوزيع التي لا تتجاوز السوق المحلية إلى السوق العربية، وإلى تقوقع الأدباء السعوديين داخل حدودهم. (١٧) وهذا ما تنبّه إليه أيضا **رجاء النقاش** - في مقدمته لكتاب **عبد الله جفري (حوار في الحزن الدافئ)** - إذ يقول إن الجفري «واحد من أبرز الأدباء السعوديين الذين انفتحوا في موضوعاتهم على العروبة والعالمية معا، وخرج من الحدود الإقليمية الضيقة التي مازال عدد كبير من الأدباء السعوديين يحصرون أنفسهم فيها.. » (١٨). ويعجب **النقاش** من هذا الانكفاء أو «الانكماش» على حد تعبيره، مع أنه مخالف لطبيعة عربي الجزيرة قبل الإسلام وبعده. ويعلّل هذه الظاهرة « الانكماشية » العجيبة بحالة البحبوحة التي ينعم بها الأديب السعودي، يقول: « وفي ظني أن الاكتفاء المادي عند الأديب السعودي كان من العوامل الأساسية التي دفعته إلى الرضا بحالة « الانكماش » وعدم التفكير في الانطلاق خارج النطاق المحلي بتفكيره وتعبيره ومشاركته الروحية »(١٩).

تُرى لو صحّت هذه المقولة، لو زالت عن الأديب السعودي « حالة الاكتفاء المادي » - لا قدَّر اللّه - وعاد إلى شظف العيش وجدب الصحراء، أيمكن أن يفكر حالتئذ في غير الرّعي أو الهجرة أو الاستجداء؟ أما الرّعي فقد جفّت الصحراء، وأما الهجرة فقد أقيمت الحواجز والحدود، أما الاستجداء فقد أزيلت التكايا ولم تُسترجع الأوقاف التي كانت للحرمين الشريفين في البلدان العربية والإسلامية.

والأهم من ذلك كله أن حالة « **الانكماش** » التي يتحدث عنها **النقاش** سوف تستفحل وتزداد، ومن يضمن بعد ذلك أن البدوي لن يكون بدويا، في الواقع المحسوس، قولا وعملا؟!

هوامش

(١) انظر: لمحات من أدبنا السعودي المعاصر، ص ٩.

(٢) انظر للباحث: في البحث عن الواقع (دار العلوم للطباعة والنشر ط ١، الرياض ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م) ص ١٣٩ - ١٤٩.

(٣) انظر، على سبيل المثال، مقدمة طه حسين لديوان عبد الله القرشي: الأمس الضائع، ومقدمة محمود تيمور لكتاب أحمد عبد الغفور عطار: الزنابق الحمر، ومقدمة رجاء النقاش لكتاب عبد الله جفري: حوار في الحزن الدافئ.

(٤) انظر مقدمة كتاب (وحي الصحراء) جمع محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله بلخير. (الطبعة الأولى عام ١٣٥٥ م).

(٥) انظر مقدمته لديوان القرشي: الأمس الضائع.

(٦) انظر مقدمته لديوان محمد الفهد العيسى: الإبحار في ليل الشجن.

(٧) انظر مقدمته لديوان غادة الصحراء: شميم العرار.

(٨) انظر مقدمته لديوان العلاف: وهج الشباب.

(٩) انظر مقدمته لديوان محروم: وحي الحرمان.

(١٠) انظر مقدمته لديوان أحمد صالح الصالح: عندما يسقط العراف.

(١١) مقدمته لمجموعة (أنات الساقية).

(١٢) مقدمته لكتاب (وحي الصحراء).

(١٣) انظر مقدمته لمسرحية حسين سراج: غرام ولادة.

(١٤) مقدمته لمجموعة (الخبز والصمت).

(١٥) مقدمته لمجموعته (دوائر في دفتر الزمن).

(١٦) معجم المطبوعات العربية، جـ ٢، ص ٦٣٠.

(١٧) مقدمته لمجموعة (دوائر في دفتر الزمن).

(١٨) مقدمته لكتاب الجفري: حوار في الحزن الدافئ.

(١٩) المرجع السابق.

مراعاة الحالة النفسية في الكلام

بقلم: محمد الرابع الحسني الندوي

لقد بحث أهل الأدب والبلاغة في مدى أهمية كل من الألفاظ والمعاني في الكلام البليغ وبحثوا فيما هو أشد أهمية وأجدر بالاهتمام والعناية من المتكلم الساعي للتأثير في المخاطَب أو إيصال الكلام إلى منبع الإقناع النفسي منه، ولقد رأى أهل البلاغة والنقد أن كل واحد من الجانبين يحمل أهمية خاصة في ناحية أو نواح عديدة، وهما إذا تضامنا وتشاركا فإن ذلك يزيد من روعة الكلام وتأثيره كثيرا، ولكن هناك جانبا ثالثا أيضا يتصل بالجانبين الأولين وهو جانب مهم جدا يملأ الكلام قوة وتأثيرا، وهو الحالة النفسية للطرفين في الكلام ومراعاتها عند تشكيل التعبير اللفظي واختيار صور المعنى نظرا إلى واقع الشعور للمخاطَب.

فالكلام إذا اشتمل على هذه المراعاة ازداد قوة وروعة، وإذا لم يشتمل عليها فإنه يفقد هذه القوة ويصبح كلاما خاليا من الروح والتأثير، وإن كان مؤيدا بفصاحة اللفظ وبلاغة العبارة وطرافة المعنى، فإن جملة واحدة أمام رجل مذعور خائف عندما تكون في تشكيلها مراعاة لحالة ذعره وخوفه النفسية تترك في نفسه انطباعا قويا بما يراد منها، وهي نفسها إذا قيلت في غير هذه الحالة فإنها تفقد قوتها وتأثيرها، مثل أن يتكلم رجل مستبد طاغية بكلمةِ تهديدٍ أمام رجل ضعيف فإنما يهابه هذا الرجل الضعيف ويصيبه ذعر ووجل منها، ولكن رجلا من عامة الناس إذا تكلم بنفس الكلمة أمام رجل مثله أو أمام رجل أقوى منه لكان لها تأثير معكوس ولم تؤثر في المخاطَب تأثيرا واضحا، وإن كانت فصيحة في لفظها وحسنة في معناها. **إن فصاحة لفظها وحسن معناها قد يحملان متعة أدبية للمخاطَب ولكنهما لن يحملا التأثير والإثارة، وهذا الجانب من روعة الكلام مهم جدا لكل عامل في مجال الدعوة.**

وفي القرآن الكريم والحديث **الشريف أمثلة رائعة من ذلك، وهي جديرة بأن تدرس وتستفاد، فإنها نماذج للأدب الإسلامي رائعة وبليغة، ومثال ذلك في كتاب الله تعالى حوار موسى عليه السلام مع فرعون لما أرسله الله إليه داعيا**، فعندما أمر الله تعالى موسى عليه السلام بالتوجه إلى فرعون المتجبر ليدعوه إلى الإيمان بالله، وكان موسى عليه السلام خائفا منه، لأنه قتل رجلا من قومه، فكان فرعون شديد الغضب عليه يريد الانتقام منه، فيذكر موسى عليه السلام ذلك لربه فيشجعه الله تعالى ويعده بنصرته بقوله: ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ (طه : ٤٦)، وبذلك يقوى قلبه ويزول منه ضعفه، ثم يؤيده الله بصحبة أخيه هارون له ويقول: ﴿ قال كلاّ فاذ هَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا معكم مُسْتَمِعُون، فَأْتِيَا فِرعَون فقولا إِنَّا رسولُ ربّ العَالَمِين، أَنْ أرسلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ويقوى قلب موسى عليه السلام وتزول عن نفسه مهابة فرعون، فيذهب إليه ويكلمه، فيقول فرعون محتدا وناقما ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمرِكَ سِنِينَ، وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ﴾، فما أخاف موسى هذا الكلام فردّ عليه ردّا عاما بل منتقدا وجارحا ﴿ قال فعلتُها إذًا وأنا من الضالين، ففررتُ منكم لَـمّا خِفْتُكم فوَهَبَ لي ربّي حكما وجعلني من المرسلين، وتلك نعمة تمنها عليّ أنْ عَبّدتَّ بني إسرائيل ﴾، فكان من فرعون أن سأل سؤالا هادئا مستكينا، ﴿ قال فرعون وما رب العالمين، قال ربّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾، (الشعراء الآيات ١٥-٢٤).

يجب أن نرى في هذا الحوار مَنْ الطرفان؟ وما مشاعر كل واحد منهما نحو الآخر؟ ثم نرى أسلوب الحوار بينهما، فإن الطرف الأول هو فرعون الذى كان ملكا مستبدا جبارا لدولة غنية قوية كبيرة، وكان يشعر بعظمة نفسه وعلوه بين الآخرين، فهو الذي يتبجح فيذكر عظمته وغناه أمام ملئه فيقول: ﴿ وهذه الأنهار تجري من تحتي ﴾ (الزخرف : ٥١)، ثم إن الشخص الذى يخاطبه هو رجل من أفراد شعب كان فرعون يستهين به

مِن كُتّاب العدد

● **محمد الرابع بن السيد رشيد أحمد الحسني الندوي**

- من مواليد بلدة راي بريلي في المنطقة الشمالية الهند عام ١٩٢٩.
- تعلم في مدارس إسلامية مختلفة، وأتم دراساته العالية والعليا في جامعة دار العلوم لندوة العلماء بلكهنو وقضى نحو عام في الحجاز يتصل ويستفيد برجال العلم فيه، ومن مكتباته سنة ١٣٧١ هـ.
- عميد كلية اللغة العربية والدعوة في جامعة ندوة العلماء، وعضو المجلس التأسيسي لندوة العلماء.
- نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس فرعها الشرقي في العالم الإسلامي (الهند وماجاورها) فخريا.
- الأمين العام لأكاديمية البحوث العلمية الإسلامية (المجمع الإسلامي العلمي) بلكهنؤ فخريا.


محمد الندوي

- المستشار التعليمي في عدد من الجامعات الإسلامية في الهند، وعضو عدد من الجمعيات والأكاديميات الإسلامية، منها مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد.
- له عدة كتب في الأدب والتعبير والنقد والتاريخ والثقافة الإسلامية باللغتين العربية والأردية.
- أصدر صحيفة عربية نصف شهرية باسم (الرائد) لا تزال تصدر من ندوة العلماء.

مراعاة الحالة النفسية في الكلام

ويستعبده ويسخره لمآربه ومطالبه، يقتل أولاده ويستحيي نساءه، ثم إنه يشعر بأن هذا الذي يخاطبه قد اقترف جناية قتلٍ لأحد أبناء جلدة الملك، فهو في وضع ضعيف بحكم اقترافه لجريمته، ولا يخفى ذلك أيضا على الطرف الآخر في الحوار، فإنه يعرف ضعف وضعه بالنسبة إلى ماضيه في الجو الملكي الفرعوني الرهيب، وكان يواجهه لأول مرة بعد خروجه منه، ألم يكن متوقعا من فرعون في هذا الوضع أن يتفجر عليه تفجرا فيقتله بيده أو يأمر من يقتله فورا، فليس في مجلسه الرهيب موضع قيل وقال لأحد جلسائه، ولكن لم يحدث شيء من ذلك مع أن كلام موسى كان كلام غير مبالٍ بمنزلة فرعون، ذلك لأن موسى عليه السلام مع كونه رجلا من الشعب المحكوم المستعبد من فرعون ملك مصر وقتذاك، أي ومع كونه قد اقترف قتل رجل من قوم فرعون، كان قد اختير من الله رسولا، وتكفل الله بحفظه ورعايته بقوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ طه/ ٤٦، بقوة من الله كانت معه وقلب موسى عليه السلام كان مؤمنا وواثقا بهذه القوة.

حوار صريح

هذه هي القوة التي شجعت موسى على الحوار الصريح مما أثر في نفس الوقت في فرعون وألقى في نفسه ضعفا، ففقد كلام فرعون مع موسى عليه السلام بعد الاستماع لجوابه نفسية الاستعلاء والغضب المتهور بعكس ما كان متعودا عليه مطبوعا به في غير ذلك، وأصبح كلاما يجري بين رجلين متساويين، مع أن فرعون كان في ملأ من قومه وبين جنود وسلاح مستعد لتنفيذ أي أمر يأمر به بناء على ما يملكه من القوة والسيطرة والعلو، ولكن موسى عليه السلام كان يثق بتأييد ربه، فكان قلبه شجاعا مربوطا بقوة وهبه الله تعالى إياها، فلم يبال بأن فرعون في مكانة العظمة والقوة والتنفيذ لما يرغب فيه ويريده، فيرد عليه موسى عليه السلام بأسلوب كلام يكون من رجل غير مبال بقوة مخاطبه غير عابئ بشوكته واستبداده، فهو لا يكتفي برد مقتضب بل يسترسل في الكلام على سجية النفس لا يلقي بالا إلى ما قد ينفعل به فرعون، ويسترسل في ذكر صفات الله تعالى التي لا يرضي فرعون سماعها ولا يعجبه ذكر موسى عليه السلام لها، يذكر القرآن كل ذلك بصورته الطبيعية:

﴿ قال فرعون وما رب العالمين، قال ربُّ السموات والأرضِ وما بينهما إنْ كُنتم موقنينَ، قال لِـمَنْ حوله ألا تستمعون ﴾، ولكن موسى عليه السلام لا يبالي بقوله بل يستطرد ويقول: ﴿ قال ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾، وحينئذ يغضب فرعون ويقول: ﴿ إنّ رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾، ولكن موسى عليه السلام لا يبالي بل يستطرد أيضا ﴿قال ربّ المشرقِ والمغْربِ وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾، (الشعراء: ٢٣ـ ٢٨).

وهنا يفقد فرعون قوة الاحتمال ويأخذه تذمر وانزعاج شديدان، ولكنه يرى نفسه في حالة ضعف داخلي فلا يجاوز المناقشة اللفظية معه ولا يقوم إلا بإنذار لفظي قاصر ﴿قال لئن اتخذتَ إلها غيري لأجعلنَّك من المسجونين، قال أوَ لَوْ جئتُكَ بشيءٍ مبين، قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾، (الشعراء: ٢٩ـ٣١) وبه يقتصر أمر فرعون على المجادلة اللفظية.

يظهر من هذا المثال أن الكلام لا يصبح مؤثرا بمجرد استعمال كلمات من اللغة مهما كانت معانيها اللغوية قوية بل إنّ ما يملؤه قوة أن يكون من ورائه حالة شعورية خاصة متناسبة مع الوضع والظرف، فإن الرجل الخائف الحذر أو المرعوب نفسيا، مهما كانت كلماته التي يختارها قوية المعنى مؤثرة المضمون لن تستطيع الإثارة ولا التأثير في نفس المخاطَب، وكذلك الرجل القوي القلب الذى لا يشعر في داخل نفسه هيبة ورعبا لن يتحرك بكلمات الإثارة إلا نادرا، وبذلك علمنا أن الكلام الإنساني لا ينال تأثيرا إلا إذا كانت وراءه نفسية متناسبة مع الغرض المراد من الطرفين وذلك من أهم الوسائل الفنية للكلام المؤثر، ويدل على ذلك حوار موسى عليه السلام وفرعون الذي مرّ ذكره.

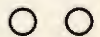
يتكلم ملك عنيد متجبر مهيب مع رجل من شعبه المغلوب المحروم من أيّ عتاد لاتقاء غضبه وعناده، فمع الفرق الهائل بين مكانتيهما كان فرعون يتكلم كخَصم مُساوٍ لخصمه، وقد جرى ذلك بسبب الحالة الشعورية الخاصة التي كانت تختفي وراء نفس فرعون، فقد أصيب برعب داخلي، ووراء نفس موسى عليه السلام الذي كان يستمد جرأته من عند الله سبحانه.

وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة من هذا القبيل. أما في حديث الرسول ﷺ فنرى ذلك مثلا في حوار رسول الله ﷺ مع السادة الأنصار بعد غزوة حنين حينما قسم ﷺ معظم أموال الغنائم على قريش وحرم سادة الأنصار منها، فشعر رجل واحد منهم كأنّ رسول الله ﷺ حابى قومه وجافى بذلك القبيلة التي شاركته التضحية والفداء وهي جماعة الأنصار، فجمع رسول الله ﷺ الأنصار وكان يعرف نفسيتهم الحقيقية مع الحالة الشعورية الطارئة مؤقتا، وخاطبهم مع مراعاة هذه الحالة النفسية بقوله: « يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم وَجِدَةٌ وَجِدَتُّموها في أنفسكم؟ ألم آتكُم ضُلاَّلا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وأعداء فألَّف الله بين قلوبكم؟ قالوا: الله ورسوله أمنّ وأفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله؟ الله ورسوله أمنّ وأفضل، قال: أما والله لو شئتم لقلتم، فلصَدَقتم ولصدّقتكم، أتيتنا مكذَّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطَرِيدا فآويناك، وعائلا فواسيناك، أَوَجِدْتُمْ عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعةً من الدنيا تألَّفْتُ بها قوما لم يسلموا، وَوَكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا تَرْضَون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاءِ والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لَـمَا تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وواديا وسلكت الأنصار شعبا وواديا لسلكت شعب الأنصار وواديَها، الأنصار شعار، والناس دثار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، قال: فبكى

القوم حتى أَخْضَلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا»، (زاد المعاد).

لقد اشتمل كلامه ﷺ في هذا النص على المراعاة النفسية من ثلاثة أنحاء هي: أولا تحريك شعورهم الذي كان يربط الأنصار برسول الله ﷺ، وهي نفسية الاتّباع الكامل والإيمان الخالص والتضحية والفداء التي كانت تغلب على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وهي التي كانت ملأت جماعة المسلمين كلها بالقوة والشوكة أمام الكفار، ولما رأى أنه نجح في تحريك هذا الشعور فيهم، واستنطق منهم قولهم « الله ورسوله أمنّ وأفضل » لجأ إلى الناحية الثانية وهي التقدير لمحبتهم وولائهم، والتفريج عن همهم الدفين في قلوبهم، وإعطاؤهم حق عاطفتهم الإنسانية الطبيعية، وذلك بذكر حفاوتهم وترحيبهم به في الأحوال القاسية، وقيامهم بكل تضحية في سبيل هذه المحبة والإيمان، ثم لما رأى أنّ قلوبهم هدأت وقرّت وعادت إلى سابق عهدها من الشعور الأخوي البريء بصَّرهم بقيمة إيمانهم ومكانتهم في التضحية والفداء، ثم دعا لهم وأثنى عليهم وأبدى تقديره لمحبتهم له وعطفه عليهم وإدخال نفسه فيهم بكل إخلاص، فكان أن بكوا من شدة التأثر، فكلامه ﷺ مثال رائع لمراعاة الحالة النفسية للمخاطَب عند الكلام بوضع التعبير الموافق لذلك واختياره اختيارا ملائما لها.

وهذا أمر مهم يجب أن يعرفه كل داعية ومصلح في مجال استخدامه للكلام الأولى لأهداف الدعوة والأجدر ببلوغ الغاية.



ومضى الصبا

شعر: معتز أبو شقير

غرب الصبا وتفرق الأصحاب ... فهوى الفؤاد كآبة وعذابُ
وتثاقل القلب الكبير بحزنه ... وتأوهت من أدمعي الأهداب
وتثاءب الحلم الجميل بخاطري ... فلكل حلم أبتغيه حجاب
عصف الخريف بفرحتي فتساقطت ... رهن الأسى تلهو بها الأنياب
وغزا الظلام مجالسي ومراتعي ... فالكون أدلج والحياة سراب
إني رضيت بشقوتي ومصائبي ... وأشك يرضى بالشقي مصاب
هذا زمان كله أكذوبة ... أولى به الكبريت والأحطاب
لم يبق لي في العيش غير حبيبة ... هي دمعتي وحنانها المحراب
من أجلها عَشِقَتْ دمشق مراكبي ... وتشربت قطرانَها الأعصاب
سميتها الومض الجديد لظلمتي ... واستبشرت رغم اليباس يباب
وضممتها لجوانحي من غربة ... والقلب يهذي في هواه، يذاب
في وجهها البدر المنير نقاوة ... كالأقحوان بحسنها تنساب
وحديثها همس الزنابق للندى ... فالطيب من همساتها معشاب
إني رأيت بناظريها موطني ... يرتاح فيه القلب والأهداب
لكنني وهمًا لقيت بحبها ... ومعاشه الأحزان والأوصاب
ووقفت بعد ملامة ومتاعب ... وسألتها هل سدّت الأبواب
صعق الفؤاد لردها وتناثرت ... من مقلتيَّ مدامع وعتاب
ورجعت أشكو للدروب كآبتي ... وتكسرت في راحتي الأنخاب
قسمًا سئمت تشردي ومدامعي ... فمتى القيامة إيه يا غلاب

الشاعر غازي القصيبي

وهذا التوحد بين الفن والصحراء


غازي القصيبي

بقلم: محمد محمود عبد الرازق

وحدت الكناية في مقطوعة «مثل صحرائي» للشاعر غازي القصيبي بين الشاعر وصحرائه. وهذا التوحد قد ارتفع بها إلى درجة من الفن عالية، وجعل حزننا حزنا مزدوجا. فنحن أمامها في حيرة من أمرنا، هل نحزن من أجل الصحراء الظمأى التي تبكي في الفجر حنيناً للطل؟ أم من أجل الشاعر الذي تغلغل ظمأ الرمل في شرايينه حتى أصبح في عالم المحال؟ ليس أمامنا خيار، فعلينا أن نحزن حزنًا موحدًا يجمع بين الإنساني وغير الإنساني.

إن هذا الشاعر القادم من بلاد الريح متكئاً على موهبته وحدها، يجعلنا نتخيل شخصاً أفريقياً يجلس تحت شجرة فارهة وارفة الظلال في غابة استوائية مستأنسة آمنة، يقرأ ديوان «**أبيات غزل**»، تقع عيناه على القصيدة، تهزه هزة نفسية أو ذهنية، يزداد وعياً بمأساة الإنسان، يشعر بأنها مأساته الخاصة برغم اختلاف المناخ والمكان. نفس الموقف نتخيل تحققه مع شخص يسكن الريف الإنجليزي البارد المشذَّب، أو يقعد على ضفاف النيل المصري الدافئ، سواء في الجيل الواحد أو في أجيال متعاقبة. بل إنني لأعتقد أن المعنى الكلي لمن يتغلغل في القصيدة تغلغلاً صادقاً لن يختلف كثيرا في الصحراء الواحدة بين جيلين متباينين: جيل ما قبل ظهور البترول، وجيل ما بعد ظهوره. فإذا كان البترول قد روى عظام الصحراء، وأهدى الظل إلى رمالها الصفراء، فإن الكتابة الشعرية سوف تؤدي إلى فهم أعمق للطبيعة والبشر، ومن ثمّ تفرض الرؤية الحقيقية، مهما قلنا بأن القصيدة ـ أي قصيدة ـ تعني شيئًا مختلفًا لكل قارئ حتى في الجيل الواحد.

وإذا كان الشاعر قد استلهم الصحراء ليقدم صورة متحركة موحية لقدر الشاعر، هذا القدر الغريب الذي يجعل من رحلته رحلة في عالم المحل، فإنه في مقطوعته «لا تعتذري» يستوحي البحر ليؤكد هذا القدر. إنه يسير في طريق مسدود، أو نهر بلا عودة. لكنه لا يملك التخلي عن مجرى الطريق أو النهر.

لا تعتذري
هذا قدري
أن أضرب في البحر الأزرق
أنا والزورق
والقلب الطفلي الأخرق
حتى نغرق

رواد هذه الرحلة الحياتية ثلاثة: الشاعر، وقلب الشاعر، والشعر. أو هما اثنان: الشاعر الذي لا يتخلى عن قلبه الطفلي الأخرق، والشعر. أو هو واحد: الشاعر. الشاعر الذي لا يتخلى عن قلبه، ولا عن زورقه الوحيد الذي يمخر به عُباب الحياة، إلى أن يتخطى الهموم كلّها بمفارقة الحياة. ومع بداية الغوص في البحر الأزرق، نجد أن الأسطر المقفاة بما فيها من حزن كسير في القافية الممدودة للسطرين الأولين، وحسم يأتي عن طريق التمكين في بقية الأسطر، والألفاظ الرقراقة الحالمة والإيقاع النابض بما فيه من قوة غنائية مائجة، كل ذلك يهيئ «إشارة» موفقة للمعنى الكلي الذي يؤكد استمرارية المأساة وقبولنا الراضي اللا إرادي لأبعادها.

لكن لماذا البحر أزرق والحزن أسود؟! هل نسي الشاعر أن البحر هنا رمز للشقاء، وليس بحراً حقيقياً فانساب مع عالم البحر الواقعي؟ أم أن غنائية القافية ـ والشعر من طبعه الغناء ـ قد فرضت عليه اللون؟ إن مما يرجح الظن الأخير أن القافية وغيرها من لزوميات العمود الخليلي ـ برغم أنه ليس من كهانه المتزمتين ـ تفرض نفسها عليه أحيانا كما في مقطوعة «مغرورة».

حبيبتي أميرة في النساء
تومض في ناظرها الكبرياء
جاد لها الحسن بما تشتهي
وأعطيت من دهرها ما تشاء
يقول عنها الناس مغرورة
ويلي من الناس.. من الأغبياء

فعبارة «**من الأغبياء**» زائدة. وهي زيادة فرضتها تكملة البيت والالتزام بالقافية. إذ إن المعنى قد اكتمل بعبارة «**ويلي من الناس**» الفلكلورية النائحة، ولم يعد بحاجة إلى إضافة. والحشو قد لا يكتفي بدوره الأساسي: أي بمجرد كونه حشوًا لا ضرورة له، بل إنه في الأغلب الأعم يضر بالمعنى المقصود. ومن هنا كان «**الترك**» أفضل من «**الزيادة**»، فالترك فراغ يملؤه المتلقي المشارك في صنع العمل بتصوراته وأوهامه. أما الزيادة فمضللة. إن القاعدة الأخلاقية التي تقول: «إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب» هي قاعدة ذهبية بالنسبة للفن أيضا. وقد استمدت أغلب مقطوعات هذا الديوان تأثيرها من إيجازها وعدم بوحها بكل شيء. ولا يخفى مدى الضرر الذي حاق بالمعنى، سواء أقصد الشاعر بـ «الأغبياء» كل الناس أم بعضهم. فقد تكون الإضافة

استدراكًا للتبعيض، خاصة وأن شاعرنا الرقيق ذا النزعة الإنسانية الرحبة ليس من هواة القذف. وإذا ما وردت لفظة مثل «الغباء» في شعره، فإنها لا تأتي منسوبة إلى غيره، كما نلحظ ذلك في مقطوعته «عذراء». وفي ديوانه «أنت الرياض» نراه يعاني من سبّ الناس له، فهو يقول في قصيدة «أحبك»:

أحبك.. رشِّي الأمن فوق مخاوفي
وطوفي كظل الفجر في غيهب الكرب
وغني ترانيم الحنان فطالما
تعذب سمعي بالفحيح وبالسّب

هل نسي الشاعر أن البحر في مقطوعة «لا تعتذري» رمز للشقاء؟ أم أن غنائية القافية فرضت عليه اللون الأزرق؟ لا هذا ولا ذاك في ظننا. فنحن نرجح أن الزرقة هنا رمز كالبحر وليست وصفًا طبيعيًا للبحر. اللون الأزرق لون

"تغلغل ظمأ الرمل في شرايينه فأبدع شعرًا صادقًا يُعبّر عن عاطفة الإنسان في الزمان والمكان"

عميق، والعمق اللامتناهي ــ كالامتداد والارتفاع اللامتناهيين ــ يدعو للتأمل الهادىء الرزين. ألا تريحنا الخضرة المترامية والصحراء الشاسعة والبحر العميق؟ والتأمل الهادئ الرزين يتّسم دوما بالحزن الواعي العميق.

...

...

اللون الأزرق لون حزين أيضًا، لكن حزنه عميق وقور، وحزن الأسود قاتم كئيب. ولهذا رأينا الكآبة تغلف مقطوعة «**الليل**».

الليل.. يا صديقتي
بعدك.. لا يطاق
في غرفتي السوداء..
لا يطاق
أود لو أسندت رأسي..
نحو صدر
أود لو بكيت
هل تعلمين ما يعاني
كائن يموت؟!

ونهاية الحزن القاتم الكئيب هي الموت. أو أنه الموت الذي صوره تصويرًا خانقًا بقصيدة «الأخطبوط». والأخطبوط هو العدو الصهيوني الذي يلف أذرعه السوداء حول أجسادنا، ليمتص دماءنا ويزهق أرواحنا:

يدٌ لفّت على عنقي
وثانية على ساقي
وثالثة
ورابعة
أُحِسُّ الأذرعِ السوداء
تشرب من شراييني
تمص الروح من جسدي
فأين يدي؟
وأين أضعت سكيني؟
وكانت لي ـ على الساحل ـ
آلاف من الأيدي
وآلاف السكاكين

التربيع في شعر القصيبي

ويبدو أن شاعرنا من هواة «التربيع». ونستطيع أن نرجع ذلك إلى الفصول الأربعة، كما تدلنا مقطوعتيه «**الصيف**» و«**الحزن**»، وإلى الجهات الأربع الأصلية التي ترمز لها ــ في نظرنا ــ الموانئ السود بقصيدته «الحب والموانئ السود». وما يهمنا هو توحده وحبيبته بمدينته أو عاصمة بلاده، في قصيدة «أنت الرياض»:

وفي آخر الليل.. يأتي المخاض
وأحلم أنّا امتزجنا
فصرتُ الرياض
وصرتِ الرياض
وصرنا الرياض

ويذكر الشاعر في هذه القصيدة أسماء ثلاثة أماكن: «**الوشم**» و«**الناصرية**» و«**خريص**». وقد عشت في **الرياض** في بداية السبعينيات، وكانت هذه الأماكن من قبل في أطراف المدينة، ثم احتضنت «**الوشم**» و«**الناصرية**» وإن ظلت الثانية متنزهًا قريبًا في ليالي الصيف. أما «**خريص**» فكانت بداية الطريق البري إلى الدمام، وكانت تبعد كثيرًا عن المدينة قبل إنشاء المطار الجديد، وتتناثر في أماكن متفرقة منها المقاهي الشعبية التي كنا نقضي بها ليالينا الصيفية. وكانت هذه الليالي تمتد حتى مطلع الفجر، وخاصة في أيام الإجازات، فكان يحلو لنا النوم على «**المراكيز**» بعد أن يمدنا عامل المقهى بالغطاء والحشية الصغيرة [الوسادة] التي نسند عليها رؤوسنا. فلا غرابة بعد ذلك أن يراها الشاعر في

الشاعر غازي القصيبي



عينيّ حبيبته حين تغيب الرياض، وأن يرى حبيبته حال غيابها في الرياض.

وحين تغيب الرياض
أحدق في ناظريك قليلاً
فأسرح في الوشم والناصرية
وأطرح عند خريص الهموم
وحين تغيبين أنت
أطالع ليل الرياض الوديع فيبرق وجهك بين النجوم

على قدميها
وما تنعش الريح في وجنتيها
وترحيبها بالغريب الجريح
على شاطئيها
وطعم الغبار على شفتيها
أحبك حبي عيون الرياض
يغالب فيها الحنين الحياء
أحبك حبي جبين الرياض
تظل تلفعه الكبرياء
أحبك حبي دروب الرياض
عناء الرياض، صغار الرياض

بين المكان في الشعر والموسيقى في النثر

لقد اهتم الشعر العربي منذ أقدم العصور بذكر أسماء الأماكن، بيد أن الدارسين لم يلتفتوا إليها، واكتفوا بقولهم: «اسم مكان». كأن الشاعر قد اختارها دون توظيف يركز على معنى أو يتضمن إشارة. وبهذا ضاعت علينا ثروة كبيرة، في زحمة تفسيراتنا التي ترضي اللغة ولا تشفي غليل الفن.

وأحسب أن هذه القصيدة قد راودت الشاعر طويلاً، وأنه قد خطط لها ناثرًا قبل أن ينطلق بها شاعرًا. يؤكد هذا الزعم مقطوعته النثرية «الرياض» التي يضمها كتابه «عن هذا وذاك». إذ نراها تمسّ روح القصيدة: «أيها المدينة الصحراوية: يغسل الغبار شعرك، يدخل الرمل في أجفانك، تعبث الريح بملامحك حتى تمل، تغرز الشمس مساميرها في جبينك. وتبقين مع ذلك مليحة كامرأة بدائية لم تعرف المساحيق، ولم توهب سوى فورة الحياة وعنفوانها. ويا أيتها المدينة الصحراوية: قاسية أنت قسوة الهجير، غامضة كسفرة الليل، جافة كالآبار القديمة، مترامية كالأساطير، وتبقين مع ذلك مثيرة مغرية معشوقة. ويا أيتها المدينة الصحراوية: ذكرتك حيث لا رمال ولا جفاف فاشتقت إليك!».

ويتتابع الوصف في الفقرتين الأوليين على وتيرة واحدة إلى حد الملل، ولا ينقذنا منه غير الفقرة الأخيرة، بما تحمل من شحنة شعورية. فبرغم الرمال، وبرغم الجفاف، لا ينسى وطنه. أو كما قال أمير الشعراء:

وطني، لو شُغلت بالخلد عنه　　نازعتني إليه في الخلد نفسي

أما القصيدة فتنساب انسيابًا عذبًا مع احتضان الكناية لها منذ البداية، وإلى أن يتم التوحد في النهاية.

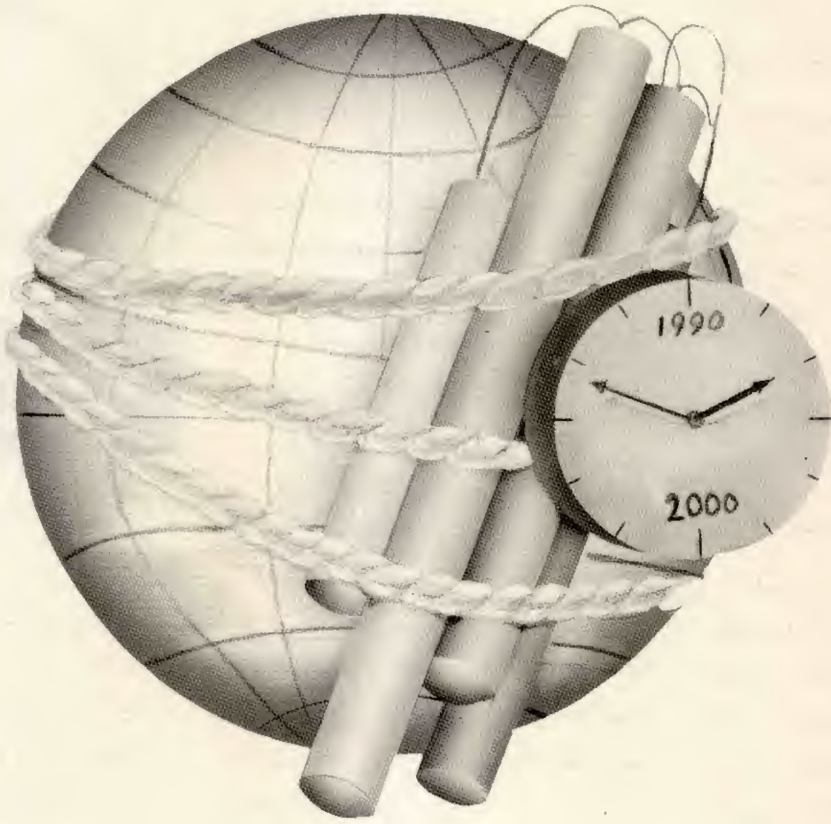
كأنك أنت الرياض
بأبعادها.. بانسكاب الصحارى

خلاف مع القصيبي

إن الموسيقى هي أرقى الفنون، لا يختلف على ذلك أحد. والشعر هو أرقى الفنون القولية بالضرورة؛ لاقترابه من الموسيقى إلى حد كبير. ولا نعني بالشعر النظم سواء التزم بالعمود أو التفعيلة، وإنما نعني به دفقات الشعور سواء أجاءت نثرًا أم شعرًا. وللنثر أيضًا موسيقاه التي لم يكتشفها الخليل بن أحمد وما زالت بانتظار خليل جديد. ولهذا فنحن نختلف مع القصيبي اختلافًا جذريًا لقوله بمقاله «عن الشعر والشعراء»: «ومن الأوهام التي تحيط بالشعر وتأبى أن تفارقه وهم مؤداه أن الشعر - ولسبب مجهول لم يوضحه أحد بعد - يفوق غيره من وسائل التعبير الفني. وهذا الوهم هو الذي يدفع كل طالب في المدارس الثانوية إلى تجربة حظه مع الشعر. وهو الذي يدفع بعض كتاب النثر الفني إلى الإصرار على أن ما يكتبونه شعر. وهو الذي يجعل معظم الشعراء يشعرون بشئ من الزهو والتعالي على غير الشعراء. والحقيقة - ومعذرة للشعراء من القراء - هي أن الشعر من حيث المبدأ لا يتمتع بأي ميزة على غيره من وسائل التعبير. بوسع قطعة نثرية أن تكون أروع وأجمل وأعمق أثرًا من قطعة شعرية. وبوسع مسرحية أن تثير في قارئها من النشوة الفنية ما لا يثيره مائة ديوان. بل إن الكلام العادي يتفوه به إنسان عادي قد يكون في بساطته وعفويته وصدقه أروع من أعمق الرموز الشعرية».

فهو هنا يخلط بين النثر والشعر، بين القالب والشاعرية. ونحن لم نرفض «الرياض» لأنها منثورة، وإنما لنثريتها. ولم نقبل «أنت الرياض» لأنها منظومة، وإنما لشاعريتها. وإذا ما استعرنا تعبير غازي القصيبي نفسه فسوف نقول إنّ النثر هو «الفحم» والشعر هو «النار».

ولماذا
كلما حركنا الشعر غزانا النثر
فالألفاظ فحم دون نار؟



كيف يقودنا العقد الأخير إلى القرن القادم؟

إعداد: رجب محمد السيد

هل يمكن أن يكون عقد التسعينيات مختتما طيبا للقرن العشرين، تتخلص فيه البشرية من كل، أو معظم، أو - حتى - بعض مشكلاتها الضاغطة، لينتهي القرن نهاية سعيدة ويستقبل البشر قرنا جديدا من الزمن وقد خلا العالم من البثور وسلم جسمه من الجروح ؟

أخشى أن أبدو متشائما. إنني ـ للأسف الشديد ـ لا أعتقد أن أحدا يجرؤ على التفاؤل، ونحن نفتتح هذا العقد بحرب مؤسفة في منطقة الخليج العربي، وحروب أهلية في أكثر من مكان على سطح هذا الكوكب المرهق الذي ننتمي إليه.

وثمة إجماع بين المهتمين باستقراء أحوال العالم في عقد السبعينيات على أن سكان الأرض سيواجهون، خلال السنوات الثماني المتبقية من هذا العقد، صفوفا متتالية من المشكلات التي تستعصي على محاولات الحل، والتي يتوقعون لها أن تحير مؤسسات صنع القرار في العالم، وتجعلها تتخبط في خططها وسياساتها التي تضعها لمواجهة هذه المشكلات. ويتوقعون، أيضا، أن تضيف تلك المشكلات إلى مصاعب الحياة أعباء وضغوطا تفوق قدرة البشر على التحمل، مما يؤثر بالسلب على دعائم الاستقرار والأمان في أنحاء عديدة من العالم.

لقد تكاثرت مشكلات البشر خلال القرن العشرين بمعدلات متزايدة حتى إن أحدا لا يستطيع أن يحصى عدد تلك المشكلات التي ستواجه كافة شعوب العالم دون استثناء وتعطب العلاقات والتوازنات الطبيعية في العقد الأخير من هذا القرن. وسوف تبلغ هذه المشكلات درجة من الحدة تجعل من هذا العقد أصعب سنوات مرت بالبشرية منذ ظهر الإنسان على الأرض.

وينظر بعض المهتمين بمستقبل العالم إلى الصورة من منظور مختلف، فيرون أن مصادر الإزعاج التي تواجه البشر ليست إلا نتاجا للتقدم ودليلا عليه في آن واحد. فكلما ازداد إدراكنا للكيفية التي يدار بها العالم، وكلما اتسعت خطوات البشر في اتجاه تحسين ظروف معيشتهم، فإننا نجد أنفسنا أمام مشكلات جديدة، ما كنا لنكتشفها لو



كيف يقودنا العقد الأخير إلى القرن القادم ؟

أننا قعدنا عن دراسة أحوال عالمنا ورفع مستوى معيشتنا .

ولا تخلو رؤية هذا الفريق من العلماء من مسحة من التفاؤل ؛ فهذا التيار المتزايد من المشكلات والصعوبات يجب ألا يسلمنا لليأس ، ويجب أن يكون واضحا لدينا أن كل مشكلة تبرز إلينا يمكننا أن نجد لها الحلول الناجعة .

لقد حاولت منظمة علمية في بروكسل تسمى (اتحاد المنظمات العالمية) أن تحدد بعض مشكلات العالم في عقد التسعينيات ، فأصدرت مؤخرا قائمة تضم أكثر من عشرة آلاف مشكلة عالمية نختار منها :

(١) شبح الحرب العالمية الثالثة

بالرغم من التحولات الجذرية والمباغتة التي طرأت على أحوال الجغرافيا السياسية للعالم مؤخرا ، فإن أدوات وأسلحة الحرب المدمرة لا تزال موجودة ، ويصعب القول بأنها أصبحت لا تهدد العالم بحرب عظمى آتية .

(٢) نمو القدرات النووية لعدد متزايد من الدول

وقد يأتي يوم تقرر فيه واحدة من هذه الدول استخدام هذه القدرات في مغامرة عسكرية . كما أن أساسيات صناعة الأسلحة الذرية لم تعد سرا ، ويستطيع الطالب الجامعي أن يحصل على الكثير من المعلومات حول هذه الصناعة في المكتبات العلمية . وقد فشل المجتمع الدولي - فيما يبدو - في إيجاد وسيلة لوقف انتشار هذه الأسلحة المدمرة .

(٣) الإرهاب

أصبح على الأفراد العاديين أن يدفعوا حياتهم ثمنا لاختلاف في وجهات النظر السياسية بين الدول والجماعات والأحزاب ، يتم التعبير عنه بأعمال العنف التي تهدد حياة البشر في منازلهم ومحالّ عملهم ووسائل مواصلاتهم . والعجيب أن تعريف الإرهاب يخضع لاختلاف وجهات النظر أيضا ، فجانب يعتبره جريمة ، والجانب المضاد يرتفع به إلى مرتبة الأعمال البطولية !

(٤) اندثار ثقافات

فقد أدت وسائل الاتصال الحديثة إلى تزايد الحاجة إلى لغة عامة يفهمها كل سكان الأرض ، وإلى مصطلحات ومعايير قياسية موحدة يدركها ويستخدمها الجميع . وعلى سبيل المثال ، فإن النظام (المتري) قد حل محل الوحدات المحلية للقياس في معظم أرجاء المعمورة ، كما ازداد انتشار اللغة الإنجليزية ، حتى إنها الآن تكاد تكون اللغة العالمية الأولى .

والمؤسف في الأمر أن ذلك قد يكون ، أحيانا ، على حساب ضعف بعض الثقافات الوطنية واضمحلال بعضها الآخر ، وقد يكون مصحوبا باضطرابات سياسية . وعلى سبيل المثال ، نجد سكان كندا الناطقين بالفرنسية يكافحون من أجل الاحتفاظ بلغتهم ضد طغيان اللغة الإنجليزية .

(٥) من يملك المحيطات ؟

توسعت الأمم في فرض سيطرتها وملكيتها للمساحات من المحيطات الواقعة أمام سواحلها . وإذا استمر هذا التوسع بالمعدل الحالي ، فإن البلدان الساحلية ستنتهي إلى الاستئثار بالمحيطات وتقسيمها فيما بينها ، غير عابئة بحق البلدان غير الساحلية في وجود مناطق من المياه والممرات البحرية الدولية .

صحيح أن ثمة مبدأ تعترف به دول العالم ، وينص على حرية الملاحة في المحيطات واستغلال مصايدها وكافة مواردها ، ولكن المؤسسات ذات الصلة بهذا المجال تحجم عن استثمار أموالها في مشروعات لتطوير واستغلال الموارد البحرية مادامت حقوقها في المناطق التي تعمل بها لا تحترم .

والمتوقع أن تزداد حدة النزاعات حول ملكية الموارد الطبيعية البحرية في المحيطات قبل أن ينتهي هذا القرن .

(٦) تلوث الهواء

تُفسد المخلفات الغازية للمصانع ووسائل المواصلات الهواء ، وتؤدي إلى مشكلات صحية لملايين البشر ، كما تدمر المحاصيل الزراعية وتشوه المباني والآثار .

وبالرغم من انتشار الوعي والاهتمام العريض بمشكلات التلوث في السنوات الحالية ، فإن حالة الهواء في كل أنحاء العالم آخذة في التدهور .

(٧) تلوث المياه

تحمل مياه الصرف بقايا المبيدات الحشرية والأسمدة الكيماوية من الأراضي الزراعية الى الأنهار ، ومنها إلى المياه الساحلية . كما تستقبل نفس المسطحات المائية المخلفات الآدمية والنفايات الكيماوية ، فيؤثر ذلك على أنواع الحياة الطبيعية في الأنهار والبحار ، كما يسيء إلى النشاطات السياحية .

(٨) اضمحلال طبقة الأوزون

وهي تمثل درعا تحجب الأشعة فوق البنفسجية عن سكان الأرض . وقد تسببت غازات الكلوروفلور كربون في إضعاف هذه الطبقة . . وهي غازات تستخدم عادة في أجهزة التبريد ، وكمادة حاملة في عبوات المبيدات وزجاجات العطور الرشاشة .

ويؤدي ضعف طبقة الأوزون إلى تزايد عدد الآدميين الذين يعانون من سرطان الجلد ومن العمى ، كما يمتد تأثير الأشعة فوق البنفسجية إلى النباتات فيهلك بعض المحاصيل الغذائية الهامة مثل القمح والأرز والبطاطس .

(٩) ظاهرة الدفيئة (الصوبة الزجاجية) وعواقبها

يتزايد تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي ، فيعمل على احتجاز الأشعة الحرارية ، ويمنعها من الارتداد خارج الغلاف الجوي ، مما يعني التزايد المستمر في درجة حرارة الأرض ، الأمر الذي يعمل على إذابة الثلوج في القطبين الشمالي والجنوبي ، وارتفاع مستوى سطح

المياه في البحار والمحيطات، مما يعني تهديدا بغرق العديد من المدن والأقاليم الساحلية.

(١٠) الضوضاء

شهد القرن العشرون ارتفاعا واضحا في مستوى الضوضاء، فكانت مسببا جديدا للتوتر العصبي ولتزايد حالات ضعف السمع. والعجيب، أن الأجهزة الموسيقية الحديثة قد انضمت إلى مصادر الضوضاء من الآلات الميكانيكية مثل الأوناش، والحفارات، وآلات جز الحشائش. وقد أثبتت الأبحاث ضعف السمع عند نسبة عالية من الشباب هواة هذه الموسيقى الصاخبة.

(١١) القمامة

حتى القمامة، أصبحت مشكلة عويصة، يحتار أمامها المسؤولون عن النظافة وبخاصة في المدن الكبرى، حيث لا يجدون أماكن مناسبة يتخلصون فيها من القمامة.

(١٢) اضمحلال الموارد الطبيعية

وأوضح صورة لذلك، تعرض المصادر التقليدية للطاقة، مثل البترول والفحم والغاز الطبيعي، لعمليات استغلال مكثف، حتى إنها لم تعد تفي باحتياجات العالم المتقدم المتزايد.. بل إن بعض هذه المصادر على وشك النفاد. إن ذلك يجعل أسعار الطاقة في تزايد مستمر، ولا يجعل المستهلكين مطمئنين إلى توافر الطاقة في المستقبل. وللأسف الشديد، فإن بدائل هذه المصادر التقليدية، مثل طاقة الرياح، ، والطاقة الشمسية، لا تزال بعيدة عن متناول معظم سكان العالم.

(١٣) تعرض بعض أنواع الكائنات لخطر الانقراض

إذ تختفي آلاف من أنواع الكائنات الحية النباتية والحيوانية من خريطة الحياة على سطح الأرض، في الوقت الحالي، كما أن آلافا أخرى معرضة للانقراض خلال عشرات السنين القليلة القادمة.

(١٤) كارثة الإدمان

ويعاني منها أغنياء الأرض وفقراؤها على حد سواء، ويمكن أن تتميز إلى مشكلات متعددة، مثل: تعاطي وتهريب المخدرات ـ تزايد معدلات الجريمة ودخول التكنولوجيا في مجال الجريمة ـ مشكلة الأمهات المدمنات ـ الكحوليات ـ التدخين والمدخنون.

مشكلات متعددة

إن هذا العدد الكبير من مشكلات العالم الذي استطاع (اتحاد المنظمات العالمية) رصده في قائمته يدل على أن العالم يعاني من عدد ضخم جدا من المشكلات يزيد عن العدد الذي ضمته تلك القائمة، إذ أنها لم ترتكز إلا على المشكلات الضخمة ذات التأثير العريض الذي يشمل العديد من البلاد والأقاليم. وربما يصل الرقم إلى الملايين إذا تم رصد المشكلات الأصغر ذات الصفة الإقليمية المحدودة.

وبغض النظر عن مجموع المشكلات، فمن المؤكد أن تزايد عددها يرجع، في جانب كبير منه، إلى التقدم المطرد في العلوم الحديثة والتكنولوجيا.. فهذا التقدم يضع أيدينا وأعيننا على مشكلات كانت موجودة أصلا، ولكننا لم نكن لنكتشفها لو لم يوفر لنا العلم والتكنولوجيا أدوات هذا الاكتشاف. وفي نفس الوقت، فإن هذا التقدم وهو ـ يعالج المشكلات القديمة ـ قد يوقعنا في مشكلات جديدة تتخلق في عمليات علاج القديمة. فعنصر الرصاص ـ على سبيل المثال ـ يستخدمه البشر منذ عصر الرومان، ولم تكتشف أخطاره إلا حديثا، وبعد أن تعرض له البشر على مدى عدة قرون من الزمان. ولقد كان الرصاص سببا في موت أعداد لا يمكن حرصها من البشر على مدى تلك القرون، ولكن الصلة بين موتهم واستعمالهم للرصاص لم تكن معروفة ومثل هذا الجهل بالأمور معناه أن أجدادنا كانوا يتناولون أطعمتهم وهم مطمئنون، غير دارين بالمخبوء. أما الآن، فإن القلق ينتابنا مع كل لقمة نبتلعها من الطعام، بعد أن أثبتت الأبحاث أن أطعمتنا لا تكاد تخلو من مادة أو أكثر من المواد الخطرة على صحة الإنسان، ابتداء من الكوليسترول والصوديوم إلى المواد المسرطنة.

كما أن لا أحد ينكر فضل بعض الأدوية والعقاقير الحديثة في علاج الأمراض التي كانت مستعصية في الماضي. ولكن تلك الأدوية أتت معها بتأثيرات جانبية تحمل درجات متفاوتة من الخطورة على صحة المرضى.

وقد أعطتنا التكنولوجيا أجهزة وتركيبات حديثة لتسهيل المعيشة في المنزل ومحل العمل، ولكن هذه جاءت معها ـ أيضا ـ بمشكلات وتعقيدات نقل التكنولوجيا في الدول المستهلكة لها، كما أنها أثرت بصورة أو بأخرى على سلوكيات وأنماط الحياة البشرية، وأصبحت تمثل ـ بالنسبة للكثيرين ـ مصدر أعباء إضافية، حين يضطرون إلى إنفاق المزيد من المال والوقت والجهد لاكتساب مهارة تشغيلها بكفاءة، أو لصيانتها.

وهل كنا نعرف شيئا عن (فيروس الحاسوب) قبل أن ينتشر الحاسوب بيننا ويتداخل في أحوال معيشتنا بهذا الشكل المؤثر، ويجعلنا في حالة قلق دائم مخافة أن يتسرب ذلك (المرض) المستحدث إلى أجهزتنا فيشيع الاضطراب في حياتنا.

إن غاية ما نأمل فيه هو أن تترفق بنا تلك المشكلات المستجدة والمتولدة في أرحام المشكلات القديمة، فلا تكون لها نفس درجة خطورة المشكلات الأمهات!

إن إحساسنا بحدة هذه الأعداد المتزايدة من المشكلات التي تواجه البشرية يأتي ـ بشكل أساسي ـ من تفكيرنا المستمر فيها ككتلة واحدة معقدة تجثم فوق صدورنا، فيصيبنا الفزع، ويتمكن منا اليأس.. فكل المشكلات الكبرى تبدو كنسيج معقد، يصعب التعرض لكل منها منفصلة عن غيرها.

وعلى أية حال، فإن بداية القرن الواحد والعشرين تدق أبوابنا.. ولن نستطيع إلا أن نفتح لها ونستقبلها.. والغالب، أنها ستجدنا لا نزال متعثرين في تركة أزمات ومشكلات القرن المنتهي. والمؤكد ـ أيضا ـ أننا سيكون علينا تحمل المزيد من المشكلات المستجدة في القرن القادم، ولابد أنها ستكون مختلفة الطابع. والمؤكد ـ كذلك ـ أننا أو أبناءنا وأحفادنا ـ بإذن الله ـ سنكون مضطرين إلى مكابدة الحياة بكل ما فيها.. ولعل أحوال العالم تزداد استقامة، ويدرك الجميع أنهم يعيشون في قرية كبيرة، يصعب على أي من أهلها أن يعيش فيها لنفسه فقط.

رحلة وراء الكتب

بقلم: محمد بن عبدالله الحمدان

ما أكثر الكتب التي يستفيد الناس منها وتسد فراغا كبيرا في المكتبة العربية . . فقد صدر للأستاذ عبد الرحمن السويداء (فصيح العامي في شمال نجد) وصدر للدكتور عبد العزيز الفيصل (من غريب الألفاظ المستعمل في قلب نجد) ولدى الأستاذ محمد العبودي كتاب جيد ينتظره القراء بفارغ الصبر وهو (معجم الألفاظ العامية في نجد) ولطول باع العبودي في هذا المضمار سيكون كتابه قمة في موضوعه كما فعل في كتابه (المأثورات الشعبية) وفي كتبه الأخرى.

وسمعت عن كتاب صدر في الإمارات العربية المتحدة للأستاذ فالح زكي حنظل هو (معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة) والمؤلف أديب وباحث عراقي مقيم في الإمارات ـ وفي رحلة لي إلى دبي أو الظُّبيّ بحثت عن هذا الكتاب في مكتبات دبي والشارقة (دار الحكمة ، مكتبة دبي، الآداب) فلم أجده واتصلت بالمكتبة الإسلامية وهي مكتبة صغيرة في دبي تُعنى بالكتب القديمة فقال : إن لديه منه نسخة واحدة فهرولت إليه (درهمت حسب لهجة منطقة جنوب نجد) فألفيت الكتاب صدر عام ١٣٩٧هـ في ٦٨٦ صفحة أصدرته الإدارة الثقافية بوزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات العربية المتحدة وهو كتاب قيم ظل مؤلفه يجمع مادته ست سنوات من أفواه البدو في صحرائهم والحضر في مدنهم وفيه كثير من الكلمات مطابقة للعامية لدينا في المملكة . وقد مررت على الكتاب مرورا أسرع من مرور الكرام ـ بانتظار فرصة أوسع ومجال أرحب أرجو أن يأتي لاستعراض الكتاب ـ وقد عنّت لي بعض الملاحظات أؤجلها لضيق الوقت كقول المؤلف عن (الدّارسين) إنه نبات القرنفل وعن (المسمار) أيضا إنه نبات القرنفل مع وجود فرق بينهما ـ ووجدت لدى المكتبة الإسلامية كشكول العاملي طبعة بيروت في ٤ مجلدات ولكن طبعة الكتاب سيئة (دار الزهراء، بيروت) فالحروف مكسرة والحبر قليل ويظهر أنه تصوير سيء، وهذا الكتاب ومخلاة العاملي من الكتب المفيدة المسلية ورأيت به أبياتا شهيرة لم يوردها صاحب كتاب (معجم الأبيات الشهيرة) لحسن نمر دندشي الذي سيأتي ذكره كهذا البيت :

ليس بعلم ما حوى القمطر

ما العلم إلا ما(وعاه) (الصدر)

وكهذين البيتين الطريفين :

مضت عني تشد على اللثام

ومدمعها كدمي ذو انسجام

فقلت لها متى ألقاك ؟ قالت :

قبيل الصبح لكن في المنام !

وكتاب الدندشي فوجئت به في مكتبة دار الحكمة في دبي نسخة يتيمة ولكن (الأستاذ علي) المسؤول في المكتبة وعد بطلب نسخ منه من بيروت وإرسالها لمكتبة قيس بالرياض . الكتاب من منشورات جرّوس برس في لبنان صدر عام ١٩٨٦م في ٢٦٣ صفحة استمتعت بقراءة معظمه، وقد ترك مؤلفه فراغات كثيرة في بعض الأبيات وفي أسماء قائلي أبيات أخرى على أمل معرفتها في المستقبل .

وقد أزمعت عرض تلك الأبيات على شوارد الشيخ عبدالله بن خميس فقد تكون موجودة هناك وكذلك على كتاب (قول على قول) وكتاب (من تراثنا الأدبي . . قول وخبر) للدكتور جبرائيل جبور الذي يضم برنامجا أدبيا أذيع من إذاعة لبنان .

ومؤلف (معجم الأبيات الشهيرة) دكتور في اللغة العربية وآدابها وله مؤلفات أخرى ومن الأبيات التي ترك مكان بعضها بياضا ـ البيت .

والضد يظهر حسنه الضد

وبضدها تتبين الأشياء

لم يثبت صدر البيت وهو مشهور متداول .

ومن الـذاكرة لـلأستاذ عبـد الكريم بن حمـد الحقيل كتـاب حـول هـذا الموضـوع هـو (مرجع السـاجل للبيت والقـائل) إلا أنـه للمساجـلات أقـرب.

وإني أرجـو أن أتمكـن من إكمـال قـراءة هذا المعجـم لأكتب للقـارئ ملاحظاتي عليـه ولأكتب لمؤلفـه ما عساني أجده مـن أبيات ناقصة أو شعراء لـم يتمكن من معرفـة أسمائهـم.

ومن الكتب التي وجدتهـا لدى هـذه المكتبـة الصغيـرة القـديمـة مـؤلفات عبـاس محمود العقـاد كلها مجموعـة في خمسـة مجلدات ضخمة، وكتب مؤلف لبنـاني أو شاعـر لعلـه أميـن نخلـة إن لـم تـخنـي الـذاكرة مجموعـة في ٧ مجلدات لـم آخذهـا لأن معي هـذه الـمرة من الكتـب والمجلات حمل بعير وسأتركها لرحلـة قادمـة (أتعذرها).

ومن الكتب التي رأيتهـا في سفري هـذا كتاب (سجـل أسماء العـرب) في أربع مجلـدات وهـو وسابقـه (معجـم أسماء العرب) اللذان أصدرتهمـا جامعـة السلطان قـابوس في عُـمَـان أضافـا ثروة مهمة للكتب التي تبحث في أسماء العرب ومعانيها والتي منها في مكتبتي عـدة كتب منها:

* أسماؤنـا: أسرارهـا ومعانيهـا ـ عبـود أحمد الخزرجي ـ طبعتان.

* أسماؤنا العربية الجميلة ـ فخر الدين فخر الدين ـ ١٤١٠ هـ.

* أسماء البنات ومعانيها ـ محمد إبراهيم سليم ـ ١٤١٠ هـ.

* أسماء الناس معـانيها وأسبـاب التسمية بها عباس كاظم مراد ١٩٨٤ م.

* أسماء مختارة لطفلك ـ خـديجة عبد القدوس المتوكل ١٤١٠ هـ.

* الأسماء ومعانيها ـ وليد ناصف.

الـدر الثمين في أسماء البنـات والبنين ـ محمـد مقبل ـ ١٢٩٤ هـ.

* قاموس الأسماء العربيـة ـ شفيق الأرناؤوط ـ ١٩٨٨ م.

* كيف تختـارين اسم ولـدك ـ بشرى عبدالرحمن وسماء أحمد أكرم.



* ليالي السابع دليل الأسماء العربية بين القديم والحديث ـ عبد القادر إبراهيم الفاسي.

* ماذا تسمين ابنتـك؟ ـ منى صـلاح الدين المنجـد.

* مـاذا تسمين طفلك؟ الأسماء العـربيـة ومعانيها ـ سلسلـة الحسناء العصرية.

* مرشـد الأسماء العربيـة للذكـور والإنـاث ـ وزارة الصحة ١٤٠٦ هـ.

* مئتـا اسم عربي لطفلـك.

* معجم الأسماء العـربيـة ـ نـديم عـدي، والعماد مصطفى طلاس ١٩٨٥ م.

* معجم أسماء العـرب ـ مجلـدان ـ مـوسوعـة السلطان قابوس لأسماء العرب.

* سجل أسماء العرب ـ ٤ مجلدات ـ موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب.

وتعجبت عدم وجود مصـادر للكتابين اللذين أصدرتهما جامعة قـابوس واللذين حشد لهما جيش جرار من المعدين والمحررين والمشرفين يتناسب مع ضخـامـة العمل الـذي تم فيهما وحيـث ذكـر في المعجم الاستعـداد لتقبل الملاحظـات لتداركهـا في الطبعـات القادمـة فقـد بـدأ الشيخ حمد الجاسر ملاحظـاته القيمـة والوحيـدة فيما اطلعت عليه في مجلته الصامدة برغم الجحود (العرب).

ووجدت من الكتب التي تتناول تاريخ الجزيرة العربية كتاب (المفصل في تـاريخ الإمارات العربية المتحـدة) في جزأين تأليـف الأستاذ فـالح حنظل وفيـه نتف تتعلق بتاريخ الـدولة السعوديـة الأولى واستفدت من مصادره لأضمها للقائمة التي أعدها الآن لتكـون نـواة لكتـاب يضم أسماء الكتب التي ألفت عن الجزيـرة العربيـة أو عن المملكة العـربية السعودية بالذات.

وكـان الأستـاذ إبـراهيم بن هـلال، وهـو من المهتمين بكتب التراث وكتب تـاريخ المملكة، قـد أهـداني نسخة من مجلـة (الشروق) التي تصـدر في الشارقة العدد الثالث الصادر في ٢٩/٤/١٩٩٢م وفيـه مقـابلـة مع الأديب والمؤرخ الأستـاذ عمـران العويس ذكر فيها شيئـا عن تاريخ المنطقة والكتب النـادرة والتاريخية والطريفـة، وقد لفت انتباهي في مكتبته (الديوان الـذي طبع في اليابان) (أوساكـا) عـام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) فحـرصت على مقابلـة العويس في سفرتي هذه وهذا ما كان وقد استفدت من علمـه ومعلومـاتـه القيمـة وألفيته على اطـلاع مستمر على المجـلات الثقـافيـة السعـوديـة: العرب/الفيصل/ المجلة العـربية/ الـدارة/ اليمامة.. إلخ ولـديـه اطـلاع واسع على الكتب التي تتعلق بتاريخ الجزيرة العربية.

مِنْ كُتّابِ العَدَد



● محمد بن عبد الله الحمدان
ـ من مـواليد بلدة البير إحدى قـرى المحمـل شمال غرب الرياض.
ـ تخرج في كلية العلوم الشرعية بالرياض عام ١٣٨٣هـ.
ـ عـضو مـؤسسة الجزيـرة الصحفية ونادي الرياض الأدبي وجمعية الثقافة.
ـ من مؤلفاته:
صبا نجـد.. نجد في الشعـر العربي، بنـو الأثير الفـرسان الثـلاثـة، ديوان حميـدان الشـويعـر، ديوان السامـري والهجيني.
ـ له تحت الطبع:
البير، تأمـلات في كتـاب الله، المرأة «الجنس اللطيف».
ـ يحتفظ في مكتبتـه الخاصـة بالكثير من الكتب والمجـلات والجرائد النـادرة والطريفة.
ـ لـديـه متحف خاص يـضم نـوادر المأثورات الشعبية ومتحف لمكتبة قيس



عند أهل الكتابة:
الطبع والتكلّف

بقلم: د. عبدالله الحامد

كان القدامى يتحدثون عن نمطين من الأدب. نمط فطري، لا يتكلّف فيه كاتبه، ولا يظهر أثر عرقه على صفحات أدبه، وسمّوا ذلك المطبوع. وآخر يظهر فيه الجهد والتثقيف، وأثر الروية والتأمل، والتهذيب أحيانا، وسمّوه المصنوع. وهناك نمط يظهر فيه من التهذيب ما يدل على أن الشاعر بذل جهده، ولكنه لم يوفّق في إخفاء أثر هذا الجهد، وسمّوه (المتكلّف)، وقد آثرنا أن نستبعد مصطلح الصناعة، لأنه فقد دقته اليوم فأصبح يرمى بالتكلف.

فَمَن الأديب المطبوع؟ الأديب المطبوع، هو الذي يجرى الأدب من قلمه كالينبوع، لا تجد فيه التواء أو غموضا، فألفاظه سهلة مألوفة، يطلقها كاتبها على الفطرة، لا يضع المعجم بجانبه، ليأخذ منه قافية صعبة، لم يأت بها كاتبها إلا لضرورة النظم، إنما تأتي ألفاظه طيّعة، كالماء المنحدر، وهو واضح المرامي، لا تحس فيه بأن الفكرة تتلاشى عنك، بل تجدها جليّة. كما وصفه **أبو هلال العسكري** بقوله: «**لا خير في المعاني إذا استكرهت قهرا، والألفاظ إذا اجتُرَّت قسرا، ولا خير في ما أجيد لفظه إذا سخف معناه، ولا في غرابة المعنى إلّا إذا أشرق لفظه مع ظهور المقصد، وقد غلب الجهل على قوم، فصاروا لا يستجيدون الكلام، إذا لم يقفوا على معنى بِكْرٍ،** ولا يستفصحونه إلا إذا وجدوا ألفاظه غليظة جاسية غريبة، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلسا عذبا، وسهلا حلوا، ولم يعلموا أن السهل أمتع جانبا، وأعزّ مطلبا وهو أحسن موقعًا» أو كما قال **البارودي** عن شعره:

أقول بطبع لستُ أحتاج بعده — إلى المنهل المطروق والمنهج الوعْر
إذا جاش طبعي فاض بالدر منطقي — ولا عجب فالدّر ينشأ في البحر

وأظهر صفات المطبوع سهولته، حتي إن القارىء يظن أنه يحسن مثله، بل يكاد يزري به، لما يرى من سهولته، وهذا ماعناه **الرصافي** عندما قال:

فأرسلته نظما يروق انسجامه — فيحسبه المصغي لإنشاده نثرا

ولذلك سماه **أنيس المقدسي**: المطبوع الفطري، الذي يرسله الكاتب عفو السجية، في ألفاظ سهلة مألوفة، لا تكلّف فيها، ولا تصنّع. والطبع صفة غالبة على بعض الشعراء كامرئ القيس والنابغة **الذبياني والبحتري وشوقي والرصافي**.

و إذا استطاع الشاعر أن يقدم للقارئ ثمرة ناضجة، لا نحسّ بما بذل فيها من سقي وغراس وقطاف، ولا نرى على جبينه عَرَقًا، ولا نحس في نفسه تقطُّعًا ولهاثًا فذلك أدب الطبع.

ولكن بعض الشعراء يقدم قصيدة كالثمرة الفجّة، تجد على ملامحها آثار الإجهاد، ويحاول أن يرقّع هذا الإجهاد بعبارة ممقوتة، وقافية مستكرهة، فإذا قرأت هذا الأدب أحسست بالتعب في فهم ما يقول، أو في احتمال أسلوبه، تجد هذا في أدب بعض الشعراء، **كابن هانئ أو صفي الدين الحلي، والحريري**.

القصيدة المتكلفة قد تكون حسنة عند قوم ينظرون إلى ما غمض من الأدب لا ما ظهر، ويحسبون البلاغة ألغازا، والأدب كلمات متقاطعة. إنما القصيدة المطبوعة، كالطِّيب الشرقي، الذي لم يصنع، نفّاذ هادئ، والمتكلفة المصنوعة، كالطِّيب الغربي المصنع بالكحول، ذي رائحة نفّاذة تصدّع الرؤوس، وفي الشعر المصنوع المتكلف قد تجد معنى عميقا، وصورة محلّقة، ولكنك لا تجد سلاسة، ولا طلاقة، ولذلك تجد هذا الأدب صعب الفهم، صعب الحفظ،

قد يستقصي أفكارا، ويكثف صُوَرًا، ولكنه يتصبّب عرقًا، حتي يمسح عرقه جمال حروفه. الشاعر المطبوع مُلهَم، استفاد من التهذيب، فجمَّل أدبه، والشاعر المتكلف ضعيف الإلهام، ولذلك اعتمد على الصناعة.

وتجد للمتكلفين عجبا من غثاء القول وعبثه، وهم كالمقلّدين الفاشلين الذين رأوا البلغاء، فحاولوا أن يبلغوا.

ومن هنا فأنت تجد عجبا من التكلّف عند بعض الأدباء، وهذا **الحريري** أبرز فرسان التكلّف في الأدب العربي، كان يكتب المقامات الأحاجي، فكتب المقامة (**الرَّقطاء**) نظم فيها كلمات كل منها، تتكون من حرف منقوط بعده آخر مهمل.

وكتب(**السينية**)، والتزم فيها أن يكون في كل كلمة حرف السين، وكتب (**الشينية**) والتزم فيها أن يكون في كل كلمة حرف الشين، وكتب (**القهقرية**) وتقرأ جملها طردا وعكسا، فيكون المبتدأ خبرا على غرار قوله : **الإنسان صنيعة الإحسان**.


الجارم


البارودي

وكتب قصائد يمكن أن يكون البيت الواحد فيها بيتين، مما أسماه أهل البلاغة (**التشطير**)، وأغرم بالجناس وغرائب الكلام، كقوله « **أيجوز الوضوء من ما يقذف الثعبان** ؟ ثم قال : وما أنظف منه للعريان » (لأن الثعبان جمع ثعب : مسيل الوادي).

والتصنع والتكلف، دلالة على فقدان الإلهام، والموهبة والقريحة، أو دلالة على سوء استعمالها.

من علامات التكلف وأسبابه

١ ــ اقتسار المعاني، وأنت ترى لأهل التكلّف عجبا من القول، تتأمله وتفكر فيه، ثم تجد معنًى غَثًا ولفظًا رثًا، وقد وقع في التكلّف أدباء بارعون أساؤوا استخدام ما وهبهم الله من إلهام، وظنّوا البلاغة محصورة في تكثيف صورة، وتجنيس عبارة، وتجنيح استعارة، فقادهم ذلك إلى المنهج الوعْر، واقتسروا الألفاظ على المعاني، فوقعوا في أخطاء كثيرة، **وأبو تمام** على إحسانه أكثر الشعراء تكلفا، وتجد كتب النقد ملأى بما له من أخطاء في المعاني كقوله :

يادهر قوّمْ من أخدعيك، فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

وإنما وقع في ذلك **أبو تمام**، طلبًا للتجديد المتكلف، وأهل البديع كأهل التكلف، يبحثون عن الجدّة، ولكنهم يقتسرون المعاني، ومثله في الشعر الحديث **أدونيس**، ولكن هؤلاء بتكلّفهم، يفتحون بأخطائهم دروبا معبّدة لمن بعدهم، إنهم ضحايا التجديد المتكلف، ولكن لولا **أبو تمام** لما كان **المتنبي**. على أن **أبا تمام** كان في اختياره **الحماسة**، أشعر منه في أشعاره لأنه آثر الشعر المطبوع، وتجافى عن المتكلف والمصنوع.

٢ ــ ومن ذلك تكلّف الموسيقى اللفظية، كالسجع والجناس، وإذا سمعت النهي عن سجع الكهان القدامى، فلا تنس أن تنهى عن سجع كهان القرون الوسطى، الذين أعادوا مهنة الكهانة في الأدب.

٣ ـ إظهار الفصاحة، والتشدّق، والتَّفَيْهُق، كما تجد لدى بعض أهل اللغة، ممن قصروا هممهم على تجويد الحروف، وتسمع حديث بعضهم في إذاعة أو تلفاز، خشنًا بغيضًا، كأنه جلاميد صخر، تهبط على الآذان، ومثلهم هؤلاء الشعراء الذين ظنوا البلاغة وزنًا فخمًا، ولفظًا جزلًا، وكلامًا غريبًا، من أصحاب التغريب في اللغة. وتجد ملامح من هذا التشدق في شعر **شفيق جبري وعلي الجارم**، ونحوهم ممن أثرت مهنتهم في أدبهم.

يقول الجارم :

المجد فوق متون الضمّر القُود تطوي الفلابين إيجاف وتوحيد

ويذكر **جبري** أنه في بعض حالاته كتب قصيدة، اضطر فيها إلى قافية، أخذها من المعجم، ثم عاد بعد زمن وقرأ القصيدة، فلم يدرك معنى تلك القافية، فرجع إلى المعجم مرة ثانية. وكفى بالشاعر إقحامًا وتكلفًا أن يلتقط قوافيه من المعجم، أما أن ينسى معاني ما التقط من الألفاظ، فهذا منكر في اللغة والأدب.

٤ ـ ومن علامات التكلُّف المبالغات الفجّة، وأكثر الناس حلفا هم أكثرهم كذبا، تأمل ذلك في حياة الناس، تجده إن شاء الله حقا.

٥ ـ ومن أسبابه أيضًا ضعف العاطفة، وذو العاطفة الباردة كالممثل الذي يحاول أن يدرِّب نفسه على القيام بدور لا يطمئن إليه، لأن العاطفة هي الأتون الذي يسبك الكلام، وما الكلام لولا العاطفة إلا هياكل لغوية في المعاجم، ولكن العاطفة تمنح هذه الهياكل أرواحًا ولباسًا وأجسادا، ملأى بالحياة والحيوية. وما قعد بشعر **العواد والعقاد وأبي شادي** وأضرابهم إلا ضعف العاطفة، والبحث عن المعنى، والأديب المتكلّف قد يكون قدير البيان، غزير الأفكار، ولكن عقله أكبر من قلبه.

٦ ـ ومن ذلك الجهل بوظيفة الأدب، فأنت واجد لأدباء ذوي فضل، أخطاء هينة، وخطايا غير هيِّنة، وماذلك إلّا لأن أحدهم يظن أن البلاغة هي التفاصح، أو هي المعنى الجديد، أو هي التجنيس، فيتأثر بذوق عصره، ولا ريب أن أهل الطلاسم الأدبية، كالتسجيع والتأريخ الشعري، قد ظنوا أن الأدب هو هذا وإلا لما فعلوا، بل إن بعضهم إذا وقعت له نكتة من هذا النوع، تباهى وافتخر. ذكر **الثعالبي** أن **نجل ابن العميد** استدعاه في يوم شديد الحرّ، إلى مجلسه، فلما مثُل بين يديه، تبسّم ضاحكًا، وقال « **ما قول الشيخ في قلبه** » ؟ فبهت **الثعالبي** وسكت، ثم فطن إلى غرض الوزير، وهو أنه أراد أن الشيخ يصير خيشًا إذا قُلب، وقد استدعى الثعالبي في الهاجرة، لفرط اهتزازه بهذه النادرة، وطربه لها، فسبحان الذي جعل الشيخ **خيشا**. وقد ساعدت على شيوع التكلّف في **العصر العباسي** النظريات والتطبيقات الأدبية التي آثرت الغامض على الواضح، وحصرت البلاغة في البديع، وجعلت البلاغة للمعنى، مهمِلةً فضل سهولة اللفظ ووضوحه، ووجازته وحلاوته.

صناعة الفُرقة

بقلم: د. محمد رواس قلعة جي

لقد خلق الله تعالى الناس حين خلقهم أمة واحدة، لا فُرقة بينهم، وكان من الطبيعي أن تتفرق بهم السبل، تبعا لتفرق آرائهم. فأرسل تعالى رسله إليهم ليرشدوهم إلى طريق الخير والفلاح، فآمن بهم من آمن، وكفر من كفر. ومن هنا كانت بذور الفرقة بين الناس، كما قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى اللّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، واللّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ البقرة /٢١٣.

وهكذا صار أهل الإيمان أمة واحدة قائمة بذاتها، قوامها الإيمان، ونظامها ما أتى به الرسل من عند اللّه، يحكم به أهل العدل فيها، ثم أصاب الأديان الأولى ما أصابها من التحريف والتبديل، فأنزل اللّه الدين المسدد الخاتم (الإسلام) الذي جمع أصول الأديان السماوية كلها، كما قال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب﴾** المائدة/٤٨ ليعيد تشكيل الأمة الواحدة، أمة الإيمان، كما قال تعالى: **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاتقون﴾** المؤمنون / ٥٢.

ولكي يتفادى كل تمزق عقدي أو فكري من شأنه أن يمزق هذه الأمة الواحدة مزقا، فقد اكتُفِيَ في تلاحم هذه الأمة بأصل الإيمان، الذي يشكل الخط العام في المسيرة، لا يزيغ عنه إلا مارق أو ضال، دون النظر في فروعه، لأن من شأن الفروع أن يقع فيها الاختلاف، وهو اختلاف لا يضر، ما دام أصل الإيمان صحيحا، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقبل في الانتساب لهذه الأمة قول القائل «**أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أن محمدا رسول اللّه**» بهذا الإجمال، دون أن يستفصل عما يتفرع عن هذا القول، فإذا قالها عصم دمه، وضمه إلى جماعة المسلمين، وأسلمه السلاح ليقاتل فئتين من الناس:

الأولى: من أراد بهذه الأمة الشر والدمار، وهم الكافرون المحاربون، الذين سعّروا الحرب ضد الأمة الإسلامية، وهي ما زالت مستعرة، وستبقى كذلك إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها كما قال تعالى: **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾** البقرة/١٢٠.

الثانية: من أراد تمزيقها ولو بتأويل سائغ، من البغاة المتأولين، لأن اختلافهم مع الإمام الشرعي ـ الدولة ـ في الفروع لا يسوّغ لهم الخروج عليه، ولا تمزيق الأمة إلى كتل متحاربة.

واليوم أصبح الخلاف صناعة لها خبراء وصناع ماهرون، يدرسون اللُّحمة الفكرية في الأمة، ويصنعون لها من الأرضية الفكرية نفسها للأمة من الأفكار ما من شأنه ـ لو استخدم على الوجه الذي يريدون ـ أن يوقع الانفصام في هذه اللُّحمة، ثم يسلطون عليه الأضواء ـ أضواء الإعلام ـ فتجعل منه شعارا، ويصير له فلاسفة ومنظّرون، ثم يكون له أتباع وأعوان.

وينجرف في هذا التيار علماء مخلصون أتقياء، قد رزقوا كثيرا من العلم والتقوى، وقليلا من النظر، فيرمى بهم أو بأتباعهم وسط الجماعات المؤتلفة، فتصير بهم مختلفة، بما يثيرونه فيها من الاختلاف في الفروع الفردية، وبما يوجبونه من نزول الجميع عندما ذهبوا إليه من ترجيح بعضها على بعض، وعدم قبول قول المخالف لهم، وعدم إعذاره فيما ذهب إليه من وجوه الاجتهاد في المنهج أو في فهم النص، مع اتهامه بالجهل تارة، والانحراف عن المنهج الصحيح تارة أخرى، وكأن الحق قد خلقه اللّه لهم، وحرمه على غيرهم، فارضين دكتاتورية الفكر لا تتقدم بها أمة، ولا يرقى بها شعب، مع أن المقرر عند علماء المسلمين أن اجتماع المجتهدين حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة [١].

يقول ابن تيمية رحمه اللّه تعالى: «الاختلاف في الأحكام أكثر من أن ينضبط، ولو كان كلما اختلف المسلمون في شيء تهاجروا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة» [٢].

ويبدأ الصراع الفكري بين أبناء المدرسة الفكرية الواحدة، وأصحاب المبدأ الواحد، ثم يتحول هذا الصراع الفكري إلى صراع سياسي بأجنحته المتعددة، وكثيرا ما تستخدم القوة والعنف لنصر كتلة سياسية على كتلة سياسية أخرى، ويشغلهم صراعهم مع بعضهم بعضا عن مصارعة عدوهم، أو تضعف قوتهم ويصيرون أضعف من أن يقدروا على مصارعة عدوهم.

ولقد تنبه إلى ذلك مفكر عملاق من مفكري الإسلام هو الإمام ابن تيمية الذي عاش تلك المأساة، فشدد على وحدة الأمة الإسلامية واعتبرها أصلا من أصول الإسلام [٣]، وأنكر وشدد في الإنكار على من يجعل من الفروع الفردية أداة لاختلاف الناس، وللإخلال بوحدة الأمة، وجعل القتل تعزيرا جزاء للمفرق جماعة المسلمين [٤].

ويا ليت المسلمين يجيدون صنعة الخلاف كما أجادها عدوهم.

الهوامش

(١) مختصر الفتاوى المصرية ص/٤٢ لابن تيمية، طبع دار نشر الكتب الإسلامية ـ باكستان.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤/١٧٣ طبع المغرب.
(٣) مختصر الفتاوى المصرية ص/٤٣.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/١٠٨ـ١٠٩.

من الأسلحة الأولى للمسلمين:

القوس العربية

تاريخ وفن.. وانتصارات طويلة

بقلم: عيد ضيف العبادي

للقوس العربية باع طويلة بين أسلحة المسلمين الأوائل، وعلى الرغم من خضوعها لفكرة التغير والتبديل لأنها من الأشياء المادية التي تدخل في باب العلوم المتغيرة فقد كانت مفضلة على غيرها من الأسلحة لأهميتها في المعارك الأولى.

وسبب فضلها يعود إلى أن رسول الله ﷺ قال: «ما مد الناس أيديهم إلى شيء من السلاح إلا وللقوس عليه فضيلة»(١) وقال ﷺ: من اتخذ في بيته قوسًا فض الله عنه الفقر ما دامت في بيته».

وفي هذا العصر استبدلت بها الأسلحة الحديثة، فهي تحل محل القوس وغيرها من أدوات الحرب. إلا أن فكرة وجود الأسلحة والمواظبة على التدريب عليها هي العلة في وجود الأسلحة عند المسلمين.. والقاعدة الشرعية تقول: «العلة تدورمع المعلول وجودًا وعدمًا» وما دامت علة وجود الأسلحة هي المحافظة على روح الجهاد والتدريب والممارسة المنتظمة عليها وتهيئة الفرد وإعداده إعدادًا نفسيا وعسكريًا لكل طارئ ومستجد فهي إذن من أوليات الفروض. أما تغيير نوعية السلاح من حيث هو كالقوس وغيرها فليس المقصود القوس بعينها بل المقصود السلاح، وقد رمز بالقوس لجملة السلاح المستخدم وليس القوس بحد ذاتها، لأن القوس من الأسلحة المتغيرة والمتبدلة شأنها شأن الأشياء والمخترعات العلمية المتبدلة الأخرى.

ومما يؤكد هذا الرأي أن الرسول ﷺ قال: «علموا أبناءكم الرمي فإنه نكاية للعدو» وقال ﷺ لقوم من الأنصار رآهم يرمون: «ارموا يا بني إسماعيل! فقد كان أبوكم راميًا»(٢).

وقال ﷺ: «من رمى بسهم في سبيل الله مخطئًا أو مصيبًا كان له من الأجر كرقبة أعتقها من ولد إسماعيل»(٣). وقال ﷺ: «إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، و الرامي له، والممدد به»(٤).

وروى عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة أَلَا إن القوة الرمي» وكان لرسول الله ﷺ مجموعة من القِسِيّ وهن «الصفراء»(٥) من نبع(٦) وقوس من شوحط(٧) تسمى «الروماء»(٨) وقوس أخرى من شوحط تسمى «البيضاء»(٩) وأخرى تسمى «الكتوم»(١٠).

قسي اليد والرجل

والقسي جنسان(١١): قوس يد وهي العربية وتنقسم إلى أنواع، وقوس للرجل وهي الإفرنجية



وبعض كتاب الأسلحة يضيفون إليها نوعًا ثالثًا من القسي هي **القسي الفارسية**.

وذكر[١٢] الرافعي والثوري وصاحب المغني وغيرهم أن سهام القوس الأعجمية هي المسماة بالنشاب وأن سهام العربية هي التي تسمى نبلاً.

والقوس العربية أنسب للفارس لأنها أسرع وأقل مؤنة، والقوس الإفرنجية أنسب للراجل لأنها أبلغ وأكثر معونة ولا سيما في الحصار والمراكب البحرية وشبه ذلك. وقديماً استخدمها أهل **الأندلس** فكانوا عنها يرمون وفيها يتنافسون وعليها يعتمدون فرسانًا ورجالاً.

يقول **الفقيه أبو بكر**[١٣] **محمد بن أصبغ الإشبيلي** في كتابه البدائع والأسرار: القوس العربية تنقسم إلى أنواع كثيرة منها **الحجازية والواسطية** وغيرها.

والقوس العربية اسم جامع لها وإنما سميت عربية لأن أبا العرب وهو إسماعيل عليه السلام كان الأصل في رمي العرب وعنه أخذ بالحجاز.

والحجازية صنفان: الأول من عود نبع أو شوحط، والصنف الثاني مثله إلا أنها ربما عقبوا ظهرها وأكسوا بطنها قرون المعز، ولا يكون هذا إلا عند الماهر منهم، وأكثر ما يستعملها منهم من قرب من الحضر، أما أهل البادية فلا يستعملون سوى النبع والشوحط ولا ترى هذه القسي إلا بأرض الحجاز، ولا ينتفع بها شيء من الأماكن غيرها، وإذا فارقت أرض الحجاز لا يكاد أحد ينتفع بها، وليست لها سِيَة[١٤] ولا مقبض، وهذه القوس هي المذكورة في أشعارهم، وأما النوع الثالث من القسي العربية فهي المنشأة من الخشب والقرن والعقب والغراء، لها سِيَتَانِ ومقبض، وهي أنواع كثيرة مختلفة بحسب اختلاف البلاد والصناع بها.

وهي **الواسطية، سميت بذلك لأنها متوسطة بين قسي العرب الحجازية وقسي العجم الفارسية فأرادوا أن يقولوا متوسطة فغلطوا وقالوا واسطية وليست عمل أهل واسط كما زعم بعضهم بل هي أقدم من واسط**، و تسميها العرب المنفصلة لانفصال أجزائها قبل التركيب. وهذا النوع أحدّ القسي وأجودها وأنفذها لجميع السلاح، وأما الفارسية فهي أيضًا منشأة غير أنها طويلة جدًا راجحة السيات يكون نصفها في وسط مقبضها عريضة البيوت.

وقوس الحسبان[١٥] وهي قوس عربية المجري، وإنما ينسب إلى سهامها لأنها تشبه بالجراد لصغرها

أما القسي الإفرنجية فهي تتألف من عمود وقضيب وجوزة ومفتاح، وكان العمود قبل يسمى المجرى، وإنما سمي بذلك لجري السهام عليه وكان مفتاحه طالعًا من جهة الجوزة يرمي سهامًا عدة مشتعلة، ثم استخرج هذا العمود في زمن نمرود وسمي عمودًا لأنه عمد به وفيه ستة أثقاب. ثقب المشرب، وثقب الحلق وهو للحل والربط، الثالث لستة وهو ثقب الأمانة والوديعة، والثقب الرابع للجوزة وهو ثقب القفل والشرب والرياسة، والثقب الخامس للمسمار وهو ثقب التكليف والحمالة والعدة، والثقب السادس للمفتاح وهو ثقب الحركة والهيئة.

أسرار[١٦] القوس في سبعة أشياء: حيوان

> ○ أوصى بها الرسول ﷺ قائلًا: "علّموا أولادكم الرمي فإنه نكاية للعدو".
> ○ القوس العربية أنسب للفارس لأنها أسرع وأقل مؤنة.

ولكونها يرص في المجرى على قد طول الأربعة السهام والخمسة والأقل والأكثر بواحدة في محور أعلاه. إذا ترك انطبق عليها وإذا دفع السهم انفتح وخرج السهم منها وليكن مقدارها بمقدار سعة السهم وأوسع قليلاً ويجعل بجانبي هذا الضلع وترين من خشب السنديان أيضًا لاصقين به ومُثَبَّتين معه، ثم ينسج على الضلع الأعلى والضلع الأسفل على مقدار الثلثين من الضلع الأوسط زيار معمول من شعر وإبر يسم على حبل منها في غلظ الخنصر، وكذلك الوتر الذي موترته القوس وليكن بمقدار ما تحتمله القوس، فإن كانت قوتها قنطارًا يكن وزن وترها خمسة عشر درهما وعلى ذلك مازاد ونقص، فإذا كمل نسج الزياد المذكور يدار بأوتار الخشب البقس أو ما جرى مجراه من الجانبين إلى أن يأخذ حقه، ولتكن الأوتاد لها ثخانة إذا انتهى الفتل بها إلى حده رُص

يعقل وهو الرامي، ومنفصل عن حيوان لا يعقل وهو الريش والشمع والجوزة والقضيب والسهم، فتصول هذه الأربعة عن الرمي ولا يصول أحدها وحده.

وقيل في القوس إنه مأخوذ من الدائرة وهي كمال الصنعة، وذلك أن أهل الهندسة كما نظروا الشمس والقمر والنجوم استخرجوها منها.

عيدان القسي وفصل قطعها

والقسي تنتخب من عشرة عيدان: خمسة منها برية وخمسة بستانية، فالبرية الطخش وهو النبع بلغة العرب والزنبوع والدردال والكتم والشبر. والبستانية: النارنج والنمسان والتفاح والرمان والسفرجل.

ولهذه العيدان التي تنتخب منها القوس معادن في الجوف والقبلة والشرق والغرب، ولقطعها

فصلان: تقطع في فصل سموم الشتاء وهو المختار، وشبهت بالطفل الذي تتم رضاعته، وتقطع في سموم الصيف على وجه الاضطرار، والفصلي هو أحسن القضبان وما يقطع في غير فصله فهو حقها النقصان.

خصال غير مرغوبة

واحذر ست خصال في القوس فإنها رأس الخطأ هذه الصنعة: الوتر الخشن فإنه ينقص الرمي ويكسر القضيب، وفي القضيب الفراغ والامتلاء، والخشب الذي يكون تحت الصدر وترقيق الأطراف.

ومما هو عند الرماة فرض واجب(١٧) خنزة **يصب بإحداها فرمايته خداج** (١٨) فلا يتعاهد الرمي. ومن أصاب باثنين فشغله قد تيسر، ومن أصاب بأربعة فهو قد أصاب كثيرًا من الصنعة ومن أصاب الستة فقد حاز درجة المنتهى ودخل بدعوة **رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان أول سهم رمى به في غزوة الأبواء،** والعالي من الرماة هو الجرار، والثابت النظر السريع الرماية، وقيل العلو في الرماية: الجر والرمي والجرأة ولا تجتمع هذه الخصال إلا في قليل من الرماة.

وقيل في القوس

وتتكلم القوس بلسان الحال وتتنفس كتنفس الصبح وتسمى ملكًا لأنها تملك.

○ لعيدانها معادن، وخصالها مرغوبة وللشعر فيها آفاق.
○ من أسمائها: «الضارب» و«الدليل» و«الطالب» و«سد الذريعة».

الكتان للوتر، وإذا رأيت قوسًا قوية فلا تجرها بوجه.

واحذر سبع خصال. فأما أسباب رجوع السهم إلى الرامي فمنها في السهم، اثنتان: قصر الفوت، والتجنيب أمام. وفي الجوزة اثنتان: سعة النهر وعلو العتبة. وفي القضيب ثلاثة: الفراغ والامتلاء والغسل.

أسماء السهام

الأول من السهام يسمى «دليلاً» والثاني «بانيًا» والثالث «ظهورًا» والرابع «طالبًا» والخامس «ضاربًا» والسادس «سد الذريعة». فإذا رميت الدليل وجاء فوق الإشارة (الهدف) ورميت الباني وجاء تحتها ورميت الظهور وجاء يمينًا ورميت الطالب وجاء يسارًا فارم الخامس فهو الضارب كاسمه والسادس هو المحقق. **ومن رمى الستة ولم**

وقال بعض العلماء بهذا الشأن: أَوْقِعْ بحلم، وانظر بعلم، واقرض بغضب.

وقيل شد اليسار، وحد النظر، فقد صح لك من الأمر أثر.

وقد قيل: إذا أصاب الرامي الغرض بسهمه قتل ببلاد العدو رجلا وإذا رميت فتعود العجلة.

وحكي عن رجل من العرب أنه وقف على رام قدم جر قوسه وهو ينظر: فقال له: ما الذي تنظر؟ قال لعلي أعرض أحدًا! فقال له ارمِ السهم يطلب صاحبه.

الهوامش

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان / ٢٠٩ ــ نهاية الأرب ٦/ ٢٢٢ (فضل) بدلاً من (فضيلة)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٣٦.

(٣) الطبراني في المعجم الكبير ٨/ ١٤٣، طبقات ابن سعد ١/ ٤٩٧.

(٤) الفروسية لابن قيم الجوزية ص ١٤.

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٤٨٩، الكامل لابن الأثير ٢/ ٢١٦، الطبري ٣/ ١٧٧، أنساب الأشراف ١/ ٥٢٣.

(٦) المنجد ٥٨٠ ـ النبع: شجر تتخذ منه السهام والقسي.

(٧) النهاية ٢/ ٥٠٩ ـ الشوحط: ضرب من الشجر تتخذ منه القسي.

(٨) الروماء: انظر: الكامل في التاريخ ٢/ ٣١٦ وأنساب الأشراف ١/ ٥٢٢ والطبري ٣/ ١٧٧.

(٩) طبقات ابن سعد ١/ ٤٨٩.

(١٠) النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٥١، المخصص ٢/ ٣٨.

(١١) حلية الفرسان وشعار الشجعان/ ٢١٠..

(١٢) مخطوطة السبق والرمي ٢/ مجهول، تحقيق عيد ضيف العبادي.

(١٣) نفس المصدر السابق ص ٩.

(١٤) المخصص ٢/ ٤٢: السية: ما عطف من طرفيها وقال أبو علي أسايت القوس حلت لها سية.

المنجد ٣٧٩. السية: يكون النواء في طريق القوس بلوغ الأرب ٣/ ٣٥٦. السية: ما عطف من طرفيها.

(١٥) تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب.. ص ٨.

(١٦) حلية الفرسان وشعار الشجعان، ٢١.

(١٧) الخنزة: الأحكام والشد ـ حلية الفرسان ٢١٨.

(١٨) الخداج: نقصان، ورجل مخدج اليد أي ناقصها ـ الحلية ٢١٩.

من كتاب العدد

● عيد ضيف العبادي



ـ من مواليد العراق ١٩٤٥.
ـ بكالوريوس صحافة/ دبلوم علوم مالية وتجارية.
ـ كاتب صحفي متفرغ، وكان عضوا في هيئة تحرير مجلة «المورد» العراقية.
ـ شارك في العديد من المؤتمرات الداخلية والعربية.
ـ من مؤلفاته:
بين الإيمان والإلحاد/ ١٩٧٦م، الفروسية والمناصب الحربية/ ١٩٨٤م، كما حقق مخطوطتين هما:
السبق والرمي وأحكام الفروسية، وسير السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الصالحين.

العالم يُغنّي.. العالم يضحك

بقلم: د. محمد عبد العليم مرسي

من محزنات الأمور ــ وما أكثرها ــ في عالمنا الإسلامي، أو في بعض بلدانه على الأقل، أن نرى كثيرا من برامج الإذاعة والتلفزيون فيه وهي تحاول لاهثة أن تجري خلف التوافه من الأمور بشكل لافت للنظر، تبحث فيه عن كل ما يضيع الوقت، وما يحط من العزائم، وما يخرج للمجتمع شبابا وشابات ضاع منهم الطريق، ولم يعودوا يعرفون أين يتجهون، لأن معظم ما ينقل إليهم من العالم الخارجي يتعلق بالرقص والغناء والضحك والمرح وتضييع الوقت، وكأنه لا هَمَّ لبلدان العالم الخارجي إلا هذه الأمور، فلا جدّ عندهم، ولا علم في جامعاتهم، ولا مخترعات جادة تخرج من معاملهم ومراكز بحوثهم، ولا إنتاج يغرق العالم من مصانعهم!

ومعروف أن ما يقدم من هذه البرامج اللاهية العابثة يأتينا من دول العالم المتقدم ماديا، والمسيطر على أسواق العالم كلها هذه الأيام اقتصاديا وعسكريا وبالتالي سياسيا، ومن هنا ارتبط ما يقدم عنهم بسيطرتهم وتحكمهم في العالم، وبالتالي أصبح تقديم برامجهم للناشئة وللشباب من أبنائنا وكأنه تقديم «المثل» و«النموذج» الذي عليهم أن يتبعوه، وهذا بعد خطير من أبعاد التربية التي تنشأ عليها أجيال أمتنا، ومحاذيره لا تخفى على ذوي الألباب.

إن أمتنا الإسلامية تصنَّف دولها ـ في المجموع ـ ضمن الدول المتخلفة، وكثير من دولها تئن ميزانياتها تحت وطأة الديون الخارجية لقلة عمل أبنائها، ولضعف إسهامهم حتى في إطعام أنفسهم. وكان محتما على المسؤولين فيها، وذوي العقول النيِّرة من أبنائها، ومن جميع الغيورين فيها أن يكون لهم منحى آخر في تربية الناشئة والشباب على الجد والخشونة وحب العمل وبذل الجهود والحرص، حتى تقف أوطانهم على أقدامها، وحتى تخرج من ذل العبودية الذي يمثله الخضوع لأصحاب الأموال المسيطرة، والمصالح المتحكمة، أولئك الذين تكون لهم الكلمة العليا عند التفاوض، والذين يفرضون إراداتهم عند توقيع الاتفاقيات.

أمة مثل أمتنا مطالبة بأن تبذل الجهد مضاعفا مرة ومرتين وثلاثا، بحكم كونها أمة الإسلام، ولابد أن تكون يدها هي العليا، ولن يأتي ذلك من فراغ، كما أنه لن يأتي بالتمني وكثرة الكلام، وبحكم أنها متخلفة وتمد يدها طلبًا للمعونة تارة، وللقروض تارة أخرى، في الوقت الذي حباها الله فيه بخيرات تعز على الآخرين، وانفراد في «المصادر الطبيعية» التي نعيش عليها في عالمنا الإسلامي، ولم نستطع حتى الآن أن نحولها إلى «مصادر اقتصادية» نافعة. وشتان ما بين الاثنين.

قوة هائلة

انظروا إلى القوى البشرية الهائلة المعطلة في عالمنا الإسلامي والتي هي بمئات الملايين، وانظروا في أرض الله التي حبانا بها وفي تنوعها بين السهل والجبل، وبين الغابة والصحراء، وبين الساحل والداخل، وتفحصوا في أنهارنا وفي بحورنا وبحيراتنا، وأعيدوا النظر فيما عندنا من خيرات فوق سطح الأرض وفي باطنها، ثم تفكروا في أنواع المناخات التي حبا الله بها أوطاننا، ثم لنسأل أنفسنا جميعا: كيف يكون لدينا كل ذلك ثم يكون حالنا هو ما نحن عليه الآن. ولماذا؟!

إن هناك خللاً لا شك فيه، وهو على وجه اليقين في أنفسنا، في تربيتنا، في قصورنا وعدم فعلنا، في كثرة كلامنا، وفي الاتساع الهائل بين كثرة ما نقول وندرة ما نفعل، في لهونا وعدم جدنا، في تضييع أوقاتنا، في تفرجنا على الآخرين، وعدم إقبالنا على الاستفادة الجادة الواعية مما نرى ونسمع ونقرأ لأننا لا نعمل جادين بحديث الرسول ﷺ «الحكمة ضالة المؤمن إن وجدها فهو أحق الناس بها».

إن الإعلام الذي يشتمل على جميع الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة عليه مسؤولية خطيرة في توجيه الناشئة والشباب وفي تربيتهم، وكان عليه أن يقدم لنا برامج جادة ومكثفة عن سلفنا الصالح، وكيف كانوا يعملون، بل وكيف كانوا يَصِلون الليل بالنهار عملا وكدًا، في كل مجال، في علم وفي عمل، في زراعة وفي صناعة، في تجارة وفي اختراعات وكشوف، في ابتكارات رائعة من عند أنفسهم، وفي نقل حصيفٍ واعٍ من عند الآخرين، وليست الحضارة الإسلامية التي نتغنى بأمجادها إلا نتيجة لهذا الجهد العظيم، والتفاني المسؤول في تطبيق تعاليم الدين الإسلامي العظيم

ولو أن هؤلاء السلف كانوا قد تفرغوا لنقل «قشور الحضارات» التي كانت سائدة في عهدهم من إمبراطوريتي الفرس والرومان ما كان لهم ذكر في التاريخ، وما كان لنا شيء نتمسك به الآن ونسميه «الحضارة الإسلامية» التي نتكئ عليها ونتحدث، وكأن هذا يكفي!

إن الحضارة لا تبنى بالرقص، والتقدم لا يتم بالغناء، والسباق بين الأمم ليس سبيله الضحك، وانظروا في أحوال شعوب كانت حتى الأمس القريب في عداد المتخلفين، انظروا إليها الآن وقد دخلت سباق العصر، سباق التقدم، وفرضت نفسها على العالم أجمع، كباره وصغاره، وإذا نظرنا إليهم فلنسأل أنفسنا: كيف يعملون؟ وكم من الوقت يتعلمون؟ وماذا يتعلمون؟ وكيف يطبقون ما يتعلمون؟ وما هي سلوكياتهم في العمل؟ وكيف يدرسون العالم الذي إليه يصدِّرون ما ينتجون؟ وكيف يعوّدون لتحسين ما ينتجون حتى تدين لهم الأسواق بالسيطرة؟ وغير ذلك كثير كثير...

انظروا كيف تتنافس اليابان وأمريكا في مجال «التربية» صانعة البشر، لا في الرقص، ولا في الغناء، ولا في الضحك، ادرسوا القناة التلفزيونية «التربوية» عند اليابان، وحاولوا أن تحللوا ما يقدم فيها للبشر هناك. في أول لقاء بين «ريجان» و«ناكاسوني» كان على قمة جدول أعمالهم **دراسة مقارنة للتربية** في بلديهما. لماذا؟! أجيبوا أنتم!

كوريا الجنوبية يميل ميزان المدفوعات لصالحها ضد أمريكا بعشرات الملايين وربما مئاتها الآن، لماذا؟ يدرسون ذلك الآن في أمريكا وأول ما وصلوا إليه هو الكم الهائل من ساعات العمل الجاد التي يضعها الكوريون يوميا بلا توقف (١٤ ساعة عمل يومي)، ولنسأل أنفسنا كم ساعة نعمل في مصانعنا ومعاملنا، وكيف قلدناهم في الإجازات وتضييع الوقت، ولم نقلدهم في العمل، وجميعنا قرأ كيف توجه رئيس وزراء اليابان لشعبه طالبا منهم أن يهدؤوا قليلا في عملهم، وأن يخرجوا للسياحة في بلاد العالم لينفقوا مما رزقهم الله!

إن إحدى اللجان الدولية (من أمريكا واليابان وإيطاليا) ذهبت لإحدى دولنا العربية تتعرف على حجم العمل الذي يؤديه العاملون فيها، وتوازنه بالعمال لديها وبجهدهم، كان ذلك من بضع سنوات، وخرجت بنتيجة مذهلة تقول بأن العامل في ذلك البلد العربي يعمل عُشر ما يعمل العامل الأمريكي، وثُمن ما يعمله الياباني، وسُبع ما يعمله الإيطالي.

والكارثة أن الذي أعلن هذا الكلام، أو هذه النتيجة للصحف، كان نائب رئيس الوزراء في ذلك البلد، والكارثة الأدهى والأمر أن ذلك الموضوع حين كتب عنه لم يثر لدى المسؤولين أي شيء وكأن الأمر عادي جدًا، أو كأنه لا يعنيهم ولم تقم لجنة داعية تتقصّى الحقائق أو تبحث في الأسباب كي تقترح الحلول أو تتقدم بتوصيات تنفذ في الحال.

عام وخاص

هل يغضب بعضنا حين نقول إن الألمان قد فرضوا على أنفسهم أن يعملوا يوميا ولمدة ساعتين، بالمجان، عقب الحرب العالمية الثانية، حتى يستطيعوا إعادة بناء مجتمعهم الذي خربته الحرب، بل مزقته وطحنته؟ ولذلك فلا عجب أن تكون ألمانيا واحدة من اثنتين تقودان اقتصاد العالم، ويحسب لها ألف حساب.

وهل نتعجب إذا علمنا أن العامل الياباني يعتبر مصنعه أو شركته جزءًا من حياته الخاصة، وأنه في كثير من الأحيان يفضّل البقاء في شركته أو مصنعه على العودة لمنزله، على الرغم من أن البيت الياباني يتميز بالهدوء والنظافة، وأن الزوجة اليابانية تعتبر من أفضل الزوجات في احترام زوجها، وفي توفير الهدوء في بيتها. كيف استطاعت اليابان أن تقفز هذه القفزات المبدعة على سلم الحضارة في فترة قياسية عقب الحرب العالمية الثانية، تلك التي طحنتها وخربت كل شيء فيها، بعد أن خربت بالقنابل الذرية في سابقة تاريخية فريدة، وكيف أصبحت اليوم وهي تتحدى متعملقةً أولئك الذين هزموها في الحرب فتقدم لهم نموذجا في الإنتاج يذهلهم، وأكاد أقول يذلهم، واقرؤوا ما كتب حديثا جدا العام قبل الماضي والعام الماضي (١٩٩٠ ـ ١٩٩١م)، ما كَتَبَهُ وزير المواصلات الياباني السابق في حكومة «ناكاسوني» عن اليابان التي تستطيع أن تتحدى The Japan That Can Say No، وما كتب في أمريكا عن الحرب القادمة بين اليابان وأمريكا The coming War With Japan، وكيف بيعت ملايين النسخ من المكتبات في البلدين، لأن المجتمعين واعيان ويعرفان الحقائق، بل وكيف أن المسؤولين على أعلى مستوى فيهما يدرسون ما في هذين الكتابين من حقائق مذهلة، بل ومرعبة، حتى يستعدوا لكل الاحتمالات. وقد قرأت الكتابين وما وجدت في سطر من سطورهما شيئا عن الرقص، أو الغناء، أو الضحك! والمسؤولون عن الإعلام، وعن توجيه الناشئة والشباب في مجتمعنا مطالبون بأداء الأمانة على خير وجه، مطالبون بأن يعرضوا لنماذج طيبة من تراثنا الإسلامي العظيم، يبينون فيها كيف عمل أجدادنا من السلف الصالح، وكيف كدوا وتعبوا، وكيف وصلوا الليل بالنهار قراءة وعلما وتبحرا وفهما واستيعابا، وكيف سهروا في معاملهم وفي المكتبات، بل وكيف كانت المكتبات العامة تفتح أبوابها على مدار ساعات اليوم الأربع والعشرين كاملة، وفي دوريات لا تنقطع، ومكتبات هذا حالها لا تفتح أبوابها هكذا بالليل والنهار إلا إذا كان هناك قراء كثيرون لا يكفيهم النهار فيصلونه بالليل، فهل لدينا برامج عن: العالم يقرأ، وعن العالم يجد، والعالم يبدع؟!

كذلك فإن هؤلاء المسؤولين مطالبون بأن ينقلوا لناشئتنا والشباب نماذج من بلاد العالم المتقدمة، ومن الأخرى الساعية للتقدم، وكيف يقبلون على الدراسة الجادة من أول يوم، ومتى تبدأ مدارسهم ومتى تنتهي وليقولوا لنا الفرق بين إجازات طويلة طويلة نمنحها لشبابنا، تزيد أحيانا على أربعة شهور، ومجتمعات ألغت الإجازات الصيفية، وجعلت ما بين الفصل الدراسي والآخر في الجامعات إجازات قصيرة لا تزيد على أسبوعين أو ثلاثة، وعجلة العلم تدور، وعقول الشباب تعمل.

إن الإعلام المسؤول أمانة ثقيلة على أكتاف الذين يتولونه لأنه يمثل دفة سفينة المجتمع في بحر الحياة العالمية الهادر، والذين يعون هذه المسؤولية ويقدرونها حق قدرها يعلمون أن الرقص والغناء والضحك لا يمكن أن تخرج إلا أمما هزيلة مصيرها تَعِسٌ على وجه اليقين. حقيقة طريقها سهلة، وهذا من طبائع الأشياء والأمور، ولكنا بحاجة لمن يقبض على الدفة بيد قوية أمينة تعرف دروب الطريق الصعب، طريق العلم والجد والسهر والتعب. ولكنه طريق التقدم والعزة.

هل أنت مستمع جيد؟

○ الشخص العادي لا يتذكر سوى ٢٥٪ بعد مرور شهرين على سماع الحديث

○ هكذا تواجه المرشحات العاطفية

بقلم: أحمد محمد عيسى

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

يقول بعضهم إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق الإنسان بأذنين ولسان واحد ليستمع أكثر مما يتكلم، وحتى يحسن الاستماع، وإذا كان الأهم هو الشخص الذي حُرم ــ لعيب في أذنه ــ من نعمة السمع، فقد يحرم من متعة الاستماع الجيد شخص أذنه سليمة مرهفة، وذلك لعدم معرفته بقواعد الاستماع الجيد ومبادئه. وما أكثر الذي « يسمعون » وما أقل الذين يحسنون « الاستماع ». فإذا كنت ترى أنك واحد من هؤلاء الأكثرية فلا تقلق واقرأ السطور التالية لتتعرف آراء بعض العلماء في كيفية الاستماع الجيد.

القدرة المهملة

أجريت دراسة علمية عن الاستماع ودوره في مجال العمل والإنتاج، واستهدفت مجموعة من المديرين المنفذين للمصانع الكبرى بمنطقة **شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية**، وأسفرت الدراسة عن نتيجة واحدة: عدم اهتمام الرؤساء بالإصغاء الجيد عند اتصالهم بالمرؤوسين.

ثم أجريت تجارب واختبارات على عدة آلاف من الطلبة، ومئات من **رجال الأعمال، والمهنيين** وذلك في جامعة مينسوتا. وكان الاختبار عبارة عن شخص يستمع إلى حديث قصير من أستاذ بالجامعة، ثم يسأل هذا الشخص عن مضمون ما سمعه. والنتيجة العامة التي أثبتتها تلك الاختبارات ـ وأكدتها تقارير البحث بجامعتي فلوريدا وميتشجان فيما بعد ــ أن **الشخص العادي لا يتذكر سوى نصف ما سمع، ولا يهتم** كثيرا بكيفية الاستماع، **وأنه لا يتذكر سوى ٢٥٪ مما سمع بعد مرور شهرين على سماع الحديث.**

وتؤكد الأبحاث العلمية أن الشخص العادي ينسى نصف إلى ثلث ما سمع خلال ثماني ساعات فقط، وأن ما ينساه خلال هذه الساعات القصيرة يفوق ما ينساه من الحديث خلال ستة الأشهر التالية.

الثغرة التعليمية والأمية الاستماعية

يرى كثير من علماء الاتصال والتربية والاجتماع أن الاستماع الجيد مقدرة تكتسب بالتعلُّم والتدريب، ويجب أن تهتم النظم التعليمية، وبرامج التدريب للتنمية البشرية بذلك. وينتقد هؤلاء ال[...] في الولايات المتحدة الأمريكية ـ المدارس والجامعات التي يتخرج فيها من يجيدون القراءة والتحدث ولكنهم لا **يعرفون كيف يستمعون جيدا للآخرين، في الوقت الذي يحتاج المجتمع إلى الاستماع الجيد أكثر من القراءة.** ويرى هؤلاء العلماء أن الذي منع تدريس « مادة الاستماع » في المدارس والجامعات الأمريكية، عدّةُ افتراضات ومفاهيم زائفة ظلت مسيطرة منتشرة في الولايات المتحدة لسنوات طويلة. وذكروا منها على سبيل المثال ما يلي:

ــ افتراض يرى أن ذكاء الشخص هو الذي يحدد مدى مهارته ومقدرته الاستماعية. ورد العلماء على ذلك بأن فيه مبالغة، وأكدوا أن المستمع غير الجيد ليس بالضرورة شخصا غير ذكي، ولا فرق بين الأذكياء والأقل ذكاء في هذا، وأن الأمر ليس مرده الذكاء وإنما مهارات معينة يمكن اكتسابها بالتدريب والتجريب، وهذه المهارات هي التي تحدد مدى قدرته الاستماعية.

ـ الافتراض الثاني هو أنّ تعليم الشخص كيف **يقرأ جيدا سوف يعلمه بالتالي كيف يستمع جيدا.** وفند العلماء ذلك القول بأنه إذا كان صحيحا أن بعض المهارات المكتسبة من القراءة تؤثر في الاستماع في بعض الحالات إلا أن ذلك لا ينطبق على غالبية الحالات. وأثبت هؤلاء العلماء أن **الاستماع نشاط مختلف عن القراءة**، وأنه يتطلب مهارات أخرى مختلفة، وأن **مهارات القراءة والاستماع لا تتحسّن بدرجة متساوية** في حالة تعلم القراءة فقط، بل وأكدوا أن المقدرة الاستماعية تنحدر بشكل فعلي وملموس.

ولأن سنة الحياة التجديد والتطوير، فقد انهارت الافتراضات والمفاهيم الزائفة، وأصبح الاستماع مادة دراسية في عدد كبير من المدارس والجامعات الأوربية والأمريكية.

الاستماع الجيد وأساليب تحقيقه

يؤكد العلماء أن أي برنامج تعليمي لتنمية المقدرة الاستماعية يستند إلى على عاملين:

١ ـ بناء الوعي وتكوين الإدراك بالعوامل المؤثرة في المقدرة الاستماعية.

٢ ـ بناء نوع من التجربة الشفهية التي تكوّن عادات الاستماع الجيد.

ويمكن القول بصفة عامة إن الغالبية العظمى من الناس يجدون مشقة في التركيز أثناء الاستماع للآخرين أكثر من المشقة التي يجدونها في الحديث اللفظي أو التعبير الوجهي أو الجسدي. ولا شك أن التركيز الاستماعي صعب إلى حد كبير، والصعوبة راجعة إلى حقيقة علمية تقول: **إننا نفكر أسرع مما نتحدث**، فقد أكدت التجارب التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية على أن المعدل المتوسط للحديث لمعظم الأمريكيين يبلغ ١٢٥ كلمة في الدقيقة، ويقل عدد الكلمات كثيرا في بقية الدول، خاصة الدول النامية ومنها الدول العربية، وهذا المعدل بطيء للغاية بالنسبة للمخ البشري الذي يتكون من (١٣ بليون خلية) ويعمل بطريقة معقدة وبكفاءة تفوق أحدث الكمبيوترات الضخمة.

والذين يدرسون المخ البشري لا يتفقون فيما بينهم. ولأن اللغة هي الوسيلة الرئيسية للتفكير، فإن الكلمات تؤدي دورا كبيرا في عمليات التفكير المختلفة، وسباق الكلمات في المخ يفوق كثيرا معدل الـ ١٢٥ كلمة في الدقيقة. وهذا يعني أننا عندما نستمع نطلب من مخنا أن يستقبل كلمات بطيئة للغاية بالمقارنة بقدراته، لذلك فإننا أثناء الاستماع للآخرين يكون تفكيرنا مستمرا ومتدفقا بسرعة فائقة، في نفس الوقت الذي تصل فيه الكلمات المنطوقة بسرعتها البطيئة نسبيا، فهل يمكن تبطئة عمليات التفكير حتى تتوافق مع سرعة معدل الحديث في الدقيقة؟ الإجابة قطعا لا، بل مستحيل.

وفي عملية الاستماع يكون الفرق بين معدلات التفكير ومعدلات الحديث أن المخ يتعامل مع مئات الكلمات بالإضافة لتلك التي تصل لأسماعنا، وأن يجمع أفكارا غير التي نخاطب بها. وبعبارة أخرى، **يستطيع الشخص أن يستمع لشخص آخر وفي نفس الوقت يوجد لديه متسع للتفكير. واستخدام ــ أو سوء استخدام ــ هذا المتسع الذهني هو الذي يحدد مدى المقدرة الاستماعية للشخص**.

وقد أثبتت التجارب التي أجريت بجامعة مينسوتا أن معظم الناس لا يستخدمون هذا المتسع الذهنيّ بطريقة جيدة عند الاستماع.

قواعد الاستماع الجيد

كيف تستخدم المتسع الذهني بكفاءة؟

من خلال الدراسات الواسعة التي قام بها العلماء عن عادات الاستماع لدى الأفراد، وجد هؤلاء العلماء أن المستمعين الجيدين يقومون بأربعة أنشطة ذهنية بشكل منسق ومنتظم، وكل نشاط مرتبط بالآخر، ومتوافق مع حديث الفم، وأنهم يركزون تفكيرهم على الرسالة الموجهة إليهم، ولا يتركون سوى أقل مقدار من الوقت للسهو والزيغ العقلي في الدروب الذهنية الفرعية. وهذه الأنشطة الأربعة هي:

١ ـ التفكير المباشر في المتحدث، وتوقع نتائج الحديث وتشوف نهاياته وخلاصته.

٢ ــ وزن، الأدلة والبراهين التي يستخدمها المتحدث لتأييد أفكاره وتقويمها.

٣ ــ الاستعراض والتلخيص الفوري لنقاط الحديث المستكملة والمنتهية.

٤ ــ تبين ما بين سطور الحديث لسبر المعاني التي لم تطرحها الكلمات المنطوقة. وذلك بفحص رموز الاتصال غير اللفظي، مثل تعبيرات الوجه، وقسماته، ونغمة الصوت... الخ.

إن السرعة التي نفكر بها بالمقارنة بتلك التي يتحدث بها الناس تسمح بمتسع من الوقت للقيام بهذه الأنشطة الذهنية الأربعة، والأمر يحتاج إلى بعض التدريب قبل أن تصبح هذه العملية جزءا من النشاط العقلي للفرد يمكنه من الاستماع الجيد.

الإنصات للأفكار

مَثَل المتحدث إلى شخص ما في موضوع يراد فهمه صحيحا وكاملا، كَمَثَلِ منزل يراد نقله من مكان إلى مكان آخر دون تلف أو تشويه! فليس كل ما يقصده أو يعنيه المتحدث يلتقطه بدقة من يستمع إليه.

فلا بد أن يتم فك أجزاء المنزل سليمة ثم تنقل بوسائل نقل مناسبة إلى المكان الآخر، ثم يتم تجميع هذه الأجزاء مرة ثانية بنفس الشكل القديم. وهكذا أثناء الحديث والاستماع. والمتحدث لديه أفكار، ولكي ينقلها للآخرين فإنه يأخذها مفككة

بوضعها في كلمات، وهذه الكلمات التي ترسل عبر الهواء إلى المستمع يجب إعادة تجميعها ذهنيا في شكلها الفكري الأصلي حتى يتسنى فهمها بشكل كامل وتام. **وتحريف الكلام قد يجعل القصر كوخا، والعكس صحيح**.

ومعظم الناس لعدم قدرتهم على الاستماع الجيد لا يستطيعون إعادة بناء الأفكار. فهم ينشغلون بما يقولون ـ أو بما سوف ينطقون به ـ أكثر من اهتمامهم بإدراك الوقائع والحقائق عند الاستماع. **وإذا ما أدرك الشخص كل الحقائق الواردة في الحديث فإنه ـ بالتأكيد ـ سوف يستوعب كل ما سمعه**. ولا شك أن تذكر الحقائق مهمة شاقة، إن لم تكن مستحيلة، لكثير من الناس أثناء الاستماع، وذلك لأن تركيز الشخص على تذكر حقيقة واحدة يضيع منه حقائق ومعلومات كثيرة في الحديث، لذا يميل غالبية الأشخاص إلى إدراك بعض الحقائق وإهمال بعضها الآخر. ومهما ارتفعت مهارة استيعابك الشفهي للحقائق المسموعة فلا بد أن تهتم ببعض أجزاء الحديث وتهمل بعض الأجزاء. وتأكد أنه عندما يتحدث الناس فإنهم يريدون من مستمعيهم أن ينصتوا لأفكارهم وليس لألفاظهم فقط.

ولقد أثبتت التجارب أن فهم الأفكار مهارة يتصف بها المستمع الجيد، وأنه لكي يفهم الأفكار عليه أن يتذكر الحقائق التي استخلصت منها هذه الأفكار. كما أنه لكي يتذكر الحقائق جيدا لا بد أن يستوعب الفكرة. فالعلاقة إذن بين الحقائق والأفكار علاقة تكاملية، تبادلية.

المرشحات العاطفية

يقولون: «**ليس بالأذن وحدها يستمع الإنسان**»، **فمقدرتك الاستماعية تتأثر ـ بشكل أو بآخر ـ بعواطفك وانفعالاتك**، فأنت كثيرا ما تستمع فقط ما ترغب في سماعه، وتعرض عن سماع ما لا تريد سماعه. بعبارة أخرى، عندما يحدثك شخص في موضوع محبب إليك أو مثير لاهتمامك فإنك ـ دون أن تدري ـ **تقبل كل شيء**: الحقائق، أنصاف الحقائق، حتى الأوهام والخيال. أي إن العواطف تصبح مرشحات لفظية. وأثبت العلماء أن المخ يعمل في الاتجاه المضاد للاستماع الجيد إذا

هل أنت مستمع جيد؟

سمع الشخص شيئا يعارض اتجاهاته أو تصوراته أو أخلاقه أو أغراضه أو مركباته النفسية. وكل البشر يخططون للدفاع ضد ما يسمعون فيعدون الأسئلة لإرباك المتحدث وإحراجه، ويحتمون بأفكارهم المرسَّخة لأحاسيسهم الداخلية إزاء الموضوعات المطروحة عليهم، فإذا كان ما نسمعه يؤيد مشاعرنا المتأصلة وجدنا متعة ويسرًا في الاستماع، وأسقطنا كل الحواجز الذهنية ورحبنا بكل شيء، ولا نسأل إلا قليلا، لأن عواطفنا منحت قدراتنا النقدية إجازة، وينخفض التفكير إلى أدنى حد وذلك لأن الأفكار التي نسمعها تجد لها صدى داخليا، ونحب أن نسمعها ظاهرة مسموعة من شخص آخر.

وإذا كان صحيحا أن الشخص لا ينظر بعينه وإنما بثقافته، فهو أيضا لا يستمع بأذنيه وإنما بقيمه وعواطفه في غالبية الأحوال.

والسؤال الذي يطرح نفسه : **ماذا تفعل في مواجهة المرشحات العاطفية ؟**

صحيح أن الإجابة ليست ميسورة، لكنها أيضا ليست مستحيلة. وحتى تكون موضوعيا عند الاستماع :

ـ لا تتسرع في الحكم أثناء الحديث : ويتطلب ذلك التحكم في النفس. وقد لا تقدر على ذلك أول الأمر ولكنه بالإصرار ومراقبة نفسك يمكن تحقيق ذلك. **عليك أن تستوعب كل نقطة في الحديث**، واحتفظ بالأحكام للنهاية. **واستعرض كل الأفكار الرئيسة وقم بوزنها وتقديرها قبل الحكم النهائي.**

ـ ابحث عن دليل النفي : يرى بعض العلماء أن البحث عن دليل النفي لكثير مما نعتقد أو نسمع يؤكد نضج الشخصية وأنه مكون أساسي للاستيعاب الجيد أثناء الاستماع. كما يرى هؤلاء العلماء أنه إذا ما دربنا عقولنا على البحث عن الأفكار التي تبرهن على خطئنا، وأيضا على تلك التي تؤكد صوابنا، فإننا نكون أقل عرضة لإهدار ما يقوله الناس لنا.

قصة قصيرة

غَيَّرَ وَجْهَهُ

بقلم: محمد حمد الصويغ

ـ وماذا قالوا عنك؟

ـ قال شاهد عيان إنهم بعد وليمتهم المنكرة.. أخذوا يمسحون على بطونهم المنتفخة.. ويتهامسون :

هذا لا يصلح للسفينة..

سوف يغرقها أيها القوم..

إنه يقول الشعر.. فحذار منه..

ـ ولماذا لا تصلح في رأيهم؟

ـ ليس لأنني أقول الشعر كما ادعى أحدهم.. ولكن لأسباب أخر.

ـ ما هي؟

ـ السفينة أيها الصديق قديمة متهالكة.. خشبها أخذ يتساقط بفعل الرياح والعواصف وتقلبات الطقس.. وكلما حاولت أن أقوّم ما اعوج منها جاءت الرياح ودمرت ما أضفيته عليها من تعديل.

ـ كان يجب عليك أن تصمد أمام الرياح.. لا أن تهرب منها.. ومن الشجاعة أن يجابه المرء مصائبه وجها لوجه.

ـ هذا لن يقدم من الأمر أو يؤخر شيئا.. وليس في نصيحتك جدة.. فقد سمعتها من أفواه كثيرة.

ـ هل من سبب آخر؟

ـ لقد تضايقت من البر والبحر.. فعقدت العزم على الهجرة.

ـ وكيف تشعر الآن؟

ـ أشعر أنني خلقت من جديد.

ـ كيف؟

ـ أحيانا أقول : لو أنني عرفت نفسي منذ مدة طويلة لقضي الأمر.. لقد جئت متأخرا.. لن أنقذ السفينة.. ولن أغدو لها ربانا.

ـ ولماذا لم تقل إنك شعرت بالغربة بين القوم؟

ـ لقد قطعوا لساني أيها الصديق... وأنا أحاول البحث عنه الآن لإعادته إلى مكانه.

ـ أيمكنك أن تغدو إنسانا آخر لو تجاهلت ما يدور في رؤوسهم؟

ـ وهذا ما سوف أفعله الآن.. فاذهب إليهم وقل لهم إنني نسيتهم جميعا.. قل لهم إن شاعركم غيّر جلده ووجهه.

من كتاب العدد



● محمد حمد الصويغ

ـ من مواليد الأحساء عام ١٣٦٤هـ.

ـ شاعر وكاتب قصة وناقد، له زاوية يومية (أفكار وخواطر) بجريدة (اليوم) ويكتب المقالة السياسية.

ـ يعمل الآن مديرا لتحرير جريدة (اليوم).

ـ من مؤلفاته المطبوعة :

(المسحوق) مجموعة أقاصيص صدرت عن نادي الطائف الأدبي عام ١٣٩٩هـ.

(ناندا) مجموعة أقاصيص صدرت عن مؤسسة دار العهد للصحافة والطباعة والنشر بالدوحة عام ١٣٩٨هـ.

في آسيا الوسطى:

المسلمون قادمون

بقلم: محمد سلامة

صحوة إسلامية حقيقية تشهدها هذه الأيام الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى وما وراء القفقاس إثر انهيار النظام الشيوعي الذي حكم هذه البلاد بالحديد والنار قرابة سبعين عاماً، إذ استيقظ أكثر من سبعين مليون مسلم في تلك الجمهوريات ومناطق أخرى من كابوس الماركسية اللينينية، يبحثون عمّن يأخذ بأيديهم من ظلمات الإلحاد إلى نور الإيمان، ويرشدهم إلى دينهم الصحيح، وينتشلهم من حاضر مؤلم إلى غد واعد لايقل عن ماضي آبائهم وأجدادهم الخالد الذي تشهد عليه الآثار في بخارى وسمرقند وطشقند وخيوة من مساجد ومآذن وقباب ومدارس تحكي قصة الحضارة الإسلامية التي سطعت في العالم، ونهلت منها أوروبا وكانت سبباً في حضارتها الحديثة.

وتتركز الأضواء الدولية اليوم على تلك المناطق والجمهوريات ليس بسبب نزاعات الحدود واضطرابات القوميات والانقلابات المسلحة فقط، وإنما لمحاولة استقطابها واستمالتها لهويات جديدة من أنظمة شتى، وحركات سياسية متعددة، وملل ونحل متنوعة. إنها أحد مجالات الصراع الجديد، والتنافس على صياغة قالب سياسي واقتصادي لهذه الجمهوريات لصالح قوى معينة.

وباستثناء المملكة العربية السعودية ومصر اللتين قدمتا مساعدات اقتصادية ودينية وتعليمية، ومن أهمها توزيع مليون مصحف من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، أمر بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لتلك الجمهوريات الإسلامية التي استقبلت ذلك بامتنان شديد، فإن مسؤولية ضخمة تقع على عاتق الدول العربية والإسلامية تجاه هذه الجمهوريات الوليدة.

تقاليد عربية

هناك ست جمهوريات رئيسة في آسيا الوسطى: أوزبكستان (٢٠ مليون نسمة) وعاصمتها طشقند، وكازاخستان (١٧ مليون نسمة) وعاصمتها آلما آتا، وطاجيكستان وعاصمتها دوشامبيه، وأذربيجان (٥, ٧ مليون نسمة) وعاصمتها باكو، وتركمانستان وقرغيزيا (٤ ملايين نسمة)، بالإضافة إلى عدد كبير من المناطق ذات الحكم الذاتي، التي تسعى إلى الانفصال عن روسيا وجورجيا ومن أهمها: أبخازيا ـ وأصلها: أباظيا ـ (٦٠٠ ألف نسمة) وعاصمتها سوخومي، وبشكيريا وعاصمتها أوفا، وتتاراستان، والشاشان، والأنجوش، وداغستان (مليونا مسلم)، وأوستيا، والكابارد، والقرم.

ويبلغ عدد القوميات التي ينتمي إليها المسلمون حوالي أربعين قومية أشهرها: الأوزبكية، والتركمانية، والترية، والأذرية، والقازاقية، والشركسية، والبشكيرية، والبلغارية، والفارسية، والبشتية، ويبلغ عدد القومية الترية ستة ملايين نسمة أغلبهم من المسلمين الذين يقطنون روسيا.

ويتحدث المسلمون باللغات الأوزبكية والتركية والفارسية والترية وغيرها من لغات القوميات ولهجاتها، وقد فرض الاحتلال الروسي اللغة الروسية على الجميع. كما يتحدث علماء الدين الذين تعلموا خارج روسيا اللغة العربية.

الجدير بالذكر أن الداغستانيين ينحدرون من أصل عربي، فالعادات والتقاليد والأزياء كلها عربية، ويخيل إليك ـ وأنت في داغستان ـ أنك في إحدى المدن العربية العريقة.

مصحفان فقط

في زيارتي الأولى للمناطق الإسلامية، رفضت السلطات الشيوعية السماح لي بحمل أكثر من مصحفين شريفين فقط، وإلا ألغت الزيارة، وفي

○ الشيوعيون مازالوا يسيطرون على بعض المجالات ومن أهمها التعليم..

الزيارة الثانية، بعد زوال الشيوعية، حملت معي ما استطعت من نسخ المصحف، بالإضافة إلى كتب الفقه والشريعة.

ورغم البطش والمسخ والتشويه وطمس الهوية والقتل والاعتقال والتشريد والتهجير القسري، وغيره من أنواع الاضطهاد العرقي كافة للشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى منذ نكبتها بالحكم الروسي على يد القياصرة، ثم الطغمة الماركسية اللينينية والستالينية، لم يتخل المسلمون عن عقيدتهم وإيمانهم، الأمر الذي جعلهم مثار فخر أبناء العالم الإسلامي واعتزازهم، ولم لا وهم أحفاد الذين استقبلوا الفتح الإسلامي منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه؟ حيث وصل الإسلام إلى بلاد ما وراء النهر (الاسم القديم) عام ٢٢ هجرية، ووجد فيها الإسلام أرضا خصبة، وتربة صالحة للدعوة فاعتنق أهلها الإسلام طواعية.

وفي عهد الأمويين زاد انتشار الإسلام في بقاع الروس بعد أن تابع معاوية بن أبي سفيان ما بدأه الخليفة عثمان بن عفان من إرسال الجيوش باتجاه الشرق.

وكان الحكم بن عمرو الغفاري أول من صلى بالمسلمين في تلك البلاد، ومات هناك حيث دفن في إحدى بلاد جمهورية أوزبكستان.

وكان سعيد بن عثمان بن عفان أول من عبر النهر بجنده واليا على خراسان إبان دولة معاوية بن أبي سفيان، ومعه قُثَم بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ وقد توفي بمدينة سمرقند ودفن بها عام ٥٧ هجرية.

وقد أنجبت تلك المناطق عددا من أعظم علماء الإسلام على الإطلاق، وعلى سبيل المثال لا الحصر، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى عام ٢٥٦ هجرية صاحب الجامع الصحيح في الحديث النبوي، وصاحب السنن أبو عيسى الترمذي المتوفى عام ٢٧٩ هجرية، والإمام أحمد النَّسائي صاحب كتاب السنن، وعبد الله بن مبارك المروزي المتوفى عام ١٨٢ هجرية، وأبو عبد الرحمن السمرقندي.

كما تميزت تلك المناطق بإنجاب كبار الفقهاء والعلماء والمُحدِّثين أمثال أبي سهل السرخسي صاحب كتاب المبسوط الذي ضم ١٥ جزءا، بخلاف كتب أخرى في الفقه ضمت ٦٠ مجلدا، وهناك أيضا العالم قاضي خان، وأبو منصور الماتريدي، وأبو بكر عبد الله الدبوس.

ومن العلماء ابن سينا مؤلف كتاب «القانون في الطب»، وأبو الريحان البيروني، وأبو بكر جعفر النرشخي، والخوارزمي، والفارابي، والزمخشري، وأبو بكر القفال شاش، والإمام أحمد بن حنبل.



○ تعطش شديد للعودة إلى الإسلام والتخلص نهائيًا من كابوس الشيوعية..

المروزي، وأبو إسحاق إبراهيم المروزي، وغيرهم كثيرون.

وقد بلغ الإسلام في هذه المناطق شأنا عظيما فأقيمت آلاف المساجد ودور العلم، وظهر التقدم العلمي في كل المجالات، وأسهم العلماء العرب في علوم الطب والقانون والفلك والرياضيات والهندسة والكيمياء والمعادن، بالإضافة إلى علوم اللغة والفقه.

وتضم المناطق الإسلامية أكثر من ٨٠ ألف مخطوطة، منها أكثر من ٤٠ ألفا بمكتبة طشقند عاصمة أوزبكستان ومتحفها. وفي بخارى توجد نفائس من المخطوطات، وقد شاهدت نسخة ويعتقد أنها من رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم مصر والأقباط، ونماذج من القرآن الكريم مخطوطة قبل ثلاثمائة سنة، ومصحفا بخط عبد الواحد البخاري، وآخر بخط عبيد الله البخاري ويعود نسبهما إلى الإمام البخاري، وقد انتشر هذا الخط فيما بعد وسمي بالخط العبيدي البخاري.

كما يوجد بقلعة أرك الشهيرة ببخارى التي كانت مقرا لسـ[illegible] القديمة قسم للمخطوطات، ويضم أمهات الكتب التاريخية، وآثارا إسلامية من العصور الأولى، منها مخطوطة كتب عليها: إلى مولانا الأمير السيد أبي بكر محمد بن عمر، مؤرخة سنة ١٨١ هجرية، وكتب ابن سينا، ومخطوطة من الشيخ أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا إلى الشريف سعيد أبي الحسين علي بن الحسين الحسني رحمه الله في بعض الوصفات الطبية، كما اطلعت على مخطوطات أخرى بالمناطق الأثرية.

ويعيش الإمام الخطيب عبد الغفور البخاري حفيد الإمام البخاري بمدينة بخارى، ولديه عدد لا بأس به من المخطوطات منها كتاب «الخمسة»

لعبد الرحمن جامي باللغة الفارسية من القرن التاسع الهجري، وكتاب يوسف وزليخة بالفارسية أيضا، وكتاب تجويد القرآن، ومخطوطات أخرى.

مصحف عثمان

ويحتفظ متحف أيبك بطشقند ضمن ما يحتفظ به من مخطوطات نفيسة، بنسخة من مصحف الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ويؤكد المسلمون في تلك المناطق أنها النسخة الأصلية، بينما تؤكد جهات أخرى أنها تمتلك هذا المصحف ومن بينها مصر، ولا يعرف على وجه التحديد أصل هذا المصحف، وأيها النسخة الأصلية. ومن بين الروايات التي يرددها المسلمون الأوزبك أن هذا المصحف ظل مدة طويلة بحوزة القياصرة الروس في القرنين الماضيين، واحتفظ به في دار الكتب بمدينة (بطرسبرج) ثم نقل إلى مدينة أوفا ومنها إلى طشقند عام ١٩٤١م، وأقيم احتفال ضخم بهذه المناسبة، وقد أجريت للمصحف بعض الترميمات عام ١٩٨٦م.

وبخلاف الآثار الضخمة التي تقف شاهدة على عظمة الحضارة الإسلامية، توجد في بخارى وطشقند وسمرقند، مساجد وقباب وآثار أخرى متناثرة في الجمهوريات الإسلامية، وقد تهدم بعضها، وتغير ملامح بعضها الآخر إما بفعل الزمن أو بفعل السلطات الشيوعية التي حولت بعض المدارس والمعاهد العلمية إلى قاعات للهو، وقد شاهدت مدرسة كبيرة في بخارى تحولت إلى مسرح يأوي إليه السياح بعد زيارتهم للآثار الإسلامية كما تأثرت الآثار الإسلامية بالزلزال الذي دمر طشقند عام ١٩٦٦م، وعلى الدول الإسلامية والعربية أن تسعى بالتعاون مع الجمهوريات الإسلامية للحفاظ على ذلك التراث الإسلامي.

جهود مشكورة ولكن..

تشهد أوزبكستان نهضة تعليمية إسلامية من خلال التوسع في إنشاء المدارس، كما تم تغيير المناهج الدراسية في العام الدراسي الحالي لتتواءم مع النهضة الإسلامية التي تشهدها البلاد. وعدا معهد الإمام البخاري العالي في أوزبكستان لا توجد معاهد عليا إسلامية، ويطالب المسلمون بإنشاء جامعة إسلامية يكون مقرها طشقند بالتعاون مع الدول الإسلامية.

المسلمون قادمون



مئذنة مدينة خيوة

٨٠ ألف مخطوط نادر ومئات الآثار الإسلامية بانتظار الإنقاذ العاجل.

وقد أوفدت المملكة العربية السعودية عددا من الأئمة والدعاة لأوزبكستان، كما أمدتها مصر ببعض الاحتياجات في مجال التعليم الديني، وكان لزيارة الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي ودعمه المادي والمعنوي الأثر البالغ في تقوية أواصر العلاقات مع مسلمي آسيا الوسطى. كما جاء الاعتراف السعودي بجمهوريات آسيا الوسطى إثر إعلان استقلالها في أواخر العام الماضي خطوة على طريق احتضان هذه الجمهوريات إسلاميا، كما أوفدت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وفدًا من العلماء وأقامت هناك ندوات ولقاءات ودورات للأئمة ولحفظة كتاب الله الكريم على مدى أسابيع.

وأعلن الدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف المصري أن مصر لن ترفض أي منحة دراسية في جامعة الأزهر لطلاب جمهوريات آسيا الوسطى وما وراء القفقاس، وتعكف رابطة العالم الإسلامي على إعداد دراسة لإمكان وضع مناهج دراسية إسلامية موحدة للأقليات الإسلامية.

ومازال التعليم في حاجة إلى تكاتف الجهود الإسلامية، فلا يزال الشيوعيون يسيطرون على بعض المجالات ومن بينها التعليم، وهو أحد مجالات الصراع بين الإسلاميين بقيادة حزب النهضة الإسلامي وفلول الشيوعيين، وهناك حاجة ماسة لمدرسي اللغة العربية وعلوم الشريعة والفقه، والترجمات للغات الأم التي يتحدث بها المسلمون، ويقوم خمسة آلاف مدرس بواجبهم تجاه أبناء وطنهم، كما تم إنشاء خمس مدارس جديدة في أوزبكستان، ولكنهم يحتاجون للمزيد.

مدّ إسلامي

كان للتفتيت العرقي والطائفي أثره البالغ في اختلال القوميات الإسلامية، وانحسار مدها الإسلامي إلى مناطق أخرى، ومنذ سيطرة الروس على الجمهوريات الإسلامية، عمدوا إلى تقطيع الأواصر الإسلامية لهذه الدول عن طريق تهجير قوميات أخرى إليها، وخاصة الروس للحيلولة دون ازدياد المد الإسلامي وتصاعده، كما قاموا بتهجير التتار والأوكرانيين إلى الأراضي الإسلامية، فذابت اللغة العربية في اللغات الجديدة الوافدة، وغدت اللغة الروسية هي السائدة في جميع المناطق، وإن كان ذلك لم يمنع المسلمين من التمسك بلغتهم الأصلية وعاداتهم وتقاليدهم، وقبل انهيار الشيوعية كانت البلاد قد تحولت إلى مئة قومية، وخمس عشرة جمهورية، وعشرين منطقة ذات حكم ذاتي، تطالب معظمها بالاستقلال عن روسيا وجورجيا، كشعب التتار، والشعب الأبخازي.

وقد فشلت محاولات الشيوعيين في جمهورية أوزبكستان لأسباب عديدة، منها كثرة عدد سكانها المسلمين، ووجود عدد ضخم من الآثار الإسلامية مما يعطي زخما معنويا في التمسك



أحد المؤتمرات الإسلامية في باكو عام ١٩٨٦



داخل مسجد بطرسبرج (لينينغراد سابقا)

بالإسلام، والذود عن حياضه، في مواجهة قوى الإلحاد التي أطلقها الحزب الشيوعي ضد المتدينين.

وكان التمسك بالإسلام إحدى المشكلات التي كانت تقلق مضاجع النظام البائد، وعبّر قادتهم عن ذلك في مناسبات عديدة، وطالبوا بضرورة التصدي للمد الإسلامي، المتزايد، فإذا بالشيوعية نفسها تنهار بسرعة فائقة ويبقى الإسلام.

وقبل انهيار النظام الشيوعي، ذهب الرئيس السابق جورباتشوف إلى طشقند عاصمة أوزبكستان وحذر في خطاب ألقاه أمام ممثلي الحزب من أن الكثير من المسلمين في هذه الجمهورية وغيرها يؤدون الصلاة في المساجد وهو الأمر الذي يتعارض مع عضوية الحزب الشيوعي!

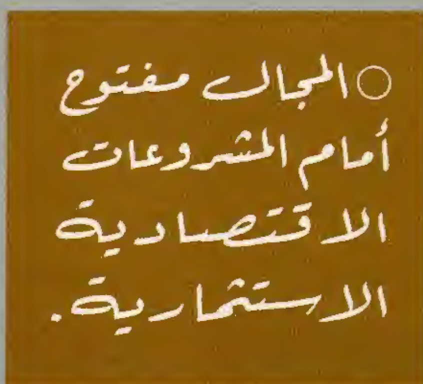
ولم تكن تلك المشكلة الوحيدة وإن كانت أخطرها، فقد عبّر المسؤولون عن قلقهم من تزايد نسبة السكان المسلمين في أوزبكستان مقارنة بغيرهم في الاتحاد السوفييتي السابق، ووصلت تلك النسبة إلى ٣٪ وهي من أعلى النسب في العالم.

وقد أصدرت هيئة الأمومة والطفولة في موسكو إحصائية ذكرت فيها أن لقب «الأم البطلة» وهو اللقب الذي يطلق على كل أم تنجب أكثر من عشرة أطفال قد نالته أم واحدة في جمهورية روسيا البيضاء التي يبلغ تعدادها حوالى ١١ مليون نسمة، بينما نالته ٥٣٠ من الأمهات في جمهورية أوزبكستان التي يصل تعدادها إلى ٢٠ مليون نسمة، كما نالته ٢٤٢ من الأمهات في جمهورية كازاخستان التي يصل تعدادها إلى ١٧ مليون نسمة، و٤٥ أمًّا في أذربيجان التي يصل تعدادها إلى سبعة ملايين ونصف مليون نسمة تقريبا.

وتتجه الأنظار إلى طشقند لا باعتبارها أكبر



المفتي طلعت تاج الدين



وأهم عاصمة في الجمهوريات الإسلامية، وإنما لوجود أهم إدارة دينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان التي يرأسها المفتي محمد صادق ماما يوسف ويعاونه الشيخ عبد الغني عبد الله عبدالغني وزير الشؤون الدينية.

وفي ١٩٩٠م تأسس أول حزب إسلامي في البلاد، وهو حزب النهضة الإسلامي في أعقاب المؤتمر الذي عقد بمدينة استراخان جنوب روسيا، ويضم الحزب الجديد ممثلين عن المنظمات الإسلامية غير الرسمية في آسيا الوسطى والقوقاز

وجمهوريتي بشكيريا وتتاريا ذاتي الحكم الذاتي، ويسعى الحزب إلى تعزيز العلاقات بين المسلمين السوفييت وإخوانهم في أنحاء العالم، ودعم علاقات التعاون بين المسلمين في الداخل والخارج. وقد اعتمد المسلمون على الصلات الاجتماعية في الحفاظ على هويتهم، وفي السنوات الأخيرة صدرت مجلة «المسلمون» في الشرق السوفييتي، وكانت المجلة الوحيدة التي سمحت السلطات الشيوعية بصدورها، وقد تعثرت في الصدور بسبب منع التمويل عنها، وبعد زوال الحكم الشيوعي قام المسلمون بإنشاء دار للنشر في طشقند، كما أصدروا صحيفة «نور الإسلام» التي تعد أول صحيفة إسلامية، كما طبعت تسعة أعداد من جريدة الدعوة، بالإضافة إلى تفسير القرآن الكريم، وتم طبع ١٢ ألف نسخة مجانا أسهمت في تكلفتها هيئة الإغاثة الإسلامية.

إن المسلمين في تلك المناطق يقدرون الجهود المبذولة من الدول العربية وإن كانوا يطمعون في دفعة اقتصادية وإنشاء مشروعات استثمارية خاصة، وإن تلك المناطق يمكن أن تكون سوقا مناسبة للمواد النفطية وغيرها التي تصدرها الدول العربية والإسلامية.

وعلى المنظمات الاقتصادية العربية والإسلامية عبء بلورة مفهوم واضح لخطة اقتصادية طويلة المدى، تبدأ بالأولويات على أن تكون قابلة للتنفيذ في أسرع وقت، وأن يتواصل المد مع إخوة الدين المتمسكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

المجلة: راجع موضوع «من التاريخ السري لجهاد المسلمين في داغستان ضد القهر الشيوعي»، عدد «الفيصل» رقم ١٨٢، شعبان ١٣١٢هـ - فبراير ١٩٩٢م.

لم يكن الشاعر الفرنسي فكتور هوجو بعيدا عن الصواب حين أعلن قائلا في (الشرقيات): «في عهد لويس الرابع عشر كنا هلّينيين، أما اليوم فنحن استشراقيون» (١). ولئن كان الشرق قد بدأ يحضر حضورًا نصيًا في العالم الغربي، منذ قام الفرنسي أنطوان جالان بترجمة ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية عام (٤ ـ ١٧٠٨)، فإن القرن التاسع عشر كان فعلاً قرن الحضور الشرقي القوي في الغرب. ومن المفارقات أن هذا القرن كان قرن المد الاستعماري الغربي على دول الشرق عامة، والدول الإسلامية خاصة وكأنما كان رد فعل الهيمنة الاستعمارية الغربية هيمنة حضارية شرقية. وهكذا رحل مجموعة من شعراء الغرب الى المشرق، إما رحلة روحية ـ عبر النص الشرقي المكتوب ـ وإما رحلة روحية وجسدية، فظهرت آثار الحضارة الشرقية على أدباء الغرب ومفكريه، من أمثال لامارتين (١٧٩٠ ـ ١٨٦٩) وفلوبير (١٨٢١ ـ ١٨٨٠) وشاتوبريان (١٧٦٨ـ١٨٤٨) في فرنسا، وبايرون (١٧٨٨ ـ ١٨٢٤) وكارلايل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) وكبلنج (١٨٦٥ ـ ١٩٣٦) في بريطانيا.

أسير الشرق الفاتن جوته

بقلم: د. حسن الأمراني

الشرق شرق والغرب غرب

ويلاحظ أن ذلك الأثر كان قويا حتى على أولئك الذين وقفوا من الحضارة الشرقية موقفا عدائيا مثل ريدار كبلنج الذي أطلق صيحته الشهيرة:

«الشرق شرق، والغرب غرب، ولا يلتقيان أبدًا».

فإن ما رفع ذكر كبلنج بين أبناء قومه كتاباته المستمدة من الشرق، بل إنه ما منح جائزة نوبل للآداب إلا لكتابه الشهير • (كتاب الأدغال) وهو كتاب تدور أحداثه في الشرق الأقصى.

الشرق والغرب لا يفترقان

في هذا الوقت الذي كانت فيه صيحة كبلنج ترتج في جنبات أوربا، كان هنالك شاعر عظيم من ألمانيا يهتف، قبل قرن من الزمان:

«من يعرف نفسه والآخرين
يعترف هنا أيضا أن الشرق والغرب
لا يمكن بعد أن يفترقا
وبودي أن أهدهد نفسي
سعيدًا بين هذين العالمين
وإذن فالتحرك بين الشرق والغرب هو الملك الأفضل» (٢).

كان هذا الشاعر العظيم هو جوته JOHANN WOLFGANG VON GOETHE

وقد ولد في ٢٨ آب (أغسطس) عام ١٧٤٩ وتوفي في ٢٢ آذار (مارس) عام ١٨٣٢. كان جوته أديبا متعدد المواهب، فهو شاعر وروائي ومسرحي وناقد، وإذا كان قد اشتهر مسرحيًا بعمله (فاوست) واشتهر روائيًا بعمله (آلام فارتر) فإنه اشتهر شاعرًا بديوانه المتميز (الديوان الشرقي ـ الغربي) West-östlicher Divan وقد اشتهر في اللغة الفرنسية باسم الديوان Le Divan.

لقد ذكر ريموند شفاب في كتابه (النهضة الشرقية La renaissance orientale، أن الشرق الإسلامي كان أشد المشارق حضورًا في الغرب.

إن ديوان جوته يصدق إلى حد كبير هذا

الزعم، فالشاعر الألماني مفتون بالشرق الإسلامي إلى حد كبير، بل إننا نحس أنه أسير هذا الشرق الفاتن. ويتجلى هذا في أمرين:

الأول: أن جوته مشبع بالثقافة الشرقية الإسلامية، فأسماء الكتب والأعلام، ومضامين التاريخ والقصص والحكايات، وآثار الثقافة الإسلامية، كل أولئك حاضر بكثافة في الديوان.

إننا نعثر على القرآن الكريم، واسم الله تعالى (Allah)، وشيء من قصص الدين الإسلامي، كما نعثر على أسماء بعض الشعراء مثل المتنبي وجلال الدين الرومي والفردوسي وحاتم وحافظ الشيرازي، بل هو قسّم ديوانه إلى كتب أو أسفار، منها سفر المغني، وسفر حافظ، وسفر العشق، وسفر التفكير، وسفر الحكمة، وكتاب زليخا، وسفر الساقي...

والأمر الثاني أن جوته يتخذ موقفًا واضحًا من تلك الثقافة، وهو موقف الإعجاب والإكبار، في حين نجد بعض الشعراء المتأثرين بالشرق تتنازعهم مواقف الإعجاب والدهشة والحذر والعداء وسبب ذلك أن شرق الحكمة والشعر والمحبة هو الشرق الحاضر في أشعار جوته، أما عند غيره من الشعراء فقد نجد شرق الشعر والحكمة مجاورًا لشرق الجهاد أو الحروب الصليبية، ونجد سعدي الشيرازي والمتنبي إلى جوار خالد وصلاح الدين ومحمد الفاتح.

كان جوته شديد الإعجاب بالقرآن الكريم، وكان يراه سيد الكتب على الإطلاق، وكان ينعى على بعض الفرق الكلامية أنها، في أثناء اشتغالها بالقرآن الكريم، قد انحرفت عن القصد بالبحث في أمور هامشية مثل خلق القرآن، وهل القرآن أزلي أم لا. إن المهم هو الحقيقة المطلقة التي يحملها القرآن الكريم، وعلينا أن نتدبرها.

ولنستمع إلى ما يقوله جوته:

« أكان القرآن أزليا؟
مالي بذلك علم!
أو كان القرآن مخلوقا؟
لست أدري!
أما أنه كتاب الكتب
فذلك ما أؤمن به
كما ينبغي أن يؤمن به المسلم »(٣).

وأما حديث جوته عن الإسلام، فهو حديث من يترك الفطرة الصافية تتحدث، وكأننا - ونحن نقرأ مفهوم جوته للإسلام - لا نلبث أن نتذكر قول الرسول ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه ».

يقول جوته:

« من حماقة الإنسان في دنياه
أن يتعصب كل منا لما يراه
و إذا الإسلام كان معناه أن لله التسليم
فإننا جميعا، نحيا ونموت مسلمين »(٤).

○ لماذا تمنّى جوته أن يكون "متنبي" الغرب؟

المتنبي في الديوان الشرقي - الغربي

وأما شعراء الإسلام فهم - في ديوان جوته - كثير، ولكن هنالك شاعرين يتكرر اسم كل منهما في الديوان، أحدهما عربي هو أبو الطيب المتنبي، والثاني فارسي هو حافظ الشيرازي.

فأما المتنبي فحسبنا أن نعلم أن جوته تمنى أن يكون متنبي الغرب، ولسنا على يقين بأن جوته كان يتقن العربية، ولكننا على يقين بأن ديوان المتنبي كان قد ترجم كاملا - شعرًا - إلى الألمانية، على يد المستشرق النمساوي يوسف ف. هـ. برجستال، وهي - فيما نعلم - الترجمة الكاملة الوحيدة لديوان المتنبي إلى لغة أوربية، وإن كانت قد ترجمت أشعار متفرقة للمتنبي إلى معظم اللغات الأوربية. فلعل جوته قد اطلع على هذه الترجمة، وعرف من خلالها المتنبي، وتذوق فنه وشخصيته.

ومما يقوله في الديوان (ص ١٩٥):

« إن لم أكن حاخامًا، وهو ما لا أحلم به قط،
فلأكن - على الأقل - الفردوسي أو المتنبي
أو فلأكن - في أسوأ الحالات - إمبراطورًا »(٥).

سفر حافظ

وأما حافظ الشيرازي فإعجابه به بدون حدود، وحسبنا أن نعلم أنه سمى أحد أسفار ديوانه سفر حافظ، كما ألمحنا من قبل "Hafis Namek"

وهو يفتتح هذا السفر بقوله:

« سمّوا الكلمة مخطوبة
ولتسموا الروح خاطبا
إنما يدرك هذا القرآن
من بجّل حافظًا »(٦).

ويقول في قصيدة (لقب) وهي القصيدة التي افتتح بها هذا السفر:

الشاعر:
محمد شمس الدين، قل لي
لم شعبك العظيم
سماك حافظا؟
حافظ:
إنني أرحب بسؤالك وأجيب:
لأني حفظت في ذاكرتي القوية
حفظًا تامًا
موروث القرآن المقدس
ولأني أتحرك بإخلاص
كي لا يدركني الأثر السيئ
للحياة اليومية
ولا يدرك كذلك
أولئك الذين يقدرون حق القدر
كلمة النبي وغرسه
لهذا أُعطيت هذا الاسم (٧)

وواضح أن جوته يستند إلى الدلالة العربية لاسم حافظ، لكي يبني قصيدته بناءً متناميًا يبدأ من العَلَمية لينتهي إلى المصدرية، المتصلة بالحفظ التام لمبادئ القرآن الكريم وشريعته. وليس غريبًا بعد ذلك أن نجد جوته يخاطب حافظا بقوله:

« وهكذا، فأنا أشبهك تمامًا
أنا الذي استوعب الصورة الرائعة
لكتبنا المقدسة »(٨).

الهوامش

(١) Les orientales :322
(٢) ترجمة د. عبد الرحمن بدوي.
(٣) ترجمة الكاتب.
(٤) ترجمة عبد الرحمن صدقي، عن كتاب (جوته: تأليف بيتر بورنر ترجمة د. أسعد رزوق) ٦.
(٥) ترجمة الكاتب.
(٦) Divan: 85
(٧) Divan: 85
(٨) Divan: 87



الشرق في عيون الغرب





بقلم الشيخ: حمد الجاسر

في معرض الحضارة اليمني بألمانيا

في الحلقة الماضية روى الشيخ حمد الجاسر مشاهداته في ميونيخ واهتمامه بتتبع المخطوطات العربية هناك، وفي هذه الحلقة يواصل ذكرياته.

لأبي فهد الشيخ عبد الله الخيال صديق ألماني من وجهاء مدينة ميونخ، وقد أخبره بأنه في مساء هذا اليوم (الأربعاء ٢/ ٩/ ١٤٠٧ ـ ٢٩/ ٤/ ١٩٨٧) سيفتتح (معرض الحضارة والفن اليمني على مدى ثلاثة آلاف سنة) الذي أقامته الحكومة الألمانية، وشاركت فيه **اليمن** بتقديم كثير من معروضاته، وحضر افتتاحه نائب رئيس وزراء اليمن ووزير الخارجية فيه **الأستاذ عبد الكريم الإرياني**، ووزير الزراعة **الأستاذ حسين العمري**، وقد حبّذ الصديق **الخيال** زيارة المعرض في هذا المساء، ثاني يوم من افتتاحه، وتوقعت أن أرى **الأستاذ حسين العمري** الذي عرفته حين كان يعمل في سفارة بلاده في دمشق، ويعنى بتحقيق كتاب في «تاريخ صنعاء»، إلا أنني لم أر هناك من أعرفه، ولم أستفد من هذه الزيارة سوى مرافقة الصديق الكريم، وتعرّفي بمستشرق **نمساوي** مشهور، ذي عناية بالدراسات الأثرية في **جنوب الجزيرة**، وقد عمل في **جامعة الرياض** ـ مع **الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري** ــ فترة من الزمن، ولكن لم يسبق لي الاجتماع به، وهو الأستاذ (دوستال). وعلى ذكر هذا الأستاذ فقد علمت حين مررت بمدينة **(فينا)** أنه لا يزال ذا صلة **بالدكتور الأنصاري**، كما علمت أن أحدَ مرافقيه في رحلاته إلى نجران للدراسة، أعدَّ بإشرافه رسالة لنيل درجة (الماجستير) إلا أن هذا التلميذ حين طبع الرسالة تجاهل موقف الأستاذ (دوستال) من توجيهه في تلك الدراسة ــ على ما سنعت من الدكتور حسن محمد الشماع.

والأستاذ دوستال WALTER DOSTAL ممن شارك في **(ندوة تاريخ الجزيرة العربية)** التي نظمتها **كلية الآداب في جامعة الرياض** في جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ (نيسان سنة ١٩٧٧م) ببحث عنوانه: (نحو بناء هيكل للتطور الحضاري في الجزيرة العربية) نشر في الكتاب الثاني من «دراسات تاريخ الجزيرة العربية» ص ١٨٥ ـ ١٩١ باللغة الإنجليزية.

كان الجَوُّ دَاخِلَ المعرض يبعث في النفس الانقباض، وكان الصعود إلى



من الآثار القديمة في اليمن

مكان الاجتماع حيث تلقى الأحاديث متعبًا، والتحدث باللغة الألمانية التي نجهلها، ومع ذلك فقد استدعى الأمر تَكَلُّفَ الإنصات على مَضَضٍ، خلال فترة من الزمن تجاوزت ساعة. كدت أن لا أستطيع القيام من الكرسي، فقد أُصِيبتْ رجلي اليمنى بِعُقَّالٍ شَدَّ ركبتها، وخَدَّرَ قدمها، فنزلت بمعونة **أبي فهد** وصاحبه، وحَرَمْتُ الأستاذَ من مشاهدة ما في المتحف من معروضات يمنية، نُقِلَتْ وأُحْضِرَتْ من اليمن ومن بعض المتاحف الألمانية لعرضها في هذه المناسبة.

ومع أني كنت حريصا على زيارة المعرض في مساء اليوم الثاني حين سمعت من سيدة يَبْدُو من سُحْنَتِهَا ومظهرها وملامحها أنها من أبناء اليمن الأقحاح - سمعتها تَعِدُ بإلقاء محاضرة عن (**اليهود في اليمن**) ولكنني خشيت أن تكون بلغةٍ

لا أفهمها، واستبعدتُ أن يتحدث أحد باللغة العربية في مكان لم أر فيه عربيًا سوى ثلاثة أُدْخِلُوا عند بَـدْءِ إلقاء المحاضرة الأولى من مدير المتحف، وأُجْلِسُوا أمام الحاضرين في جانب من صدر المكان. تبدو أجسامهم لا تختلف عن بعض المنحوتات الصخرية المعروضة في جوانب المكان، إلا أن اختلاف أزيائهم أبرزَهُمَ أبعد ما يكونون عن التناسق في مظاهرهم وحداثة بعض ما يَلْبَسُون، ولَمْ أُدْرِك الغاية مِنْ حَشْرِ هؤلاء الإخوة المساكين، ليزداد بهم عدد التماثيل المنحوتة من الصخر، أو المصنوعة من الطين، مع عدم التناسق بين هذه وأولئك، وعدم مراعاة ما ينبغي لأولئك الإخوة من الارتفاع بهم عن مستوى الجمادات.

في المكتبة العامة أيضا

وكانت الزيارة الثانية للمكتبة، فكان مما اطلعت عليه:

١ ــ مجموع رقمه (٨٨٥) ـ فيما يحوي ــ بعض رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومن محتوياته:

١ ـ قصيدة بعنوان (مرثية لبعضهم):

لو كان ينفعني عليك بكائي لَـجَرَتْ سوابقُ عبرتي بدماءِ

في نحو أربعين بيتًا، ويظهر أنها في رثاء الشيخ أحمد بن تيمية، كما يفهم من بعض أبياتها، وتقع في ثلاث صفحات.

٢ ـ فتوى للشيخ في السفر لمجرد زيارة قبور الأنبياء (من ق ٢ ب إلى ٢٣ أ) مخطوطة في ٢١ من جمادى الآخرة سنة ٧٣١هـ بدمشق.

٣ ـ نقول منوعة من كلام **الغزالي** وغيره ليست من كلام الشيخ، ولا توافق مشربه من حيث الاعتقاد (من ق ٢٣ ب إلى ٤٠).

٤ ـ **مسألة العُلوّ ـ للشيخ ابن تيمية** (٤١/ ٥١).

٥ ـ رسالة للشيخ في السفر إلى غير المساجد الثلاثة (٥٢/ ٦٨) آخرها: فكان يرد عليهم فأولئك سلموا عليه ـ ثم بياض في آخر الصفحة مما يدل على أن الرسالة ناقصة.

٦ ــ رسالة للشيخ أولها بعد الخطبة: فصل فيما جعل الله للحكام أن يحكموا فيه، وما لم يجعل لواحد من المخلوقين الحكم فيه (٦٩/ ٨٩) مخطوطة بدمشق في سلخ شعبان سنة ٧٣٥هـ.

٧ ـ بعد البسملة والحمد له: صورة الفتاوى المرسلة من بغداد إلى دمشق في أواخر سنة ست وعشرين وسبع مئة، لما حُبِس شيخ الإسلام، الإمام العالم، **تقي الدين، أبو العباس أحمد بن تيمية**، بسبب فُتْيا أُنْكِرَتْ عليه (٩٠/ ١٠١)، وفي الصفحة الأخيرة: فتوى لتقي الدين.. عن امرأة ذهبت في يوم العيد إلى قبر بنتها.. والرجال الفسقة دائرون بين القبور، يتفرجون على نساء المسلمين...

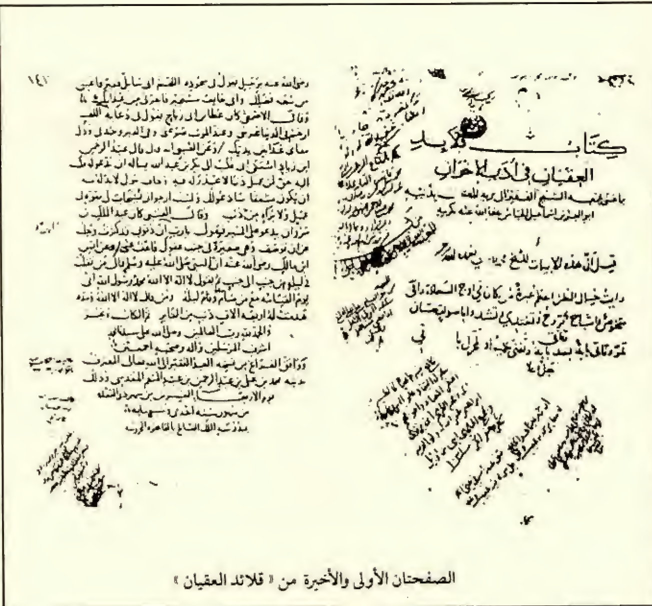
٨ ـ كتاب «**من عاش بعد الموت**» **لابن أبي الدنيا** (من ق ١٠٢/ ١٢٢) مخطوطة سنة ٧٣٩هـ.

ثم ورقتان تحويان أَشْعَارًا وأَخْبارًا وورق المجموع ١٣٤ وكتابته بالخط النسخي الجيد في ٢٦٨ صفحة صغيرة، في كل صفحة خمسة عشر سطرا.

٢ ـ قلائد العقيان، في أدب الإخوان:

كذا ورد الاسم في طرة الكتاب، وتحته: مما عُني بجمعه الشيخ الفقير إلى ربه، المعترف بذنبه، **أبو العز ابن اسماعيل الجبَّاس**، عفا الله عنه بكرمه. وتكرر الاسم في مقدمة الكتاب إذ ورد: (قال الشيخ الفقير إلى رحمة ربه المستغفر من ذنبه، **أبو العز ابن اسماعيل المعروف بالجباس**). ويكاد الكتاب يكون شاملاً للآداب الإسلامية يورد الآيات والأحاديث والأقوال المشهورة والأشعار المأثورة، والحكايات الطريفة.

وجاء في آخره: ووافق الفراغ من نسخه العبد الفقير إلى الله تعالى، المعترف بذنبه، **محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي**، وذلك في يوم



الصفحتان الأولى والأخيرة من «قلائد العقيان»

الأربعاء العشرين من شهر ذي القعدة سنة إحدى وسبع مئة، بمدرسة الملك الصالح بالقاهرة المحروسة ـ انظر الصورة في الصفحة المقابلة.

ويقع الكتاب في ١٤٤ ورقة (٢٨٨ صفحة) من القطع الكبير، في الصفحة ٢٣ سطرا، والخط نسخي حسن، وكثير من الكلمات مشكلة بالحركات، والعناوين بالقلم الثلث، وفي الهوامش كلمة (بلغ) مما يدل على مقابلة النسخة بأخرى، مع تصحيح بعض الكلمات بشطبها وكتابة غيرها.

ورقمه في الفهرس (٦٠٣)

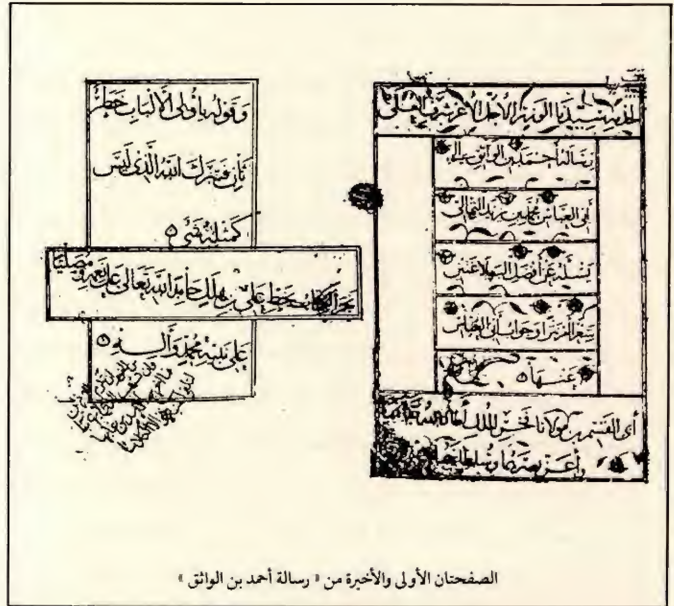
٣ ـ رسالة أحمد بن الواثق إلى المبرد:

رقم هذه الرسالة (٧٩١) وقد كُتِبَ في طرتها المزوقة بالذهب في أعلى

« محاضرة باللغة العربية أمام جمهور ليس فيه من يتحدث - أو يفهم - العربية! »

الصفحة : (لخدمة سيدنا الوزير الأعز شرف العلى) وفي أسفلها : (أبي القاسم ابن مولانا فخر الملك أطال الله بقائهما وأعز نصرهما وسلطانهما) وبين الكتابتين في وسط الصفحة : (رسالة أحمد بن الواثق إلى أبي العباس محمد بن يزيد الثمالي، يسأله عن أفضل البَلاغَتَيْـن شعرًا أَمْ نَثْرًا، وجواب أبي العباس عنها) .

ثم في الصفحة الثانية : (بسم الله الرحمن الرحيم كتب أحمد بن الواثق إلى أبي العباس محمد بن يزيد الثمالي النحوي : أطال الله بقاك، وأدام (ق : ٢) عزك، أحببتُ - أَعَزَّكَ الله - أَنْ أعْلَم أيّ الْبَلاَغَتَيْنِ أبلغ، أبلاغة الشعر أم بلاغة



الصفحتان الأولى والأخيرة من « رسالة أحمد بن الواثق »

الخطب، الكلام المنثور والسجع، وأيهما (ق : ٢ب) عندك - أعزك الله - أبلغ، عرّفني ذلك إن شاء الله .

فكتب إليه : أطال الله بقاك، وأدام عزك، سألتَ - أعزك الله - عن (ق : ٣) البلاغتين في الشعر المرصوف، والكلام المنثور أَيَّتُهُمَا أَوْلَى بأنْ تكون المقدَّمة، وأحق أن تكون على الكمال مشتملة (ق : ٣) والذي سألت عنه - أعزك الله - من مسائل العقلاء الفضلاء، وكل ذلك فأنت ذُرْوَتُهُ وسَنَامُهُ، فزادك الله ولا نقصك (ق : ٤) وأعلاك ولا وضعك، الجواب فيما سألت : أَنَّ حق[1] البلاغة إحاطةُ القولِ بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم (ق : ٤ ب) حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدةً شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول، فإن استوى هذا الكلام المنثور والكلام المرصوف المسمى شعرًا فلم[2] يفضل أحدُ القِسْمَيْنِ صاحبه .

فصاحب الكلام المرصوف (ق : ٥ ب) أحمد، لأنه أتى بما أتى به صاحبه، وزاد وَزْنًا وقافيةً، والوزن والقافية تضطر إلى الحيلة، وبقيت بينهما (ق : ٢) واحدة ليست مما توجد عند استماع الكلام منهما، ولكن يُرْجَعُ إليها عند قولهما فَيُنْظَر أَيُّهُمَا أَشَدُّ على الكلام اقتدارًا (ق : ٢ ب) وأكثر تَسَمُّحًا، وأقلُّ مُعَانَاة، وأبطأُ معاسرةً، فَيُعْلَم أنه المقَدَّم . . .

وآخر الرسالة : (ق : ٢٣ ب) وقوله : يا أُولي الألباب خَطَرٌ ثانٍ، فتبارك الله الذي ليس كمثله شَيْءٌ . نجز الكتاب بخط علي بن هلال، حامدًا لله تعالى على نعمه، ومصليا على نبيه محمد وآله - انظر الصورة في الصفحة المقابلة .

والخط من نوع الثلث الجميل، والكلمات مشكلة، والصفحات الثلاث الأولى مذهبة الفواصل، ومزينة بنقوش أزهار مذهبة، والصفحة الأخيرة مقسمة بخطوط مستقيمة مربعة مذهبة، وتقع الرسالة في ٢٣ ورقة (٤٦ صفحة) في الصفحة خمسة سطور، وقد كتب في أحد الهوامش بخط مغاير لكتابة الأصل : (**بخط علي بن هلال أستاذ ياقوت المستعصمي**) وما أرى هذا صحيحًا، وإنْ بَدَا خطّ الرسالة على درجة من الأناقة والجمال، إلا أنني لا أستبعد أن ناسخها حاكَى أو قلد خط **ابن هلال** .

وتكررت زيارة المكتبة للحصول على صور من مخطوطات « **وفاء الوفا** » و« **التبيين** » و**رسالة المبرد**، وكتاب « **قلائد العقيان** » فدفعت ما طُلِبَ مني دَفْعُه، ووُعدتُ بإرسال الصور - على شريط (ميكروفلم) إلى **الرياض**، فكان ذلك في خلال مدة لم تتجاوز الشهر .

٤ - ديوان صفي الدين الحلِّي :

ولفت نظري - في الفهرس - اسم « **ديوان صفي الدين الحلِّي** » فتوهمته ما حققه **أستاذنا الدكتور علي جواد الطاهر**، خلطت الذاكرة بينه وبين « **ديوان الطغرائي** » الذي حققه الدكتور مع **الدكتور يحيى الجبوري**، ونُشر مرتين آخرتهما سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) - وديوان الحِلِّي قد نشر في **دمشق** ثم في **بيروت** قبل مئة عام - لا بأس، لقد طالعت « ديوان الحلي » ورقمه في الفهرس (٥٢٧) فوجدته مجلدا يحوي (٢٨٩) ورقة من القطع الكبير، مبدوْءًا بالبسملة ثم (الحمد الله الذي علم الإنسان البيان . . . وبعد : إني كُنْتُ قبل أن أَشبَّ عن الطوق، وأَعْلَمَ ما دواء الشوق، لَهِجًا بالشعر للكسب بالتعريض، إذ دَيْدَني أن لا تتسخ يدي (؟) . . . - ثم ذكر أنه نظم قصائد مجملة ومفصلة، فالمجملة ما جعله كتابا مفردًا كالديوان، لكونه تسعة وعشرين قصيدة كل قصيدة منها تسعة وعشرون بيتا على حروف المعجم وسماه « دُرَرُ النُّحُورِ، في مدح الملك المنصور » وسَمَّى **بالملك المنصور** : **السلطان نجم الدين أبي الفتح غازي**، والمفصلة ما انتخب أحسنها وأودعه هذا الديوان، الذي يضم اثنى عشر بابا في ثلاثين فصلا هي :

الباب الأول : في الفخر والحماسة، والتحريض على الرياسة، وهو فصلان .

«يعثر على مخطوط عربي في مكتبة ميونيخ مليء بالأخطاء ويبدو أن ناسخه لا يحسن القراءة!»

الباب الثاني : في المدح والثناء، والشكر والهناء، وهو فصلان .

الباب الثالث : في الطرديات، وأنواع الصفات، وهو فصلان .

الباب الرابع : في الإخوانيات، وصدور المراسلات، وهو فصلان .

الباب الخامس : في مراثي الأعيان، وتعازي الإخوان، وهو فصلان .

الباب السادس : في الغزل والنسيب، وطرائق التشبيب، وهو فصلان .

الباب السابع : في الخمريات، والنبذ (؟) والزهريات، وهو ثلاثة فصول .

الباب الثامن : في الشكوى والعتاب، وتقاضي الوعد والجواب، وهو ثلاثة فصول .

الباب التاسع : في الهدايا والاعتذار، والاستعطاف والاستغفار، وهو ثلاثة فصول .

الباب العاشر : في التعريض والألغاز، والتقييد (؟) للإيجاز، وهو ثلاثة فصول .

الباب الحادي عشر : في الملح والأهاجي، والإحماض في التناجي، وهو ثلاثة فصول .

الباب الثاني عشر : في الآداب والزهديات، ونوادر مختلفات، وهو ثلاثة فصول .

ثم (الباب الأول، في الفخر والحماسة، والتحريض على الرياسة، وهو فصلان : الفصل الأول في الفخر والحماسة .

لَئِنْ ثَلَمَتْ حَدِّي صُرُوفُ النوائِبِ   فَقَدْ أَخْلَصَتْ سَبْكِي بنَارِ التَّجارِبِ

ـ ثم الاستمرار في سَرْدِ تلك الأبواب مُرَتَّبَةً بقصائد ومقطوعات ـ إلى الورقة الـ٢٣٢ ففي أولها : وقال في المواليات، ممـا اخترعوه (؟) أهل واسط، من بحر البسيط (؟) :

مابين أكناف راكش منحنا التسليم   شرقي حزوى البازات الغضا ترسيم(؟)

ودون آرام حاجز بسيف التسليم   نَبْلٍ يشق المراير من لحاظ الرّيم

ـــ كذا والخط رديء، أكثر الكلمات محرفة (راكس) و (حُزْوا) و (غضا) و(حاجر) .

وأشعار من هذا النمط إلى الورقة الـ (٢٤٩) ففي أثناء صفحتها الأولى : (رسالة الامتحان، في مناظرة الجواري والغلمان) ـ وبعد البسملة : حدثنا مازح ابن مجان . . . إلى الورقة الـ(٢٥٤) وهي رسالة مشحونة بالمجون .

ويأتي الديوان المرتب على حروف الهجاء في مدح **الملك المنصور**، المتقدم ذكره من (٢٥٤ إلى ٢٧٨) في (١٩ ورقة) وأُلحق به ورق من كتاب « **العاطل الحالي** » ـ من ٢٧٨ إلى ٢٨٩ ـ آخر الديوان وفي الصفحة الأخيرة : وافق الفراغ في شهر ذي القعدة سنة ثمانين وسبعمائة، على يد الفقير . . . عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد النبي بن ابراهيم زين العابدين . . . » والكتابة سيئة، مشحونة بالأخطاء، والناسخ ـ فيما يظهر ـ لا يحسن القراءة .

٥ ـ كتاب « العاطل الحالي، والمرَخَّصُ الغالي » :

رقمه في الفهرس (٥٢٨) كتب تحت اسم الكتاب في المخطوطة : (تأليف الشيخ الإمام الأديب الكامل **صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحِلِّي**، فسح الله في مدته) .

وقد أشار **الحِلِّيُّ** ـ في مقدمة ديوانه ـ الذي تقدم الحديث عنه إلى هذا الكتاب بقوله : (وقد أَعْرَيْتُ هذا الكتاب عن كلِّ ما أُعْرِيَ من الإعراب، والفنون الأربعة التي لَحْنُهَا إعرَابُهَا، وخَطأُ نَحْوِهَا صَوَابُهَا، وجعلتها جُزءًا بمفرده، خارجًا عمَّا نحن بصدده) .

وقال في مقدمة الكتاب : (فإني كنت أضفْت إلى ديوان أشعاري فنَّي المُوشح والدُّوْبيت لِتَحلِّيهمَا بالإعراب، ونسجهما على منوال لفظ الأعراب، وأَعْرَيته من الفنون الأربعة التي لحنها إعْرابُها، وخطأُ نحوها صوابها، ووعدت في خطبته أن أجعلها جزءًا بمفرده . . . وهي الزجل، والمَوَاليا، والكان كان، ومجموع فنون النظم عند سائر المحققين سبعة فنون، لا اختلاف في عددها بين أهل البلاد، وإنما الاختلاف بين المشارقة والمغاربة في فَنَّيْنِ منها . . . والسبعة المذكورة هي عند أهل **المغرب ومصر والشام** الشعر القريض، والموشح والدُّوبيت، والزجل، والمواليا، والكان كان، والحمَّاق، وأهل **العراق وديار بكر** ومن يليهم يثبتون الخمسة منها، والحمَّاق **بالحجازي**، والقوما، وهما فنَّان اخترعهما **البغاددة** للغناء بهما في سحور ليالي رمضان خاصة، في عصر **الخلفاء من بني العباس** ـ إلى أن قال ـ : وسميته بـ « **العاطل الحالي، والمرخص الغالي** » لكونه عاطلا من الإعراب، خاليًا (؟) من المعاني والآداب(؟) مرخصًا بين ذوي الخلاعة والهزل، غاليًا على ذوي الجِدِّ والجزل، وجعلت كتابة كلٍ ما أشكل من لفظه على صورة النطق به والتلفُّظِ، لا على قاعدة الضبط والتحفظ، اقتداء بما فرضه أربابه من الفروض، واتباعًا لأئمة علم العروض، إذْ كان غرضهم تصور المنظوم، وصحة الوزن المفهوم .

وفي الصفحة الأولى من الورقة الـ(٧٧) : هذا آخر العاطل الحالي، والمرخص الغالي، نُقِلَ من أَصلٍ نُقِلَ من خطِّ مصنفه، ونجز على يد الفقير إلى الله الغني **محمد بن أحمد بن معمر المعري** (؟) البغدادي عفا الله عنه، في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة سبع وأربعين وسبعمائة هلالية هجرية .

وصفحات الكتاب (١٥٤) في الأولى عنوان الكتاب والأخيرة خالية من الكتابة، وفي الصفحة ١٩ سطرًا، والخط حسن واضح، إلا أنه لا يخلو من التحريف والخطأ .

« للحديث صلة »

الحواشي

(١) ـ كذا في الأصل ولعل الصواب (أن حد البلاغة) .

(٢) ـ كذا ولعل الصواب (لم يفضل) .

قصة قصيرة

الآخر

بقلم الكاتب الأرجنتيني: خورخي لويس بورخيس ○ نقلها إلى العربية: د. محمد أبو العطا

حدث هذا في شهر فبراير من عام ١٩٦٩ في كمبردج، شمالي بوسطن. لم أسجله في حينه لأن هدفي الأول كان نسيانه، حتى لا أفقد عقلي. والآن، في ١٩٧٢، أرى أنني بعد أن أسجله سيقرؤه الآخرون على أنه قصة، وهكذا سأعتبره أنا أيضًا. أعلم أنه كان فظيعًا حينما كان يحدث، بل وأكثر فظاعة في ليالي السهاد التي أعقبته. ولكن لا يعني هذا أن يتأثر الآخرون جميعهم بقصته.

كانت الساعة حوالي العاشرة صباحًا. كنت مستلقيًا على مقعد على ضفة نهر «تشارلز». عن يميني، على مسافة خمسمائة متر، كانت ثمة بناية عالية لم أعرف اسمها قط. كانت مياه النهر الرمادية تحمل معها قطعًا طويلة من الجليد. أمام النهر، ألفيت نفسي أفكر في الزمن، في صورة هيرا كليتوس القديمة. كنت قد نمت جيدًا وأعتقد أن درس مساء اليوم السابق كان قد نجح في شد انتباه طلبتي. لم يكن ثمة شخص آخر في المكان.

بغتة، انتابني شعور بأنني عشت من قبل تلك اللحظة (وهو ما يفسره علماء النفس بأنه نتيجة تعب جسماني). في الطرف الآخر من المقعد الذي كنت أجلس عليه جلس شخص آخر. كنت أفضل أن أظل وحدي، ولكنني لم أشأ القيام من مقعدي في الحال حتى لا أبدو غير متحضر. كان الآخر قد شرع يُصَفِّر، وبدأ حينئذ أول الهموم المحيرة في ذلك النهار. ما كان يصفر به، أو ما كان يحاول أن يصفر به (فلم أكن قط بارعًا في ذلك) هو مقطوعة «لا تابيرا» لإلياس ريجولس ما بأسلوب الكريول. هذا الأسلوب أعادني إلى فناء اختفى اليوم، وأعاد إلى ذاكرتي «ألبارو ميليان لافينور» الذي قضى نحبه منذ سنين عديدة. ثم جاءت الكلمات. كانت كلمات المقطع الأول. لم يكن صوت ألبارو وإنما محاولة لتقليد صوته. تعرفت على الصوت في فزع. اقتربت منه، وقلت له:

ـ سيدي: هل أنت من الشرق أم من الأرجنتين؟

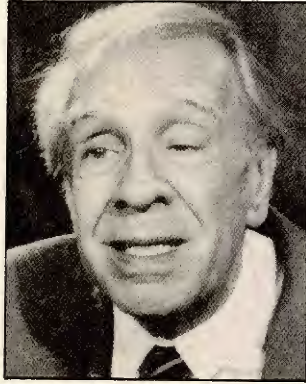
ـ من الأرجنتين، لكنني منذ الرابعة عشرة من عمري، أعيش في جينيف.

مرت فترة صمت طويلة سألته:

ـ في رقم سبعة عشر من شارع «مالنيوه»، أمام الكنيسة الروسية؟

فأجابني أن نعم. قلت له على الفور:

ـ إن اسمك، في هذه الحالة، خورخي لويس بورخيس. أنا أيضًا خورخي لويس بورخيس. ونحن في عام ١٩٦٩ في مدينة كمبردج.


خورخي لويس بورخيس

فأجابني بصوتي وإن كان بعيدًا بعض الشيء:

ـ كلا!

بعد قليل، استطرد قائلاً:

ـ أنا هنا في جينيف، أجلس على مقعد على بعد خطوات من نهر «الرودان». الغريب أننا متشابهان، بيد أنك أكبر سنًا، برأسك الأشيب.

أجبته:

ـ بوسعي أن أثبت لك أنني لا أكذب. سأقول لك أشياء لا يعرفها شخص آخر. في البيت، ثمة إبريق شاي من الفضة رسم الجزء الأسفل منه على شكل ثعابين. أحضره جدنا من بيرو. ثمة أيضًا إجانة معلقة في قربوس.

وفي الخوان الموجود بغرفتك ثمة صفان من الكتب: «ألف ليلة وليلة» (ترجمة لين Lane [١]) في مجلداتها الثلاثة المصورة وبشروحها المكتوبة بخط أصغر بين كل فصل وفصل، وقاموس «كيشرات» (Quicherat) للغة اللاتينية، ومجلد «Germania» لتاقيطس، باللاتينية ثم طبعة جوردوف، و«دون كيخوته» طبعة دار «جرنيير»، و«جداول الدم» لريبيرا أندارته عليها إهداء المؤلف، و«Sartor Resartus» لكارلايل [٢]، وترجمة ذاتية لسيرة «أمييل»، وطبعة شعبية من كتاب عن العادات الجنسية لشعوب البلقان، مخبأ وراء بقية الكتب. ولا أنسى أيضًا عزوبًا في الطابق الأول بميدان دوبرج.

صحح خطأي:

ـ ميدان دوفور.

ـ حسن، ميدان دوفور. ألا يكفيك هذا؟

ـ نعم، لا يكفيني. فهذه الدلائل لا تبرهن شيئًا. إذا كان هذا حلمًا، فمن الطبيعي أن تعلم ما أعلم. وليست لهذه القائمة المسهبة التي سردتها أية قيمة.

كان اعتراضه عادلاً. قلت له:

قصة قصيرة

الآخر

ـ إذا كان هذا الصباح وهذا اللقاء حلمًا، فإن كلاًّ منا لا بد وأن يعتقد أنه هو الذي يحلم وليس الآخر. قد ينتهي الحلم وقد لا ينتهي. واجبنا الآن بداهة أن نتقبل الحلم كما تقبلنا من قبل الكون والميلاد والرؤية بالعين والتنفس.

فأجابني في قلق:

ـ وماذا إذا استمر الحلم؟

لكي أطمئنه وأطمئن نفسي، تصنعت رباطة جأش لم أكن أستشعرها في الحقيقة. قلت له:

ـ دام حلمي سبعين عامًا. على أية حال، حينما يتذكر المرء حياته، لا مناص من أن يلتقي بنفسه. وهذا ما يحدث الآن، فيما عدا أننا اثنان. ألا تحب أن تعرف شيئًا من ماضيّ واحتمالات المستقبل الذي ينتظرك؟

وافقني دون أن يتفوه بكلمة. أكملت حديثي تائهًا بعض الشيء:

ـ أمنا بصحة طيبة في منزلها بـ«تشاركس إي ما يبوه»، في بوينس أيرس، لكن أبي مات منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا. مات بالقلب، قضى عليه شلل نصفي. كانت يده اليسرى تستقر فوق اليمنى كيد طفل صغير فوق يد عملاق. كان يتعجل الموت لكنه لم يتألم. وكانت جدتنا قد لقيت ربها في نفس المنزل، وقبل النهاية بأيام، دعتنا جميعًا وقالت لنا: «إنني امرأة بلغت من العمر أرذله وأحتضر في بطء. فلا تهتاجوا لشيء شائع وعادي مثل الموت». نورا، شقيقتك، تزوجت وأنجبت طفلين. بهذه المناسبة، كيف حالهم في البيت؟

بخير. لا يزال أبي يواصل دعاباته المعروفة.

تردد لحظة ثم قال:

ـ وأنت؟

ـ لا أعرف عدد الكتب التي ستؤلفها، ولكنني أعرف أنها كثيرة. ستكتب أشعارًا وستمنحك رضى لا يشاطرك إياه أحد، وقصصًا ذات طبيعة خيالية. ستعطي دروسًا كأبيك وكآخرين كثيرين من أسرتنا.

أسعدني أنه لم يسألني عن فشل أو نجاح كتبي. غيرت نبرة صوتي واستأنفت حديثي:

ـ أما بشأن التاريخ، فقد قامت حرب أخرى، بين نفس المتحاربين تقريبًا. لم تلبث فرنسا أن استسلمت، وشنت إنجلترا وأمريكا ضد ديكتاتور ألماني يدعى هتلر معركة واترلو أخرى. وأنجبت مدينة بوينس أيرس في عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين «روساس» آخر شديد الشبه بقريبنا. وفي عام ألف وتسعمائة وخمسة وخمسين، أنقذتنا مقاطعة قرطبة كما فعلت من قبل «انتري ريوس». والآن، لا تسير الأحوال على ما يرام. تسيطر روسيا على الكوكب. وأمريكا، فريسة خرافة الديمقراطية، لم تقرر بعد أن تكون إمبراطورية. وتزداد بلادنا تأخرًا يومًا بعد يوم. تزداد تأخرًا وصلفا، كأنها تدفن رأسها في الرمال. ولن يدهشني أن يحتل تعليم لغة «الجواراني»[٣] محل اللاتينية.

لاحظت أنه لا يكاد يلتفت إلى حديثي. كان الخوف الفطري من المستحيل (المستحيل والواقع معًا) يسيطر عليه. ولكنني ـ أنا الذي لم أنجب ـ شعرت نحو هذا الشاب المسكين، الأقرب إلى من ولد من لحمي، بتيار جارف من الحب. رأيت يديه تطبقان على كتاب. سألته أي كتاب هو؟ فأجابني ببعض الخيلاء: ـ «المجانين»، بل «الشياطين» لفيدور دوستويفسكى.

ـ لقد انمحى من ذاكرتي. كيف هو؟

ما إن قلت ذلك حتي أحسست بأن سؤالي لا يغتفر. قرر هو:

ـ لقد غاص هذا المعلم الروسي في متاهات النفس السلافية كما لم يفعل أحد.

عنّ لي هذا العرض البليغ دليلاً على أنه أصبح أكثر هدوءًا. سألته عن ما قرأه من أعمال أخرى للمعلم الروسي، فذكر اثنين أو ثلاثة، من بينها «القرين».

سألته إن كان عند قراءة تلك الأعمال يتابع شخوصها جيدًا، كما في حالة جوزيف كونراد، وإن كان ينتوي مواصلة دراسة الأعمال الكاملة. فأجابني في شيء من الدهشة:

ـ كلا، في الحقيقة.

سألته ماذا كان يكتب؟ فقال إنه ديوان شعر سيطلق عليه «الأناشيد الحمراء»، وكان قد فكر أيضًا في اسم «الإيقاعات الحمراء» كعنوان له.

أجبته:

ـ ولم لا؟ يمكنك أن تذكر، كأمثلة سابقة جيدة، الشعر الأزرق لـ«روبن داريو»[٤] والأنشودة الرمادية لـ«فيرلان»[٥].

ودون أن يلتفت لي، أوضح أن ديوانه ينشد الأخوة بين جميع البشر، فالشاعر في زمننا لا يستطيع أن يولي ظهره لعصره.

أغرقت في الفكر ثم سألته ما إذا كان يشعر حقيقة بأنه أخ للجميع: بأنه أخ، على سبيل المثال، لكل أصحاب الوكالات الجنائزية ولكل سعاة البريد ولكل الغواصين ولكل من يعيشون في منازل ذات أرقام زوجية ولكل من بحت أصواتهم، إلخ... فقال إن كتابه يختص بالجماهير العريضة من المقهورين والمنبوذين، فأجبته:

ـ إن جماهيرك المقهورة المنبوذة ليست سوى تجريد. لو أن أحدًا موجود فالأفراد وحدهم موجودون. قال أحد الإغريق: «ليس رجل الأمس هو رجل اليوم». وكلانا، على هذا المقعد، في جنيف أو كمبردج، خير دليل على ذلك.

فيما عدا صفحات التاريخ الصادقة، لا تحتاج الأحداث الشهيرة إلى عبارات شهيرة. على فراش الموت، يود الإنسان أن يتذكر رسمًا رآه في طفولته، وقبل دخول المعركة، يتحدث الجنود عن الطين أو عن الرقيب. لقد كان موقفنا فريدًا، ونحن بصراحة لم نكن مُعَدّين له.

تحدثنا بالطبع في الأدب، وأخشى أنني لم أقل سوى الأشياء التي اعتدت قولها للصحفيين. كان هو يعتقد في ابتكار واكتشاف استعارات جديدة، أما أنا ففي استعارات توائم

أحاسيس غائرة وبيّنة ويقبلها خيالنا : شيخوخة الرجال والغروب، الأحلام والحياة، جريان الزمن والماء. طرحت عليه هذا الرأي الذي سيطرح في كتاب بعد ذلك بأعوام.

لم يكن يصغي إليّ تقريبًا. طفق يقول :

- لو أنك كنت أنا، كيف تفسر نسيانك للقائك في عام ١٩١٨ برجل تقدمت به السن قال لك إنه هو أيضًا بورخيس ؟

لم أكن قد فكرت في هذه المعضلة. أجبته دون اقتناع :

— ربما أردت نسيانه لشدة غرابته.

فوجه لي السؤال التالي في خجل :

- كيف تعمل ذاكراتك ؟

أدركت أنه في رأي ذلك الصبي الذي لم يكن قد أكمل العشرين من عمره أن أي رجل تجاوز سنه السبعين هو رجل ميت. أجبته :

- تبدو ذاكرتي عادة كالنسيان، ولكنها مازالت تعثر على ما تكلف به. أدرس الإنجليزية ولست الأخير في الصف.

لم يكن من المعقول أن يكون ذلك الحوار الطويل حلمًا. خطر لي خاطر مباغت قلت له :

- يمكنني أن أثبت لك في الحال أنك لا تحلم. اسمع هذا البيت الذي لم تقرأه مطلقًا، على ما أذكر.

وببطء شديد تلوت البيت الشهير :

L'hydre - univers tordant son corps écaillé d'astres.

شعرت بذهوله شبه الفزع، ردد البيت بصوت خفيض متذوقًا كل كلماته المشرقة.

تمتم :

— أجل. أنا لا أستطيع كتابة سطر كهذا قط.

كان «هوجو» قد وحد بيننا.

قبل ذلك، كان هو قد ردد بحماسة - أتذكر ذلك الآن — تلك الأبيات الموجزة التي يتذكر فيها «والت ويتمان» (٦) ليلة مشتركة أمام البحر، ليلة سعد فيها حقًا.

أوضحت :

- لقد تغنى ويتمان بها لأنه كان يهفو إليها لا لأنها تحققت. وتكتسب القصيدة قيمة إذا أدركنا أنها تعبير عن لهفة، وليس لأنها سرد لحدث.

حدجني بنظرة ثم هتف :

— أنت لا تعرفه. لا يمكن لويتمان أن يكذب.

لا يمر نصف قرن سدى بعد محادثتنا كشخصين لنا قراءات متنوعة وأذواق متباينة، تبينت عدم قدرتنا على التفاهم. لقد كنا مختلفين اختلافًا كبيرًا رغم تشابهنا الشديد. وكأن كل واحد منا صورة كاريكاتيرية للآخر. وما كان لذلك الموقف الغارق في الشذوذ أن يستمر طويلا. لم تكن ثمة جدوى من نصح أو مناقشة، لأن مصيره المحتوم هو أن يكون من كنته أنا.

ثم تذكرت فجأة صورة خيالية لـ«كولريدج» (٧) : يرى شخص فيما يرى النائم أنه يجتاز الفردوس ويعطونه زهرة كدليل على ذلك. وعندما يصحو من نومه يجد الزهرة.

طرأت على فكري حيلة مماثلة. قلت له :

- اسمع، أمعك نقود ؟

— نعم، معي حوالى عشرين فرنكا. الليلة، سأدعو سيمون يشلنسكي إلى العشاء في «الكروكودايل».

— قل له إنه سيمارس الطب في «كاروج» وسيحقق نجاحًا عظيمًا . . . والآن، أعطني عملة من نقودك.

أخرج ثلاث عملات فضية وقطعًا أخرى صغيرة، وأعطاني واحدة من الأولى دون أن يفهم شيئًا.

مددت له يدي بواحدة من تلك العملات الورقية الأمريكية المبالغ فيها والتي لها نفس الحجم برغم تباين قيمتها، فتفحصها بنهم ثم صرخ :

- مستحيل ! تحمل تاريخ ألف وتسعمائة وأربعة وستين. (بعد ذلك بشهور، قيل لي إن أوراق النقد لا تحمل تاريخًا) ما كل هذا إلا معجزة، والمعجزات مخيفة. لو حضرها من شاهدوا بعث «لشادوس» لانتابهم الرعب.

قلت لنفسي : «لم نتغير، نعود دائمًا إلى الكتب».

مزق العملة الورقية واحتفظ بالعملة الفضية. كنت أود أن ألقي بها إلى النهر. فقوس العملة الفضية وهو يغوص في النهر اللجيني كان من شأنه أن يضفي على قصتي صورة ألمعية، لكن الحظ لم يشأ.

قلت له إن الحادث الخارق للعادة إذا تكرر مرتين لم يعد رهيبًا. واقترحت عليه أن نلتقي في اليوم التالي، عند نفس المقعد الكائن في زمنين وفي مكانين.

وافق في الحال وأضاف، دون أن ينظر إلى ساعته، أنه تأخر عن موعده. كنا نكذب، وكان كل منا يعرف أن الآخر يكذب. قلت له إنهم سيأتون ليصطحبوني، فسألني :

- يصطحبوك ؟

- نعم. عندما تبلغ سني ستكون قد فقدت نظرك تمامًا. سترى فقط اللون الأصفر والظلال والأضواء. لكن لا تهتم، فالعمى التدريجي ليس شيئًا مأساويًا، إنه كغروب بطيء في أحد أيام الصيف.

افترقنا دون أن يمس أي منا الآخر. في اليوم التالي لم أذهب للقائه. ويقيني أن الآخر لم يذهب أيضًا. وحيرني زمنًا طويلاً هذا اللقاء الذي لم أحدث به أحدًا، وأعتقد أنني توصلت إلى السر. كان اللقاء حقيقيًا، لكن الآخر رآني في المنام وهكذا استطاع نسياني. وأنا رأيته في سهادي وما زالت الذكرى تقض مضجعي. لقد رآني في المنام ولكنه غير متيقن من ذلك. وأدرك الآن أنه رأى فيما يرى النائم تاريخًا مستحيلاً كتب على ورقة دولار.

هوامش

(١) إدوارد لين (١٨٠١-١٨٧٦) : مستشرق إنجليزي عاش في مصر فترة طويلة ولقب بمنصور أفندي، له معجم شهير عربي - إنجليزي.

(٢) توماس كارلايل (١٧٩٥-١٨٨١) : المؤرخ والناقد الإنجليزي.

(٣) لغة الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية.

(٤) Rubén Dartio (١٨٦٧-١٩١٦) : شاعر نيكاراجوي ورائد حركة الحداثة في اسبانيا وأمريكا الإسبانية. من مؤلفاته : «أزرق» و«أغاني الحياة والرجاء».

(٥) Paul Verlaine (١٨٤٤-١٨٩٦) : الشاعر الفرنسي وأحد رواد المدرسة الرمزية.

(٦) والت ويتمان (١٨١٩-١٨٩٢) : الشاعر الأمريكي المعروف.

(٧) Samuel Coleridge (١٧٧١-١٨٣٤) : شاعر إنجليزي من رواد الرومانسية.

حوار مع:
الناقد الدكتور عبد القادر القط
المبدعون العرب يخاصمون نقادهم!


د. القط

أجراه: صالح خيري

الأستاذ الدكتور عبد القادر القط هو أحد البارزين في كوكبة النقاد الكبار الذين ظهروا بعد جيل الرُّوَّاد، وأرسوا قواعد جديدة للنقد العربي الحديث، يُقدِّم ما طرحه الرواد فضلاً عن إضافات ـ تشكِّل انعطافة تاريخية ـ لم تكن متوافرة في زمن الرواد نظرًا لتطور مناهج النقد في العالم.

يتميّز الدكتور القط من كثيرين بأنه ممن لا تبهرهم التقاليع الجديدة في الأدب والنقد رغم متابعته لكل حديث في الآداب العالمية فضلاً عن هضمه لتراثنا العربي.

«الفيصل» أجرت معه هذا اللقاء الذي يثير الكثير من القضايا النقدية المهمة.

● هناك علاقة يجب أن تكون بين الناقد والمبدع، هذه العلاقة تدفع مسيرة الأدب إلى الأمام وتحدِّد أشكال التطور فيه. هل تتصور وجود حركة أدبية بدون حركة نقدية؟

□ مع أن النقد التطبيقي يتوجّه ظاهريا إلى العمل الذي يتحدث عنه الناقد وإلى صاحبه، لكن النقد في الحقيقة موجَّه للقارئ دون أن يقصد الناقد بحديثه توجيه المبدع أو محاولة تحويله عن مساره أو تنبيهه إلى بعض الأخطاء وأوجه القصور البادية في عمله الأدبي، أو توجيهه إلى أشياء متميِّزة يراها في النصّ الذي ينقده.

فالناقد ـ في الحقيقة ـ مهمته الأولى أن يقدم إلى القراء قراءة واعية ذكيّة للنصّ الأدبي تعين القارئ على إدراك كل المقومات الفنّية للعمل الذي يكتب عنه وتُعَوِّد القارئ على هذه القراءة الذكية بالتكرار.

وقد يفيد الناقد أحيانًا بعض المبدعين الشباب الذين ما زالوا في بداية حياتهم الأدبية ويتقبّلون النقد على أساس أنه ضرب من التعليم، لكن معظم المبدعين الذين يتجاوزون هذه المرحلة ربما لا يلتفتون إلى النقاد فحسب بل يخاصمونهم أيضًا ويرون أنهم لا يقدِّرون إبداعهم حق التقدير أو أنهم مغرضون أو أنهم منتصرون لاتجاه أدبي بعينه أو غير ذلك.

بين الأدب والنقد تقديم وتأخير!

والنقد لا ينشئ حركة أدبية، ولكن ربما كان النقد مرتبطًا بالحركة الأدبية أي أن الحركة الأدبية أساسًا لا بدّ أن تكون قائمة لكي يظهر نقد جيِّد على مستوى مرموق. وقد يُبَشِّر النقد بحركة أدبية غير قائمة إلا في ذهن الناقد يوشك المجتمع أن ينتقل إليها، فحتى في غيبة الإبداع نجد أن النقد يتصوَّر وجود أعمال أدبية ذات اتجاهات خاصّة يُبَشِّر بها، لكن إلى جانب هذا هناك النقد النظري. والنقد النظري يمكن أن يساعد على دفع الحركة الأدبية لا إنشائها.

لم يصل النقد إلى العلم

● لكن ـ بصراحة ـ هل هناك حركة نقدية علمية في عالمنا العربي؟

□ لا أفهم المراد بالعلمية أو بالحركة النقدية العلمية، فإلى الآن لم يصل النقد إلى العلم بالمعنى الصحيح، حقيقة هناك اتجاهات جديدة كالبنيوية والأسلوبية تحاول أن تطبق بعض الأسس اللغوية والنفسية الخاصة على النقد الأدبي، لكن حتى في أشد هذه الاتجاهات شكلية تظل هناك عناصر خفيّة في النصّ الأدبي لا مجال إلى الإحساس بها إلاّ من خلال الذوق والحسّ اللغوي عند الناقد، لكن بوجه عام إذا تجاوزنا مفهوم كلمة العلمية بمعناها الضيق إلى أن نريد بها النقد الذي لا يخضع للانطباعات الشخصية المحضة، فإن هناك قطعا نقدًا علميًّا عربيًّا يخضع لكثير من القوانين العامة للنقد، وهذه القوانين طبعًا تتغير من مرحلة إلى مرحلة حسب ظروف العصر وحسب النصوص الأدبية وحسب اتجاهات الأدب في المرحلة التي يعيش فيها الناقد.

لم يعد النقد مجرد تذوّق كلمة جميلة أو صورة مبتكرة ولكن هناك محاولات لاكتشاف قوانين مطّردة للنصّ الأدبي.

البنيوية بين التعسف والإيجابية!

ويضيف الدكتور القط:

أحيانا يتعسف بعض أصحاب هذه الاتجاهات فيعمدون إلى تقويم أو رصد شكلي لبعض المظاهر الفنيّة في النصّ الأدبي كالبنيوية مثلا التي ترفض معظم اتجاهاتها التقويم، مع أن التقويم شيء ضروري لكي نصل إلى ما سميته بالقراءة الواعية الذكية للنصّ الأدبي عند القارئ،

وفي غيبة التقويم يستوي الجيّد والرديء، لأن مثل هذه الظواهر الشكلية اللغوية يمكن أن تتحقَّق في النصّ الجيد والنصّ الرديء. ومهما كان رأينا في هذه الاتجاهات فهي اتجاهات في ذاتها جيّدة إذا لم نُسرف فيها وإذا لم نحاول أن نقصر النقد عليها ونسَفِّه كل ما عداها. لأنها تلفت الناقد إلى بعض الأسس اللغوية والنفسية التي لم يكن يلتفت إليها كثير من النقاد إلاّ من ناحية الحسّ الشخصي وليس الوعي بهذه الأسس اللغوية الخاصة.

● كيف نحدِّد العلاقة الحقيقية بين الناقد ومنتج الأدب ؟

□ الناقد لا يتجه بنقده إلى المنتج أو المبدع في المقام الأول ـ كما قلت ـ وإنما يتجه إلى القارئ . الناقد قارئ مثقَّف له قُدرة خاصّة على اكتشاف العناصر والمقوّمات الفنية في النصّ الأدبي وله قدرة خاصة على ترجمة أحاسيسه إلى مقال أو بحث أو دراسة تحيط بهذه الجوانب وتنقلها إلى القارئ، وقد يفيد المبدع منها وقد يقف منها موقف الخصومة، وفي وطننا العربي خصوصا يقف المبدعون من النقاد موقف الخصومة الدائمة ويشكّون في قدرتهم على تذوّق الجديد، ربما لأن مجتمعنا من الناحية الأدبية محافظ إلى حد ما ويعتبر الأدب العربي سلسلة متّصلة الحلقات . وأنا ـ في رأيي ـ أن الأدب العربي ليس أدبًا عربيًّا واحدًا وإنما هو آداب عربية متعدِّدة رغم أنه أدب متصل من خلال اللغة ومن خلال الإطار العام للتاريخ الإسلامي . لكن لكل عصر لغته التي تكتسب فيها الألفاظ دلالات جديدة تختفي بعض ألفاظ وتظهر ألفاظ أخرى وتبني اللغة أبنية جديدة لم تكن مألوفة وهكذا . وهذا قد أحسَّه الرُّواة وأحسَّه النقاد منذ العصر الأموي والعصر العباسي حين اختلف النقاد حول القديم والجديد وحول من يُستشهد بشعرهم ومن لا يُستشهد بشعرهم، وحول بعض الأبنية اللغوية ومعاني الكلمات الجديدة التي استُخدمت ولم تكن مألوفة وهكذا .

ومع اعترافنا بأن الأدب العربي ممتد ومتواصل، لكن ما نُسمِّيه بالعصر الجاهلي وبالعصر الأموي والعصر العباسي والعصر التركي والعصر الحديث هو في الحقيقة : الأدب العربي الجاهلي والأدب العربي الأموي والأدب العربي العباسي وهكذا .

● كيف نضع أُسسًا حقيقية وعلمية لحركة نقدية واعية؟

□ لن تكون هناك قوة تستطيع أن تضع أُسُسًا للنقد العلمي . النقد كأي حركة فكرية وأدبية تتأثر بضرورات المجتمع ومطالبه وطبيعة المرحلة التي يعيش فيها، فإذا كانت المرحلة الأولى مثلاً التي

„ الناقد الموضوعي والنزيه يختصر الطريق أمام كثير من المواهب “

كان يعيش فيها الرُّوَّاد الأوائل لا تسمح إلاّ بانطباعات ذَوْقية جيدة لم تكن مألوفة لأهل زمانهم، فإن العصر الذي نعيش فيه بطبيعته بعيد عن الأدب، عصر علمي يقتضي من الإنسان التقليل بقدر الإمكان من النَّزعة الذاتيَّة أو الذوقية، وإن كانت هذه النزعة ستظل موجودة حتى تُكتشف فيها بعد تنظيمات خاصة، قد يكتشفها الحاسب الآلي أو شيء من هذا القبيل .

وقد ينشأ النقد العلمي ـ إذا صحَّ هذا التعبير ـ على ضوء طبيعة العصر وطبيعة المرحلة .

صحيح أنه في كل عصر سواء في النقد أو في الأدب هناك تيار رئيس يمثل طبيعة المجتمع ويمثل حاجة المرحلة التي يبدع فيها المبدعون، لكن أيضًا دائما هناك تيارات فرعية تواكب هذا التيار الرئيس بل هناك تفريعات في داخل هذا التيار الرئيس .

النقد الأكاديمي كلمة عامة

● ما رأيك في ظاهرة الأدباء الأكاديميين المغرمين باستيراد مدارس نقدية والترويج لها بشتَّى الصور رغم اضمحلال بعضها في البلاد التي نشأت فيها؟!

□ هناك فرق بين الترويج لبعض المذاهب التي انقضى عهدها في الخارج، والربط بينها وبين النقد الأكاديمي . لأن النقد الأكاديمي كلمة عامة لا ينحصر تحتها البنيوي مثلاً، ولكن النقد الأكاديمي هو النقد الذي يمارسه الأساتذة في الجامعات ويمارسه طُلاَّب الدراسات العُليا في الجامعات، وهذا النقد يتَّسم بالمنهجية والموضوعية والعكوف على البحث في إلى النشر الإعلامي بقدر ما تهدف إلى البحث العلمي الشامل العميق .

وهذا في الحقيقة ما تفتقده الدراسات الأدبية خارج الجامعات، رغم أن كثيرًا من النقاد ممن يكتبون في الصحف والمجلات يستخدمون هذا المصطلح النقدي الأكاديمي ازدراء لمثل هذه الدراسات التي تفتقد في عرفهم إلى الحيوية أو إلى مواكبة الأعمال الجديدة، وتتجه بقدر غير قليل ـ في رأيهم ـ إلى المحافظة . قد يكون في هذا شيء من الحق عند كثير من الدارسين الجامعيين، لكن لا تخلو أي جامعة عربية من بعض الأساتذة الذين يواكبون الحركة الأدبية المعاصرة ويفيدونها بقدراتهم الشخصية وبإلمامهم أو بمعرفتهم العميقة بالتراث وبالأدب العربي الحديث وبالأدب الغربي والفكر الغربي الحديث، ودراستهم الجامعية أكثر أصالة وأكثر قدرة على خدمة الإبداع العربي من كثير مما يكتب في الصحف والمجلات ويذاع في الإذاعة والتلفزيون وغير ذلك .

ولدينا ظاهرة مألوفة وهي أن كثيرا من النقاد في الجامعة وغير الجامعة لايلتفتون إلى المذهب الأدبي أو الفني أو الفكري الأوروبي أو الغربي إلاّ بعد أن يكون قد أوشك أن ينقضي عهده وازدهاره هناك ثم يتشبث به على أنه مذهب جديد ويتحمس له حماسة زائدة .

أساتذة الجامعات والتعصب النقدي

والخطورة في هذا ليس فيها ينشر منه في الصحف والمجلات الأدبية، ولكن الخطورة ما أشرت إليه أن بعض أساتذة الجامعات يتبنّون هذا الاتجاه .

ولا بأس من أن يكون لكل أستاذ اتجاهه الخاص، لكن بعض هؤلاء الأساتذة بحكم اقتناعهم بأن هذا هو المذهب الذي ينبغي أن يسود، يوجّهون طلبة الدراسات العليا إليه .

وأنا أعلم حاليًّا أن بعض الأساتذة يوجِّه أي طالب يأتي إليه لدراسة الماجستير أو الدكتوراه إلى دراسة ديوان شعر أو حتى مختارات شعرية، دراسة بنيوية .

بين طه حسين وزكي مبارك


طه حسين


زكي مبارك

بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي

تحدث الدكتور زكي مبارك عن نفسه كثيرا، فلم يعوز مؤرخه إلى بحث شاق عن ملابسات حياته، ولكن هذه الكثرة الزائدة تحتاج إلى بصر نافذ في سبرها، لأن بها من المتناقضات ما يترك قارئها في حيرة إن لم يكن ذا خبرة واعية بتاريخ الحركة الأدبية في النصف الأول من هذا القرن، وهذا التناقض لا ينفي صدق الكاتب، لأنه يعبر عن شعوره الوقتي تعبيرا صادقا لا مرية فيه. فقد يكون راضيا عن زميل وهو يخط مؤلفا يتطلب الحديث عنه، فيثني عليه ثناء مستطابا، ثم يمضي الزمان فيلحظ زكي من أمر صاحبه ما يجعله يبدل النظرة المادحة بنقيض لها في كتاب لاحق. وقد كثر حديثه عن الدكتور طه حسين في مناسبات كثيرة، حتى لا يكاد يخلو كتاب لمبارك من ذكره،

وكلنا يعرف أن الدكتور طه حسين قد رفض تجديد العقد الجامعي لزكي مبارك فحرمه من التدريس بكلية الآداب، وزكي مبارك في منزلته الأدبية، ودرجته العلمية، وجهاده الفكرى أَوْلَى بالتدريس من زملاء لم يبلغوا مبلغه، بل لم يؤهلوا بالدكتوراه التي حصل عليها زكي مبارك مرتين،

إحداهما من القاهرة، والأخرى من باريس، وذلك قبل أن يأخذ الدكتوراه الثالثة بعد ابتعاده عن الجامعة! وقد ذهب الكثيرون إلى أنّ الخلاف الشخصي بين الأديبين الكبيرين كان علّة هذا الحرمان، وهو ما يطرأ على الذّهن باديء ذي بدء، ولكن احتفالاً كبيرا أقامته الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر خاصا بالذكرى المئوية للدكتور زكي مبارك، جمع نخبة من رجال الفكر ليتحدثوا عن الأديب الكبير من وجهات أنظارهم الخاصّة، وكان من بينهم الأستاذ الكبير حافظ محمود، هذا الاحتفال الوفيّ المثمر قد كشف الغموض عن ظلمات كثيرة! ومن بينها ما أكده الأستاذ حافظ محمود حين قال:

« وهنا أزيحُ الستار عن السرّ الذي كتمه زكي مبارك، وأخفاه العليمون به، بالنسبة لخروجه من كلية الآداب بجامعة القاهرة، بعد أن عيّن بها مدرّسا، لقد قيل في ظاهر الأمور إن زكيا قد جامل بعض الطلبة في امتحان من الامتحانات، والذي خفي من هذه القضية أن زكي مبارك حين ووجه بهذا الاتهام قال نعم،

جاملتهم لأنهم كانوا ينفقون جهدهم ومالهم وحياتهم وأوقاتهم في الخدمات الوطنية ضد الاستعمار، إنّ زكي مبارك يتفق مع طلعت حرب باشا حينما سألوه لماذا أعطيتَ هذا الفريق من عملاء بنك مصر سُلَفًا كثيرة بلا ضمانات تتكافأ مع هذه السلف فقال: لقد كنت مستعدا أن أقدّم إليهم هذه السلفيات بلا ضمان فأولئك هم الذين أنفقوا ثرواتهم الضخمة في الحركة الوطنية[1] ».

هذا ما أذاعه الأستاذ حافظ محمود، وسماه سرًّا أزاح عنه الستار، وقد قوبل بالموافقة حيث لم يتعرض له أحد بالتعقيب في ندوة الذكرى، وفي رأيي الخاص أن موقف زكي مبارك مجانب للصواب، ولكنّ عقوبتَه الجامعية لا تصعد إلى أقصى العقوبات، وهو الفصل، فعندنا الإنذار واللوم، والحرمان من الترقية لمدة محددّة، وقد ارتكب بعض الجامعيّن أمورا مشابهة، أسدل عليها الستار، وظلوا في أماكنهم دون بتر، وقد قامت ضجة في الصحف الأدبية بعد انقطاع مبارك عن الجامعة، فلم يذكر هذا السبب لإطفاء هذه الضجة، وكان إبراهيم عبد القادر المازني وسلامة موسى ومحمد لطفي جمعة ممن آخذوا الدكتور طه على تشدده في مقالات صريحة، فلم تردَ الجامعة بشيء! أما السبب الحقيقي فيرجع إلى الطبيعتين المتناقضتين، طبيعة طه حسين التي تتمسك بالسيطرة والاستعلاء، وطبيعة زكي مبارك التي تؤثر المجابهة والصيال.

طبيعة طه حسين

إذا كانت مؤلفات الدكتور طه حسين في أكثرها تنبئ عن هذا الاستعلاء المتحكم في النص والاستشهاد والاستنباط، فإن علاقته بزملائه تنطق بروح السيطرة الغالبة، فالدكتور أحمد أمين مثلا عالم مسالم هادئ النفس، رزين المنطق، متواضع الشعور، ومثله إذا شكا من الدكتور طه حسين، فلن تكون شكواه إلا بعد صبر طويل، وكظم تأزّم حتى لم يجد غير الانفجار، وقد كتب في مذكراته التي نقلها نجله حسين يقول عن أسباب خلافه مع صديقه طه بعد أن تولّى أحمد أمين عمادة كلية الآداب[2]:

« سرعان ما بدأت العلاقات بيني وبينه تفتُر، وسبب ذلك على ما يظهر لي أنه كان يتوقع أن أعمل في الكلية حسب إشارته وطوع أمره، ولكن هذا ليس من طبعي، فأنا متأثر بالقضاء، أتحرى العدل وأطالب به وأعمله مهما كانت النتائج، فلما خالفته في رأيه، وعملت على تنفيذ ما أراه الحق غضب وتغيّر، وبدأت الأمور تجري مجرى الخصومة ».

ثم ذكر أحمد أمين حادثتين أغضبتا الدكتور طه، لأنه أراد تعيين مدرس في درجة أستاذ مساعد دون حق، كما أراد أن يقيّد اسم طالب في

قسم الماجستير دون أن يقضي مدة الدراسة المقررة فكان أحمد أمين من المعارضين، ثم كانت له رجاءات في المجانية رفضتُ بعضها ـ والحديث لأحمد أمين ـ فاتخذ الرفض شكل الخصومة، ثم طلب ترقيةً أخرى لمدرس لا يستحقها فعرضت المسألة على مجلس الكلية، فرفض المجلس الترقية، فثارت ثائرة الدكتور، كيف يرشح شخصا بصفته رئيسا لقسم اللغة العربية ثم يرفض المجلس ذلك لعدم كفايته، وخاصم المجلس وهاج هياجا شديدا».

هذا بعض ما قاله أحمد أمين، وقد ذكر الأستاذ توفيق الحكيم في كتاب (وثائق من كواليس الأدباء): «لا أنسى كلمة لصديق الطرفين ـ توفيق وطه ـ وهو أحمد أمين كان يردّدها دائما قائلا لي: إنّ صداقته متعبة وعداوته متعبة [٣]».

فإذا تركنا الأستاذ **أحمد أمين** وهو زميل طه إلى **الدكتور محمد مندور** وهو تلميذه، فإننا نجده يشكو من موقف طه معه لأنه رفض أن يُدرّس مندور بقسم اللغة العربية بالكلية بعد عودته من فرنسا حيث لم يحصل على الدكتوراه، وطه له وجهة نظره المعقولة دون ريب، فلا نؤاخذه على هذا الرفض، ، ولكنّ **الدكتور مندور** قال بعد ذلك، إنه استجاب لرغبة أحمد أمين في ضرورة تهيئة رسالة للدكتوراه، واقترح موضوع «تيارات النقد العربي في القرن الرابع الهجري» وقام بإجراءات التسجيل والإشراف على البحث، حتى تم وظفرت بالدرجة. يقول **الدكتور مندور** [٤]:

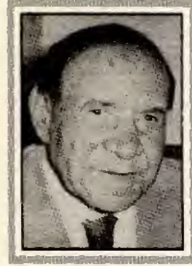
«ويظهر أن تحضيري الدكتوراه بإشراف الدكتور أحمد أمين قد أسخط عليّ أستاذي الدكتور طه حسين فأعلن أكثر من مرة أنه لن يعترف بهذه الدكتوراه، ورفض أنه يشترك في اللجنة التي ناقشتني في الرسالة . . . وبعد أن حصلتُ على الدكتوراه سنة ١٩٤٣ من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الممتازة تقدمت إليه بوصفه مديرا لجامعة الإسكندرية التي أعمل بها بطلب ترقيتي إلى وظيفة مدرس من الدرجة الرابعة فإذا هو يرفض طلبي، ويحتد في رفضه بصورة دفعتني إلى التفكير الجدّي في الاستقالة من الجامعة، برغم أني كنت قد ارتحت إلى التدريس في كلية الآداب، ولم ألبث أن قدمت استقالتي بالفعل»

لم نبعد عن **زكي مبارك** حين استشهدنا بالدكتورين: **أحمد أمين ومحمد مندور**، وموقف طه منهما، لأن الدكتور **أحمد أمين** زميل **طه** وقد اصطلى بغضبه مع حلمه المتغاضي، وهدوئه الآمل، **والدكتور مندور** تلميذ في أول الطريق، ولم يبد منه ما يسخط الدكتور **طه** عليه في منطق الإنصاف والعدل، فكيف يكون موقف **زكي** وقد جبل على التصادم المزعج، والتنابذ الصريح؟

طبيعة زكي مبارك

كان الدكتور طه حسين القدوة المثلى للدكتور زكي مبارك في مطلع حياته الأدبية، إذ أخذ يترسم حياته تعلما وسلوكا ليظفر بما ظفر به من دوي وأعجبُ ما أسطّره في هذا المجال أنَّ الدكتور طه قد نعى على تلميذه مسلكه الأدبي، وهو من ابتكاره، حيث قال في كلمة موجزة عن زكي مبارك «وأنا ألاحظ أن فكرتين اثنتين تعبثان بالحياة الأدبية لهذا الكاتب، وتفسدان عليه جهوده، أو قل فكرة واحدة ذات وجهين، فهو يريد أن يكون حُرًّا في الدين حرًا في الأدب، وقد خيّل إليه أنه مضطهد يتبعه رجال الدين بإنكارهم إذا عرض للدين، ويتبعه رجال الأخلاق بإنكارهم إذا عرض للآداب وكأنَّ الخصومة قد اشتدت بينه وبين مضطهديه، فهو يتكلف غيظهم وإحراجهم، ولكنَّ الغيظ والإحراج قد يكونان من أسباب الشهرة أحيانا، ولن يكونا من مناهج العلم في يوم من الأيام» [٥]، فالذي أعلن أنّه في بحوثه حرٌّ في الدين حرّ في الأدب هو الدكتور طه نفسه، وقد قاومه خصومه بمثل ما قاوموا به زكي مبارك، فهل أقول له ما قال أبو الأسود الدؤلي: لا تنه عن خلق وتأتي مثله !! لقد ظل مبارك أثيراً لدى طه، على ما في هذا الوصف من مبالغة ما، حتى ذهب إلى باريس، وكتب رسالة الدكتوراه عن النثر الفني في القرن الرابع، فهاجم آراء طه حسين مهاجمة ضارية، وقال في مقدمة كتابه «أمّا الدكتور طه حسين فما أدري والله ما ذنبه حتى يهاجَم أعنف الهجوم في هذا الكتاب، إلاّ أنّ هذا الرجل تربطني به

لهذا السر الذي أخفاه زكي مبارك وكشفه حافظ محمود!


حافظ محمود

ألوف من الذكريات، يرجع بعضها إلى العهد الذي كنت فيه طالبا بالجامعة المصرية القديمة، يوم كان يصطنع العدل الذي يلبس ثوب الظلم في امتحان الطلاب، فقد ساعد مرة على إسقاطي في امتحان الجغرافيا ووصف الشعوب، وأسقطني مرة ثانية في امتحان تاريخ الشرق القديم، والسقوط في الامتحان مما يحفظه الطالب المخلص لأستاذه المنصف، ثم قال الدكتور زكي: ولكن حمايتي للفكرة التي أدافع عنها، وغرام الدكتور طه بنقضها في رسائله وأحاديثه ومحاضراته، كأنما حملني على مقاومته بعنف؛ حتى ليحسب القارئ أن بيننا عداوة سَقيتُ لأجلها القلمَ قطرات من السُّمّ الزعاف، حين عرضت لدحض آرائه في فصول هذا الكتاب» [٦] وأخطر ما جوبه به طه حسين في كتاب النثر الفني ليس تزييف آرائه الأدبية فحسب، بل اغتصابها من غيره إذا أثبت زكي أن آراء طه منقولة عن أستاذه **المسيو مرسيه**، وليس له فضل في ابتكارها، ولكنه نقلها دون أن يعزوها إليه، يقول زكي (٧) مثلا:

«وهناك رأي مُثقل بأوزار الضلال وهو رأي المسيو مرسيه ومن شايعه كالدكتور طه حسين، وذلك الرأي يقضي بأن العرب في الجاهلية كانوا يعيشون عيشة أولية، والحياة لا توجب النثر الفني لأنه لغة العقل، وقد تسمحُ بالشعر لأنه لغة العاطفة والخيال، وهذا الرأي أعلنه المسيو مرسيه في المحاضرة التي افتتح بها دروسه في مدرسة اللغات الشرقية في باريس منذ أعوام، ثم أذاعه مطبوعًا في كرّاس خاص، وقد اختطف الدكتور طه حسين هذا الرأي،

وأذاعه في دروسه بـالجامعة المصرية، ثم أثبتـه في كتاب «المجمل» الـذي اشترك في وضعه للمـدارس الثانـوية»

ويقـول الدكتـور زكي مبـارك في موضع آخر[٨]:

«وفي هـذا قضاءٌ على من زعمـوا أنّ أول كاتب في اللغة العربية هو ابن المقفّع الفارسي الأصل، وأنَّ العرب لم يكونوا يعرفون من النثر غير الخطب والأسجاع والأمثال، وهو رأي المسيو مرسيـه وتابعه الدكتـور طه حسين في بحث نشره في المقتطف ثم أعاد نشره في كتابه عن (شوقي وحافظ)».

ويقول الـدكتور زكي في مـوضع ثالث[٩]:

« ومن طريف ما يحسن تقييده أن المستشرقين كانوا يرتـابون في شخصية عبـد الحميد بن يحيى فلم يهتموا بـه اهتمامـا يـذكـر في دائرة المعـارف الإسلامية، ورأى الدكتور طه حسين أن يقلـدهم فزعـم أن شخصية عبـد الحميـد خـرافيـة كشخصيـة امـرئ القيس، وتحدانا أن نذكر أن الجاحظ ذكره في كتبه، فهالنـا هذا التحدي، وعـدنـا إلى كتب الجاحظ نسألها عن أخبـار عبد الحميـد فرأينـا الجاحظ تحدث عنه في رسائله وكتبه غير مرة، وأقبلنا على الدكتـور طه نخبره بنتيجة هـذا البحث، فعـاد فتحـدث إلى تلاميذه بأن عبد الحميد بن يحيى كان يعرف اليونانية وأثبت ذلك في بحث قـدّمـه للمستشرقين، ويظهـر أن الدكتـور طه نسيَ أن يحدث تـلاميذه وقـراءه عمـن دلّـه على مكـان عبـد الحميد في كتب الجاحظ».

ولا نطيل في النقل المشـابـه، فبعضٌ يغني عن بعض.

هذه أمثلـة لما فوجئ به الـدكتور طه في كتـاب النثر الفنـي، وإذا كان يشتعل غضبًا من أستاذ مسالم كأحمد أمين لأنـه يخالف اتجاهه في مسـائل إدارية لا علمية، فماذا يكون شعوره مع بـاحث صـارم صـارخ يعلن أنـه تابعٌ للمستشرقين، ولم يأت بجديد، في أكثـر مـا ينسب إليه من الآراء، وهذا البـاحث مسلح برسالـة علمية نالها بـدرجة مشرّفـة جدًا من جـامعة السوربـون بباريس، ثم هـو مدرسٌ بكليـة الآداب، عريـن الأسد الـذي فارقــه إلى عَـوْد قـريب! لقـد تهكّم طــه بكتاب النثـر الفني في مقـال كتبه عن المازني تهكما لاذعا، ثم فتح باب الهجوم على مبـارك في صحيفة يومية كـان مشرفا عليها، وذلك قبل أن يعـود إلى الكليـــة، وأحسَّ زكي بـالخطـر المقبل، فلم يستكن، لأنـه مثل أستـاذه، صخـــر ويصـدم صخرا، لا بدّ أن ينكسـر أحدهما في مجال الصدام.

هل هي صحـائف سوداء ؟

بدأ الـدكتور مبـارك نشر مقالا ناريـا هاجـم فيه غـريمه بضراوة لا تعـرف المحـابـاة، وجعل عنـوانـه «الـدكتـور طـه حسين بين البغي والعقوق»، وإلى القارئ نثارا مما جاء فيه[١٠]:

يـا دكتـور طـه مـاذا تملك من السلطـان حتى تهدد وتـوعـد؟ هل تملك غير الـدسائس التي تسطرهـا ضدي في صحيفتك السوداء؟.

ــ إليك الفـروق الـواضحـة بين شخصية زكي مبارك، وشخصية طـه حسين.

لقد ذهبت أنـت إلى باريس على نفقة الجامعـة، ومضيت أنا متـوكلا على الله، فأنفقت مـا ادخـرت من عرق الجبين!


المازني

عندما وقف الخولي ومنصور فهمي مع زكي مبارك، وجزع المازني مما فعله طه حسين


أمين الخولي

ـ اتصلت أنت بالمسيو **كازانوفا** ففـرض عليك آراءه فرضًـا، ولم تكن رسالتك عن **ابن خلدون** إلا نسخة من آراء الأستاذ، واتصلت أنا بالمسيو **مرسيه** ففرضت عليه آرائي فرضا.

ـ واتصلت بيني وبينـه الخصومة فآذاني إيذاء شديـدا، ولم تمر المعركة بلا غنيمة فقد وقف المسيو **ماسينيون** يوم أديت امتحان الدكتوراه، وقال: إنني حين أقـرأ أبحـاث طـه حسين أقول هذه أبحـاثنا ردّت إلينا، وحين أقـرأ أبحـاث زكي مبـارك أشعـر بأني أواجه شخصية جديدة.

ـ اشتغلتُ بالتأليف، واشتغلتَ بالتأليف، فمضيت أنت تنتهب آراء المستشرقين، وتوغلت فسرقت حجج المبشرين، وكان نصيبك ذلك التقرير الذي دمغتـك به النيابة العمـومية، وأنت تعلم أنـه ليس لك رأيٌ واحـد وصلت إليـه بعـد جهـد وبحث، واشتغلت أنا بالتأليف، فكانت آرائي مبتكرة، ولم يستطع أحدٌ أن يتهمني بالسرقـة من فلان وفـلان كما اتهموك بالسرقة من جميع الناس.

ـ كـانت لي آراء جريئـة، وكانت لك آراء جريئة، أما أنا فكنتُ لا أذيع الـرأي إلا حين أعتقد صحتـه، ومـا كـان يهمني أن أعـادي الجمهور بـلا مـوجب، أمـا أنـت فكنتَ لـوحـة إعـلانـات لا تـذيع الـرأي إلا لتغيظ الجمهور، وتُصبح حـديث الناس في الأندية والمجتمعات.

ــ أنتَ السبب في تأخـر التعليم بكليـــة الآداب، وأنصح لـك إذا رجعت أن تفهم أنـه لا يجوز لأستـاذ أن يـواجـه الطلبة إلا بعـد أن يعـرف موضوع الدرس فأنت تعرف ماضيك في التعليم، وتعـــرف أنـك لم تكن بالأستاذ الذي ينفع الطلاب.

النتيجة المنطقية

ماذا ينتظـر **الدكتور مبارك** من غريمه اللدود، وقـد عاد إلى الجامعة رئيسًا لقسم اللغة العربية الذي ينتمي إليه **زكي مبـارك**، أفيغضي عنه وقـد تأكد من صلابته بعد أن قطع بمقاله الصـارخ كل أمل في الصفـاء؟ وطـه يعلم أن زكي لجوج، وأن مـا يقـولـه للطلاب في قاعة الدرس أكثر جراءة مما ينشره في الصحف على الناس؟

لقد توقع نفر من هيئة التدريس بالكلية ما سيكـون، فحاول الأستاذ **أمين الخولي** أن يبـدأ الـدكتور **زكي**

مبارك بالترحيب بالدكتور طه في أول اجتماع للقسم، عسى أن تكون كلمته المرحبّة بابا للصفح، وقام الدكتور بالترحيب المقترح، وقال فيما قال: إن شططه الفكري بعض ما علّمه أستاذه، وكانت دعابة لم يظهر أثر القبول لها في وجه الدكتور طه، أما عميد الكلية الأستاذ الدكتور منصور فهمي قد طلب من تلميذه الدكتور زكي مبارك أن يحاول استرضاء طه بكل ما يملك، وكان في زكي سذاجة حيث ردَّ بأن الصفاء قد عاد، فقال له الدكتور منصور فهمي أنت لا تعرف طه حسين لأن خبرة العميد بصديقه تؤكد له أنه لن يستريح لوجود معارض يعلن في حجرات الدرس مخالفة آرائه، وهذا ما كان، حيث صمَّم طه حسين على إلغاء العقد الخاص بزكي مبارك، بحجة أنه لم يُستشر في إبرامه، فليس بمسؤول عنه.

قطع عيش

وانتقل الصدى إلى الصحافة فجزع الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني، وأعلن في مقالٍ ثائر أنه لو استمر في نظم الشعر كسابق عهده لرثى طه رثاء مرًّا، لأنه مات في اعتقاده بعد أن اجترأ على قطع عيش أديب مرموق، وقال الأستاذ سلامة موسى من مقال طويل (١١) «يجب أن نخجل من مجازاته - زكي مبارك - على هذا الإحسان بمحاربته في عيشه وعمله، ولست أشك في أن الجامعة المصرية تخسر بإخراجه منها أكثر مما يخسر هو، فإن رجلا له مثل كفاءته يستطيع أن يجد العيش الرحب، والفرصة المواتية في مدرسة فرنسية أو أمريكية بالقاهرة، ولكن هذا الإيلام للنفس يعكّر صفوها ويشكك الإنسان في القيمة التي تعود عليه من الإخلاص والجد».

وقد ظل الدكتور زكي حزينًا طيلة حياته لمغادرة كلية الآداب على هذا النحو الباطش، ولم يكن قانعا بمنصب التفتيش بوزارة المعارف الذي لا يتفق ودرجاته العلمية ولكنه ارتضاه كما يركب المضطر الصعب.

وعودًا على بدء نقرر أن ما ذكره الأستاذ حافظ محمود وعدَّه إزاحةً لستار يحجب سرا خافيا، لم يكن غير تعلَّة واهية فحسب، وإنما السبب الحقيقي هو تصادم طبيعتين تشتركان في الطموح، ولإحداهما من المكانة الإدارية والسند السياسي ما جعلها نافذة الأمر، مطاعة الرجاء، فلم تتوان لحظة في إزاحة من تعدّه مصدرا لخطر متوقع، إذ ليس من خلق زكي مبارك الخنوع والاستسلام.

الهوامش:

(١) الذكرى المئوية لميلاد زكي مبارك، ص ١٨١.

(٢) في بيت أحمد أمين، ص ١٧١ - كتاب الهلال.

(٣) وثائق من كواليس الأدباء، ص ٧٩ - كتاب اليوم.

(٤) عشرة أدباء يتحدثون، ص ١٨٩ وما بعدها - كتاب الهلال.

(٥) حديث الأربعاء، جـ ٣ ص ٧٤ طبعة دار المعارف.

(٦) النثر الفني، الجزء الأول ص ١٤ ط ٢.

(٧) النثر الفني، جـ ١ ص ٣٤.

(٨) النثر الفني، الجزء الأول ص ٤٣.

(٩) النثر الفني، جـ ١ ص ٦١.

(١٠) كتاب البدائع للدكتور زكي مبارك، جـ ٢ ص ١٨٠ وما قبلها، وقد نشر هذا الفصل من قبل في جريدة البلاغ ٢٣/ ١١/ ١٩٣٤م، والتلخيص من كتاب البدائع.

(١١) نقلا عن البدائع جـ ٢ ص ٢١١.

○ ○

بابا نويل!!



يهتم الداعون لديانات وملل مختلفة على وجه الأرض، بتبنّي مؤثر يتوقعونه فعالاً في جذب الناس لما يعتقدونه، ويفتنّون في الأساليب التي يخيّل إليهم أنها تربط الآخرين بوشيجة النحلة التي يتحمسون لها. وكل منهم يحسب نفسه على الحق - عدا المسلمين - ويدافع عن باطله، بما يتوقعه معينًا في تحقيق ما يصبو إليه، ولفت النظر إلى ما يعتقده.

فالنصارى مثلاً الذين طغى عليهم الجهل، كما جاء في تفسير سورة الفاتحة بأن: «الضالين» هم النصارى يعبدون الله على جهل وضلال.

فهذه الفئة، وجد الأدعياء والكذّابون مدخلاً إلى نفوسهم، باسم العاطفة الدينية، لرقة قلوبهم، وغلبة الجهل عليهم.

واغتنم الفرصة كل دعيّ، وصاحب هدف ليضل الصغار قبل الكبار، ومن هنا كثرت في بيئاتهم ما يريدون به ربط قلوب الصغار بمعتقد بابا نويل، باسم الخوارق والإتيان بالمعجزات، حيث جسّم أمامهم كدمية يلعب بها الصغار، وتهدى مع رأس السنة الميلادية، وترسيخ هذا الزائر كشخصية ذات بال، لا تأتي إلا مع عيد الميلاد لتحمل الهدايا، وتفي بكل ما يوعد به هذا الصغير، والصغار إذا وعدوا بشيء تعلقوا به، ورسخ في قلوبهم ما يرتبط به.

وعندما يحين ذلك الموعد يكون السعيد منهم، من يرى هذا الموعود، الذي يتخيلون أوصافه شيخًا كبيرًا بلحيته الكثّة البيضاء التي ترمز للجو البارد، لأنه يأتي متدثرًا بملابسه الثقيلة، مع السنة الجديدة في مطلع شهر يناير من كل عام، وهذا الموعد يقترن بتاريخ ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، في ٢٥ ديسمبر، وبداية السنة الجديدة يناير، وهو شدة البرد في فصل الشتاء، وتكاثر سقوط الثلوج في ديارهم الباردة.

ولذا فإن دور المسلم يجب أن يركز على نبذ هذا التقليد الذي يجرّ لما هو أبعد من كونه هدفًا لتسلية الصغار وإيناسهم، وعدم السماح بإظهاره في البيئات الإسلامية، حتى لا يرسخ هدفه في أذهان أطفال المسلمين، فيكبر معهم، ليباعدهم عن دينهم الحق، ويصدهم عن مصادره الصافية، الصادقة التي لا يتطرق إليها الشك أو التأويل، لأنها من الله، وما كان من الله، فلا مراء فيه ولا جدال.

د. محمد بن سعد الشويعر



قصة إسلام ابن غاندي

تفتحت عيناه على الحياة في بيتٍ من بيوتات الهند، فوالده هو المحامي والزعيم الهندي الكبير المهاتما موهانداس كرمشند غاندي، أكبر زعيم سياسي أنجبته الهند في العصر الحديث.

ومـا أن كبر الصغير **هيرالال** حتى بدأ يدرك حجم المعاناة التي يحياها الناس في بلاده فمن ناحية هناك الاستعمار البريطاني يستنزف خيراتها ويستعبد أبناءها، ويدير الأمور على هواه وفقًا لمصالحه لا مصالح أهل البلاد الحقيقيين، ومن ناحية ثانية هناك تلك التفرقة البغيضة بين أبناء الوطن الواحد التي تفرضها الديانة الهندوكية حين تجعل لطائفة البراهما مكانة فوق الجميع، فأبناء الطائفة هم الأنقى، وهم السادة، ومن دونهم لا يستحقون أن يعاملوا كبشر.

وفي بيت الزعيم الكبير تربى **هيرالال**، ولم يتسع وقت والده المشغول بالنضال من أجل استقلال بلاده أن يوطد علاقته بولده، فتولى مدرسون التدريس له، وبدأ يعرف الكثير عن ديانته وطائفته، **فهو «براهمي» أي من أرقى طوائف الهندوسية، المؤسسة - أساسا - على عبادة ثالوث مكون من براهما وشيفا وفشنو،** والأول أعلى الآلهة الثلاثة فهو - حسب زعمهم - إله سام خلق العالم واتحد به، ولا يقترب منه الإنسان، أما «شيفا» فهو الإله الواقي، و«فشنو» الإله الهادم.

تعمق هيرالال في دراسة ديانته الهندوسية التي تعود جذورها إلى ما قبل نحو ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد، ودرس آلهتها المتعددة وشرائعها وكتبها القديمة مثل «الفيدا» و«البرهمانا» و«اليجفاد جيتا» وغيرها، وصراع هذه الديانة الوثنية مع غيرها مثل البوذية، وهو الصراع الذي تمخض عام ٥٠٠ قبل الميلاد عن انتصار البراهمية وحلولها محل الدين الفيدى، حيث صاغت قواعدها وشعائرها في قوانين «مانو».

تناقضات الهندوسية

في بداية الأمر لم يكن هيرالال يلقي بالاً للتناقضات التي تزخر بها الديانة الهندوسية مثل تعدد الآلهة والظلم الاجتماعي، ولم يفكر في أن هذه الديانة باطلة، خاصة وأنه أحد المستفيدين منها باعتباره من طائفة البراهما، واندمج في دراسته حتى تخرج - كوالده - محاميًا وتزوج وكون أسرة، وشغف إلى جانب عمله بالمحاماة وبالأدب.

وأتاح له عمله بالمحاماة فرصة التعرف أكثر على الظروف الاجتماعية السيئة التي يحياها الناس في بلاده، ومدى الظلم الذي يمارسه الهندوس ضد غيرهم من الطوائف بل في بعض أبناء طائفتهم ذاتها ممن يطلقون عليهم اسم «المنبوذين» ويرون أن على هؤلاء الأخيرين أن يقوموا بخدمة البراهمة، وبدون هذه الخدمة ليس لهم أجر أو ثواب، بل إنهم يساوون بين كفّارة قتل القطة والضفدع وكفارة قتل المنبوذ.

تساؤلات وبشارات

أدت هذه التفرقة الظالمة بهيرالال إلى مراجعة نفسه حول مدى صحة هذه الديانة التي تفرق بين الناس بل وتفرق بين أتباعها أنفسهم، وشده أن يرى المسلمين وهم أهل الديانة الثانية في بلاده من حيث تعدادهم لا يفرقون بين غني وفقير وسليل عائلة كبيرة أو مقطوع من شجرة، فاشتدت رغبته في دراسة الدين الاسلامي والتعمق فيه خاصة بعدما لاحظ أن هناك كتبًا للهندوس تتكلم عن نبي له نفس صفات النبي محمد ﷺ ففي الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثاني من كتاب «السامافيدا» يوجد «**أحمد تلقى الشريعة عن ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس**»(١) وفي كتاب «**يهو شيابران**» جاء أن رجلاً قدم في المنام إلى الملك يهوج ملك السند فقال له: «**عليك أن تلحق بدين رجل ظهر في الصحراء وهو مختون له كلام يسمع، اصطفاه براهما يأكل الطيبات من اللحوم، تظهر على يديه معجزات كثيرة، وهو محفوظ من أعدائه اسمه محامد، يعني كثير الحمد**»(٢).

الحق يسطع

قرأ هيرالال هذه البشارات، وكان بحكم اطلاعه يعلم الكثير عن الدين الإسلامي والقرآن الكريم فطاف بذهنه قوله تعالى: ﴿ **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليمًا. رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا** ﴾ (النساء ١٦٤-١٦٥).

آمن هيرالال أن شيئًا من الحق يسطع أمامه، وأنه قد وجد بداية طريقه نحو الحقيقة التي يبحث عنها، وقر قراره على إشهار إسلامه بعد أن قرأ قوله تعالى: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (آل عمران ٨٥).

إشهار إسلامه

ويرجع الفضل في هداية هيرالال بعد الله إلى الشيخين الجليلين **زكريا مينار صاحب ونذير أحمد خجندي صاحب** من أعضاء جمعية التبليغ الإسلامي في بومباي، فقد نما إلى علمهما الصراع الذي يعتمل في صدر هيرالال، ورغبته في ترك الهندوسية واعتناق ديانة سماوية وتشتته بين الإسلام والنصرانية، فسافرا إليه في مدينة تاكبور، حيث أقنعاه بأن ما تبحث عنه روحه الحيرى موجود في الإسلام، الذي هو دين الله منذ الخليقة، ومازالا به حتى اقتنع بعدما شرح الله صدره للإسلام وكتابه الحكيم.

وتروي **مجلة «الإسلام»** [٣] المصرية على لسان مراسلها الذي شهد الحدث أن **هيرالال** توجه في **مساء اليوم الثامن من شهر ربيع الأول ١٣٥٥هـ** إلى بومباي والتقى الشيخين زكريا ونذيرًا وفريقًا من خواص المسلمين وعلمائهم وأبدى رغبته في اعتناق الإسلام، وإشهار إسلامه علنًا، وكان - آنذاك - في الخمسين من عمره، وفي يوم الجمعة التالي، ارتدى قميصا أبيض وعمامة بيضاء خفيفة وتوجه إلى الجامع الكبير في بومباي، وأمام أكثر من عشرين ألف مسلم حضروا للصلاة في الجامع أشهر إسلامه وتسمى باسم عبد الله هيرالال غاندي، وصعد على المنبر وألقى كلمة من ضمن ما جاء فيها قوله **«كلكم يعلم بأني أنا هيرالال ابن الزعيم الوثني الكبير غاندي، فأنا أعلن على رؤوس الأشهاد وفي وسط هذا الجمع العظيم من المسلمين بأني قد عشقت الإسلام، وأحببت القرآن، وآمنت بالله وحده، وبالرسول الأطهر سيدنا محمد صلوات الله تعالى عليه، وأنه خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده، وأن ما جاء به القرآن حق، والبعث والنشور حق، والملائكة والقضاء والقدر حق، والكتب المنزلة كلها حق، وأنبياء الله ورسله حق، فللإسلام وللقرآن سأحيا وأموت، وسأدافع وسأناضل، وسأكون إحدى دعاماته الكبرى، وسأكون مبشرًا به، وداعيًا له بين قومي وعشيرتي، ألا إن هذا الدين الحنيف هو دين العلم والثقافة والعدل والأمانة والرحمة والمساواة»** [٤].

تفاعلات الحدث

ويمضي مراسل مجلة «الإسلام» راويًا الحدث كما شهده في حينه، وتفاعلاته، حيث تناقلت الصحف والبرقيات الخبر إلى عموم الهند، فكان وقعه على الهندوس كنزول الصاعقة وتشنج له الزعيم غاندي تشنجا كبيرًا، حتى إنه امتنع عن الطعام والشراب لمدة يومين كاملين، كما غضب زعماء الهندوسية، وأغلقت معظم الحوانيت والمحلات التجارية الهندوسية المتصلة بأحياء المسلمين استياء وحزنًا.

> ”عشقتُ الإسلام وأحببتُ القرآن.. فللإسلام والقرآن سأحيا وأموت..“

وانهالت حملات المهاتما غاندي على ولده، كما هاجمته الجمعيات والصحف الوثنية، وصاحبت هجومها بالوعيد الشديد والتهديد.

أما المسلمون، فقد استقبلوا في الجامع الكبير في بومباي إعلان هيرالال إسلامه بالتكبير والهتاف «الله أكبر.. الله أكبر..»، ووقف **الشيخ زكريا مينار صاحب** وشرح للجماهير الفرحة الأدوار التي مرت عليه في قيامه بواجب الدعوة والتبليغ، واقتناع المهتدي الجديد عبد الله هيرالال بالدين الإسلامي باعتباره أشرف الأديان وأقومها عند الله.

وطلب **الشيخ زكريا** من المصلين أن يصافحوا أخاهم الجديد في الإسلام مهنئين فأقبلت الجماهير تصافحه فردًا فردًا حتى قرابة الساعة الثالثة، ثم حملته الجماهير على الأعناق إلى سيارته بين الهتاف بأن لا إله إلا الله، والتكبير.

بعد ذلك بأسابيع دُعي السيد عبد الله هيرالال إلى اجتماع إسلامي في مدينة سورت حيث ألقى كلمة أوضح فيها ما يتعرض له من حملات ومضايقات، وكان من بين ما قاله:

«لست بنادم ولا متأسف لاعتناقي الدين الإسلامي الحنيف كما يقولون ويشيعون، والله يعلم ويشهد أني ما فعلت أكثر من تلبيتي نداء الحق ونداء ضميري، بل رضوخي واستسلامي إلى الضالة المنشودة والحلقة المفقودة التي كانت ضائعة مني، والتي وجدتها أمامي أخيرًا ممثلة في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفي سيرة رسوله الأعظم صلوات الله عليه».

واختتم عبد الله هيرالال كلمته مخاطبًا الهندوس بضمير الغائب: «خير لهؤلاء القوم إذا رغبوا التخلص من حياتهم المريرة هذه أن يلقوا بنظرة سطحية بسيطة خالية من التعصب والغرض إلى دين الإسلام، ويدرسوا حقيقة الإخاء الإسلامي وإن لم يعتنقوا الإسلام، ثم لينصفوا بعد ذلك من تلقاء أنفسهم وليعلنوا النتيجة لنا ولأمة المهاتما غاندي ثم إلى العالم الشرقي والغربي» [٥].

هوامش

١) هل بشرت بنبي الإسلام أسفار الهندوس والمجوس؟ محمد عزت الطهطاوي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٢٥٦، ربيع الآخر ١٤٠٦هـ، ديسمبر يناير ١٩٨٦م.

٢) المصدر السابق.

٣) ابن غاندي يعتنق الإسلام، محمد أمين هلال، مجلة الإسلام، العدد ١٥، ١٥ ربيع الأخر ١٣٥٥هـ - يوليو ١٩٣٦م.

٤) المصدر السابق.

٥) خطاب ابن غاندي في اجتماع زعماء المسلمين في مدينة سورت، مجلة الإسلام العدد ٢٤، جمادى الآخرة ١٣٥٥هـ - سبتمبر ١٩٣٦م.

بيوت زوجات الرسول

● **كيف كانت بيوت أزواج النبي ﷺ ومن الذي أدخلها في المسجد ؟**

محمود الصاوي جودة : ج . م . ع .

طنطا

■ جاء في طبقات ابن سعد م/ ١ ص٤٩٩ ما نصه « أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا عبدالله بن زيد الهذلي قال : رأيتُ بيوت أزواج النبي ﷺ حين هدمها عمر بن عبد العزيز كانت باللبن ، ولها حجرات من جريد مطورة بالطين ، عددت تسعة أبيات بحجرها وهي ما بين بيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ إلى منزل أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، ورأيتُ بيت أم سلمة وحجرتها من لبن ، فسألت ابن ابنها ، فقال : لما غزا رسول الله ﷺ ، غزوة دومة الجندل بَنَتْ أمُ سلمة حجرتها بلبن ، فلما قدم رسول الله ﷺ نظر إلى اللبن فدخل عليها أول نسائه فقال : ما هذا البناء ؟ فقالت : أردت يا رسول الله أن أكف أبصار الناس ، فقال : يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلمين البنيان .

قال محمد بن عمر : فحدثت هذا الحديث معاذ بن محمد الأنصاري فقال : سمعت عطاء الخرساني في مجلس فيه عمر بن أبي أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر : أدركت حجر أزواج النبي ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود ، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يأمر بإدخال حجر أزواج النبي ﷺ فما رأيتُ أكثر باكيًا من ذلك اليوم ، قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذٍ : والله لوددتُ أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشئ من أهل المدينة ، ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته ، فيكون ذلك مما يُزهد الناس في التكاثر والتفاخر » ، إلخ وله بقية في الطبقات جد مفيد .

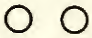
قلتُ وعمر بن عبد العزيز يوم عمل هذا العمل لم يكن حينئذٍ خليفة بل هو أمير على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك فلعله معذور ، ويتبين لنا من هذا **أن الحجرات كانت لأزواج النبي ﷺ وكانت خارج المسجد .**

ويتبين من هذا كله أن معنى الحياة الصحيح وأنسها ولذتها تكمن في القلب إذا عمر بالإيمان وترك البطر والفخر ، وأن اليقين وصدق الظن في الله يجعلان المسلم يمشي على الأرض واثقًا مطمئنًا تعلوه السكينة ، والقوة ، والوقار . ويتبين من هذا من حيث المعنى أنه لا لذة ولا أنسًا صادقًا حيًا من خلال الهندام الجميل والقصور المشيدة والجاه إذا كان صاحب هذا الهندام يعيش عيشة خوف ووحشة ووسواس وأفكار وحب للحياة وتعلق بها ، إذ لا معنى لحياة أمثال هؤلاء وهم يرسفون في أغلال حب الجمال المزيف والدنيا العابرة والصورة الجميلة ظاهرا ، والقلب قفر موحش منصرف .

وهذا درس جيد نأخذه من خلال حياة النبي ﷺ ، وإن كان الزمن قد تغير فإن الناس هم الذين تغيروا فقلب لهم أمرهم « ظهر المجن » فطلبوا الدنيا وسعوا إليها فسحرتهم ثم تركتهم يندمون .

وأولئك الذين أخذوا من دنياهم كفافًا وسترًا طلبتهم الدنيا وسعت إليهم فتركوها جزلين فرحين .

وطبقات ابن سعد رحمه الله أُشيرُ بقراءتها لكافة القراء ، فهو ذو أسلوب هين سهل قويم وهو يحكي تراجم صادقة في غالب ما يرويه وهو كتاب مفاجآت لافتة للنظر لأخذ العبر والدروس العالية من خلال تجارب العظماء وآثارهم ولا أظن أحدًا يستغني عنه ، وابن سعد هو كاتب الواقدي وقد تتبعت آثاره فهو ثقة ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .



ردود قصيرة

● **الأخ : محمد سلمان ـ الكويت :**

سنة الفجر سنة مؤكدة ، حافظ عليها النبي ﷺ حضرًا وسفرًا .

● **الأخت : ليا سنهوج عبد الحميد ـ ج . م . ع ـ كفر الشيخ :**

١ ـ « خذوا شطر دينكم من هذه الحُميراء » حديث ضعيف .

« إياكم وخضراء الدمن . . » حديث ضعيف .

٢ ـ نعم أسهم النصارى في تشييد المساجد التي يوجد فيها قبور . لكن بطرق غير مباشرة .

● **الأخ : عبد الله القاضي أبو النور-اليمن الجنوبي :**

طواف العمرة للقادم من بعيد يهرول فيه ثلاثة أشواط ، وهذه سنّة فعلها النبي ﷺ حينما قدم مكة هو وبعض أصحابه .

حج مع النبي ﷺ في حجة الوداع قرابة مئة ألف ١٠٠,٠٠٠ حسب علمي .

لا بأس أن يستريح المسلم قليلا بين الطواف والسعي للضرورة ، وليس هذا من مبطلات الحج أو العمرة .

● **الأخ عبد الكريم . م . ل ـ أغادير ـ المغرب :**

تختلف عادة النساء ، وفي الجملة لا يجوز اقتراب الزوجة إلا بعد الطُهر ، ومن يخالف هذا يرتكب ذنبًا لقوله تعالى ﴿**ولا تقربوهن حتى يطهرن**﴾ البقرة / ٢٢٢ .

● **الأخت هيفاء . ل . ل . ل ـ الشويخ ـ الكويت :**

يلزمك الصبر في هذه الحالة ، وطلب الطلاق ضعف .

● **علي بن صالح بكران رشدان ـ سلطنة عمان**

السيارات المستعملة لا زكاة عليها .


إبراهيم ناجي

تجربة إبراهيم ناجي مع الشعر

بقلم: أسامة الألفي

في ليلة شتائية باردة، وقبيل سويعات من رحيل عام ١٨٩٨م كان مولد شاعرنا الدكتور إبراهيم ناجي في بيت يقدّر قيمة العلم والأدب، فالوالد محب للاطلاع، عاشق للثقافة والأدب، يجد في القراءة متعتــه الكبرى، ويحرص على أن يشاركه من حوله تلك المتعة، وكانت له مكتبة خاصة عامرة بكل ما هو شيّق وراق ونفيس من الكتب في شتى فنون المعرفة، وبين رفوف تلك المكتبة عاش ناجي طفولته وصباه متجولاً، ملتهما ما تضمه من ذخائر التراث، وروائع الفكر العالمي، مما كان له أبلغ الأثر في تشكيل شخصيته المحبة للقراءة، ونمو ميوله الأدبية.

شاعر جنت عليه قصيدة

حين يذكر اسم الدكتور إبراهيم ناجي تتداعى إلى الأذهان قصيدته «الأطلال» التي عرفها العامة والخاصة في الوطن العربي، حتى لا يكاد يخلو منها بيت.

وبالتأكيد إن هذه القصيدة بكلماتها الحزينة وصورها الرائعة قد ظلمت «ناجي» ظلمًا بيّنًا، إذ رددها الجميع وطربوا لها، لكنهم نسوا قائلها!!

بل إن الجناية في حق ناجي قد امتدت من العامة إلى الخاصة، الذين بهرهم شعره، فعرفوه شاعرًا رقيقًا، وأغفلوه أديبًا شاملاً، جمع بين كتابة الشعر والقصة والترجمة والتنظير الأدبي، فمارس الكتابة القصصية في مجموعته «الحقني يا دكتور» ونقل إلى اللغة العربية رائعة ديستوفسكي «الجريمة والعقاب» كما أسهم في رسم أبعاد القصة العربية المعاصرة من خلال كتابه «في فن القصة»، وحجة هؤلاء أن الشعر يظل فنه الأول الذي تتضاءل أمامه إسهاماته الأخرى، وهو قول قد يكون صحيحًا إلى حد ما، لكنه لا يعني ألا تحظى إبداعاته الأخرى كليًا بدراسات نقدية.

موهبة مبكرة

وتجربة ناجي مع الشعر ثرة وغنية، إذ تفجرت موهبته وهو بعد في سن غضة لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، وفاضت قريحته في تلك المرحلة المبكرة من عمره بأكثر من قصيدة تنم عن موهبة أصيلة وشاعرية متدفقة، ومن ذلك قوله في إحدى قصائد شعر الصبا:

كلانا عليل فلا تجزعي

ودمعك تسبقه أدمعي

وإن كان بين ضلوعك نار

فنار الصبابة في أضلعي

وإن كان نجم هنائك غاب

فنجم هنائي لم يطلع

والشعر عند ناجي ليس مجرد تسجيل تجربة أو نظم تقليدي، لكنه كما قال بنفسه: «**النافذة التي أطل منها على الحياة، وأشرف منها على الأبد، وما وراء الأبد، هو الهواء الذي أتنفسه، والبلسم الذي داويت به جراح نفسي حين عز الأساة**».

وطبقًا لهذا المفهوم فالرؤية الإبداعية لديه رؤية إنسانية تلتحم مع تجربة شعرية خاصة، مكونة نسيجًا عاطفيًا يعتمل في صدر الشاعر، يظل يتردد حتى يتمخض قصيدة.

المؤثرات في شعره

يمكن حصر المؤثرات في شعر ناجي في ثلاثة عوامل رئيسة: أولها القاص الإنجليزي **تشارلز ديكنز**، الذي شدته إليه رقة ألفاظه، وعذوبة أسلوبه، وولعه بكل ما هو حزين من المعاني والدلالات، الأمر الذي انعكس على شعر ناجي، ولَوّنه بطابع حزين ظل مصاحبًا له طوال سني حياته، وقد أوضح هو بنفسه هذا التأثر في قوله: «**أبي كان يحبب ديكنز إليّ ليصقل شعوري، ويزرع فيّ الإنسانية، ويعلمني التأمل والملاحظة، أما ديكنز فقد حبب إليّ الأدب على الإطلاق، وأما ديفيد كوبر فيلد، فقد خلق مني شاعرًا، وجعلني أبحث عن (دورا) أخرى أشرب من عينيها كأس الحياة**».

العامل الثاني تأثره بالشاعر العربي الكبير **أبي الطيب المتنبي**، وشاعر الإنجليز الشهير **وليام شكسبير** كممثلين للمدرسة الشعرية الرصينة في الأدبين العربي والإنجليزي، إذ ترك هذان الشاعران المبدعان في نفسه تأثيرًا كبيرًا، لكنه تأثير المبدع في المبدع، لا تأثير المتبوع في التابع، حيث استوعب شاعرنا نواحي الجمال والرقي في نتاجهما ثم انتهج لنفسه خطًا وطريقًا مميزين.

ويتمثل العامل الثالث في تلك **النزعة الرومانسية**، التي سادت العالم عقب الحرب العالمية الأولى، إذ كان ناجي شديد الإعجاب بشعراء هذا



المذهب، وبخاصة بيرون وشيللي وكيتس، كما أن الصداقة جمعته في مدينة المنصورة، حيث كان يعمل طبيبًا، بمجموعة من الشعراء الشباب يلتقون معه في الإعجاب بالرومانسية والتأثر بها، من هؤلاء كان رفيق دربه المهندس **علي محمود طه**، وشاعران يصغرانها سنًا وإن لم يقلا عنهما موهبة هما **محمد عبد المعطي الهمشري**، الذي توفي في شرخ شبابه وقمة عطائه وتوهجه، **وصالح جودت** الذي صار - فيما بعد - رئيسًا لتحرير مجلة «المصور» وهو آخر أعضاء المجموعة رحيلاً عن الدنيا.

جمعت هذه الشلة ما يشبه ندوة صغيرة على ضفاف نيل المنصورة، يتدارسون فيها الأدب ومذاهبه، ويتبادلون الرأي في نتاج قرائح بعضهم، بالنقد حينًا، والتوجيه تارة، فكان لاحتكاك شاعريتهم أثره في صقل مواهبهم، ونمو رغبتهم في تأسيس أو الانضمام لجماعة أدبية تضم أنصار مذهبهم الرومانسي، لذا فعندما قامت **جماعة «أبوللو»** الشعرية برئاسة أمير شعراء عصره **أحمد شوقي**، بدعوة من الشاعر **أحمد زكي أبو شادي**، كانت مجموعة المنصورة من أوائل المنتمين إليها، وما لبث ناجي بعد وفاة شوقي أن صار وكيلاً للجماعة، وأسهم بقسط وافر في بلورة مذهبها الأدبي، ورعاية شباب الشعراء من خلال مجلتها، مما كان له أثر كبير في انطلاقة فكرها، وانتشاره على نحو واسع.

دواوينه وأغراضه الشعرية

لناجي ثلاثة دواوين، صدر اثنان منها في حياته هما: «**وراء الغمام**» ١٩٣٤م، و«**ليالي القاهرة**» ١٩٣٩م، أما ديوانه الثالث «**الطائر الجريح**» فقد جمع وصدر بعد رحيله.

وقد كان لطبيعة تكوينه النفسي المتميز بحساسية مفرطة، مع اعتزاز لا حدود له بالذات أثره في **غلبة شعر الغزل على ما كتب من قصائد، حتى ليكاد يكون الموضوع الوحيد في دواوينه الثلاثة**، وندر أن يتناول موضوعات أخرى، إذ لم يكن شاعر مناسبات، وإن حدث أن كتب في مناسبة ما مديحًا أو رثاءً فيكاد ذلك يقتصر على أحبابه والمقربين منه. كما أن حساسيته المفرطة ودماثة خلقه قد أبعدا بينه وبين شعر الهجاء، فخلا شعره من هذا اللون باستثناء قصيدتين الأولى بعنوان «**هجاء أعمى بغيض**» والأخرى بعنوان «**هجو شاعر**»

وشعر ناجي ترجمة أمينة لحياته وشخصيته وخبراته الحياتية، ذلك أن حياته - فيما يبدو - برغم استقرارها الظاهري كانت تموج باضطراب، مما غرس في نفس الشاعر سمتي التشاؤم والخوف من المجهول، فضلا عن الشك في استمرار السعادة، فتراه يبكي في النعمة والقرب، مثلما يبكي في الشقاء والبعد، وتصور قصيدته «الشك» هذه الحالة من عدم الاستقرار:

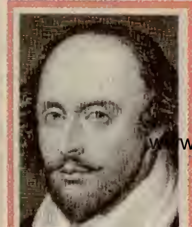
بي ما تحس وما بفؤادك بي
فتعال نبك أيا نجيّ شبابي
تهمى الدموع وأنت دان واصل
كمسيلهن وأنت في الغيابِ

تأثر بديكنز والمتنبي وشكسبير

ديكنز



شكسبير



ويبدو أن الإحباط الذي عاناه شاعرنا مرده للظروف التي صاحبت الحرب العالمية، وما رآه خلالها من تهاوي القيم والمثل العليا، وتسابق الناس من حوله في صراع دنيء إما للمادة أو للبقاء، فكانت صرخته في قصيدة «الليالي» تعبيرًا عن هذا الشعور بالإحباط، واحتقاره لما يراه من انتهازية وتكالب على المادة يقول:

قد صار حب الحياة منا
يقنع بالجيفة السباع
وعلّم السمح أن يضنا
وثبت الجبن في الطباع

وإزاء تلك الإحباطات لا تجد روح الشاعر لدى ناجي مرفأ تأوي إليه سوى الماضي، بكل ما يعنيه ويوحي به من نقاء، حتى ليكاد يلتقي مع الأقدمين في بكائهم على الأطلال، لكنه التقاء من نوع آخر تجسده قصيدته «العودة».

دار أحلامي وحبي لقيتنا
في جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهي كانت إن رأتنا
يضحك النور إلينا من بعيد

والصورة الشعرية لديه تتميز بالحركة والإيقاع السريع الموسق، مع موسيقا داخلية تستثمر ببراعة وقع جرس الكلمة لدى المتلقي. في تداعٍ منظم يجسد التجارب التي عاشها الشاعر، وتركت في نفسه آثارًا عميقة تتراءى له من حين لآخر:

تمر ذكرى وراء ذكرى
وكل ذكرى لها دموع
وتعبر المشجيات تترى
من كل ماض بلا رجوع

والمرأة عند ناجي هي الأم والحب والحنان والدفء، وتميزت نظرته إليها بحنان متدفق يكاد ينساب بين كلماته، واحترام كبير لمشاعرها، فهو ينظر إلى روحها لا إلى جسدها، ويتسامى بها فوق الغرائز، وهذا ما يفرق بينه وبين **عمر بن أبي ربيعة**

الذي يربط الكثيرون بينهما بحكم أنهما غلب على شعرهما الغزل، رغم ما بينهما من تباين واختلاف، فغزليات عمر حسية تناجي جسد المرأة أكثر من روحها، بينما غزليات ناجي تنتهج العكس، وتسمو بالغريزة وتأبى أن تدنس الحب:

قد عرفنا صولة الجسم التي

تحكم الحي وتطغى في دماه

أمرتنا فعصينا أمرها

وأبينا الذل أن يغشى الجباه

وبرغم أن «ناجي» لم يكتب قصائد دينية، إلا أن البيئة المصرية المتدينة بطبيعتها قد غرست فيه بصماتها، فنراه يستوحي الرموز الدينية في شعره يقول:

قميص يوسف رد العين مبصرة

ففاز بالنور ذلك المطرق الكابي

ونراه في قصائد أخرى معتزًا بنفسه يأبى أن يتذلل أو ينافق، ويستمد من وجود الله القوة على الصبر والمقاومة:

أحني لعرشِ اللهِ رأسا ما انحنى

بالذل يومًا في رحاب عظيم

ناجي في مرآة العقاد وطه حسين

المآخذ على **شعر ناجي** كثيرة، إلا أن أبرزها افتقار أبياته إلى الترابط، فمن الممكن تقديم أو تأخير أبيات قصائده دون أن يختل المعنى، أو يحس القارئ، خاصة في رباعياته.

وقد تعرض لناجي بالنقد والتحليل نقاد كثير، نكتفي منهم هنا برأيين لاثنين من أكبر أدباء عصره هما عملاق الأدب العربي **عباس محمود العقاد، والدكتور طه حسين**.

فأما **العقاد**، فقد كانت طبيعته التصادمية تجعل الكثير من آرائه النقدية مجانبة للحياد الذي هو سمة الناقد الأولى، وقد شن العقاد على ناجي هجومًا شديدًا وصل إلى حد اتهامه له بسرقة بيتين منه هما:

> "اتهمه العقاد بالسرقة ووصفه د. طه حسين بأنه شاعر مجيد تألفه النفس."

مرَّ عام منذ سرنا حيث سرنا

لا نبالي ما أتى وما سوف يأتي

منذ كنا غريبين فصرنا

كل شيء في الدنيا أنا وأنت

وقال **العقاد** إن «ناجي» سرق هذين البيتين في قوله:

يا للقلوب لملتقى اثنين

لا يعلمان لأي سبب

جمعتهما الدنيا غريبين

فتآلفا في خلوة عجب

عجبا لنا في لحظة صرنا

متفاهمين بغير ما أمد

يا مَنْ لقيتك أمس هل كنا

روحين ممتزجين إلى الأبد

وأي دارس لكلمات العقاد وكلمات ناجي لن يصعب عليه اكتشاف خطأ العقاد في اتهام ناجي بالسرقة الأدبية، ذلك أن الفكرة الفلسفية عن التحام أرواح المحبين هي فكرة شائعة منذ قديم الزمان، بل إن **أبيات ناجي بما تميزت به من حرارة وعاطفة قد عمقت الفكرة أكثر من أبيات العقاد التي أطفأت نزعته الفلسفية حرارتها وصدقها.**

على عكس **العقاد** كان د. طه حسين معجبًا بناجي حتى إنه وصفه بأنه «**شاعر مجيد** تألفه النفس، ويصبو إليه القلب، ويأنس له قارئه أحيانا، ويطرب له سامعه دائما» إلا أن د. طه اعتبر شعر ناجي «**أشعار صالونات لا تحتمل أن تخرج إلى الخلاء فيأخذها البرد من جو النهار**» كما أخذ عليه بعض المآخذ اللغوية.

وإذا كان د. طه قد أصاب في بعض المآخذ اللغوية في شعر ناجي إلا أنه أخطأ حين وصف قصائده بأنها «أشعار صالونات» وهو القائل: إن «**أدبنا العربي لا يهمل الأسماع إهمالاً قليلاً أو كثيرًا، وإنما يعنى بها أشد العناية، فهو أدب منطوق مسموع، قبل أن يكون أدبًا مكتوبًا مقروءًا، وهو من أجل هذا حريص على أن يلذ اللسان حين ينطق به، ويلذ السمع حين تسمع له، ثم يلذ بعد ذلك النفوس والأفئدة حين تصغي إليه**».

ولأن ناجي بطبيعة تكوينه النفسي ذو حساسية شديدة، قد آلمه نقد د. طه، واعتزل الشعر والأدب لفترة، وما إن تناهى خبر اعتزاله إلى د. طه حتى كتب مستثيرًا فيه كوامن العطاء، مستفزًا إياه على العودة: «لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجي يعلن زهده في الشعر، لأنني قدرت أن الدكتور ناجي إن كان شاعرًا حقًا فسوف يعود إلى الشعر راضيًا أو كارها، سواء ألححت عليه في النقد أم رفقت به، وإن لم يكن شاعرًا فليس على الشعر بأس أن ينصرف عنه ويزهد فيه».

وآتت كلمات د. طه. حسين ثمارها، إذ ما كاد ناجي يقرؤها حتى قرر العودة إلى مجال الإبداع.

رحيله

يروي الأديب الراحل **سامي الكيالي** في تذييله لديوان ناجي أن الأخير كان مدعوًا من قبله يوم وفاته الموافق ٢٧/ ٣/ ١٩٥٣م لإلقاء محاضرة في دار الكتب الوطنية بحلب عن «**الخواطر العالمية الحديثة في الأدب والاجتماع**»، وفيها احتشد الحضور في القاعة التي غصت بلفيف من الأدباء والشعراء والمثقفين، أتى الناعي بنبأ وفاة الشاعر، وبدلاً من أن يصعد ناجي إلى المنصة لإلقاء محاضرته، صعدت روحه إلى بارئها، وارتقى **الكيالي** المنصة ليلقي كلمة للحضور عن الشاعر الذي أخلف موعده معهم لسبب أقوى منه ومنهم، واختتم حديثه بكلمة باكية: «**أيها السادة لقد جئتم لتسمعوا حديثًا منه، فإذا بكم تسمعون حديثًا عنه، وأي حديث تسمعون: نبأ وخبر وفاته!**».



قصة قصيرة

بروح

بقلم: مصطفى الأسمر

حاولت جاهدًا أن أتجاهل قلقي ولكنه كان أقوى من كل محاولاتي وأعمق . . . أغمضت عيني واستدعيت طفولتي وانطلقت أركض كعادتي كل صباح قبل الذهاب إلى المدرسة مخترقا شوارع المدينة كأنني أخوض معركة أو كأنني أعدو في سباق دورة أوليمبية . . تلفت حولي استحث الآخرين كي يشاركوني العدو فيدفعني التنافس إلى التجويد . . ضحكوا . . لم أعبأ . .

دخلت المدرسة في آخر لحظة قبل أن يغلقوا بابها الحديدي المرتفع بالسلسلة الطويلة . . انتظمت في الصف وأنا ألهث . . ومع ذلك تقدم نحوى ضابط النظام ووكزني في جنبي وقال : حذاؤك لا يلمع . . والقميص ينقصه أحد الأزرار .

طلب مني أن أمد يدي أماما وظهرها لأعلى . . فعلت . . هوى بعصاه الرفيعة على سلاميات أصابعي بعشر ضربات سريعة متتابعة كأنه قصد أن تكون الضربات بعدد أصابع يديّ . . تماسكت ، وصممت أن لا أسحب يدي بعد كل ضربة مهما كان الألم .

(كانت الأرض منبسطة ، وكانت السوق الصغيرة تجاهد كي تصلب أعوادها . . ولكن الجذور المتشعبة للشجرة العملاقة كانت تخلخل التربة من تحتها) .

(٢)

من البداية لم يرتح إليّ . .

وحتى لا أكتم شهادة في قلبي فأنا بدوري أيضا لم أرتح إليه . . من أول عام جاءت تقاريره السنوية السرية عن عملي غير مرضية . . . كانت دون المتوسط . . ومع ذلك صممت ألا أداهنه كالآخرين . . فما حاجتي إلى التقديرات العالية ولا مطمع عندي في إعارة . . كان يحلو لي أن أستثيره لأراه هائجا وأنا واقف أمامه أتلقى تأنيبه وتوبيخه وقراراته وعلى وجهي ترتسم البراءة كاملة . ناشدني الزملاء أن أغير من أسلوب تعاملي معه ، فكنت أتصنع البلاهة وأقول لهم :

وهل أملك أنا حياله شيئا . . إنه هو الذي يملك أن يحرمني من الحوافز والمكافآت وبدلات السفر . . ومن سلطاته أن يوقع على الجزاءات . . وكانت حجتي تلجم ألسنتهم فيصمتوا . . مع الأيام بتّ أخشى أن يكون الحال قد وصل بي إلى حد استعذاب ما يصنعه بي . . ثم تبين لي بعد حين أن خشيتي لا مبرر لها ، فسلوكي أنا معه دفعه إلى تعاطي المزيد من حبوب الضغط وإلى جحوظ عينيه .

(لمحت الشجرة العملاقة الورود المتفتحة الناعمة غاظتها ابتسامتها وتوردها . . مالت بأفرعها الثقيلة عليها تريد أن تئدها . . تماسكت الورود أمامها كي لا تنفرط أوراقها الرقيقة) .

(٣)

بدون تردد قلت لهم . . : سأكون معكم .

حاولوا أن يُبَصِّرُوني بخطورة ما سأقدم عليه وبما سيجلبه انضمامي هذا من مصاعب .

فقالوا : ستلاحقك المشاكل والمتاعب .

قلت : أعرف . . وسيكون هذا بالنسبة لي أفضل . .

قالوا عليك أن تفكر طويلا وتتدبر أمرك على مهل . .

قلت : ومن قال إنني لم أفكر .

قالوا : أعط نفسك مهلة وبعدها قرر . وتذكر ما يصيبك . . فقد تتراجع .

قلت : الآن أو لا !! أبدا .

قالوا : نذكرك نحن . .

لا فائدة . . فكل المشاكل تهون بجانب ما أنا فيه . .

شهادة صدق وحق حاولوا ردّي كثيرا ، أكثر مما ينبغي ، فعلوا المستحيل كي يثنوني عن عزمي ولكني ركبت رأسي ، ليس حبا في المغامرة أو رغبة في ذيوع الصيت ولكن لأن طاقتي على الصبر كانت قد نفدت تماما . . فبعد ما حدث معي لم يعد أمامي من طريق آخر أسلكه غير هذا الطريق . . أخيرا وافقوا وقالوا : أبرأنا ذمتنا ونصحناك . . فأنت في مطلع العمر وقد يأتي اليوم الذي تندم فيه لأنك



اخترت أن تكون في هذا الجانب .

(حنت نسمات رطبة على أوراق الورود المبعثرة تضمد جراحها وتواسيها . . تحاملت الأوراق وجاهدت كي تصنع من تبعثرها وردة كاملة . . زمجرت الشجرة العملاقة فتحولت النسمة إلى ريح صرصر عاتية) .

(٤)

قالوا لى : الصبر . . عليك بالصبر.

قلت لهم : ومن أين آتي به . . لم يعد في الصدر ذرة منه ولا متسع له . .

قالوا : تمسك به تبلغ ما تريد .

قلت : صبرت بما فيه الكفاية وأكثر.

ضقت بهم وبنصائحهم وتحذيراتهم وتعليماتهم . . وتراءى لي أنه قد آن الأوان أخيرا كي أتصرف كما ينبغي أن يكون التصرف . . وكأنهم كانوا يقرؤون أفكاري إذ قالوا : تذكر أن العيون كثيرة ومبثوثة في كل مكان . .

طمأنتهم متحديا : أعرف مثلما تعرفون . .

تضخمت رغبتي الضاغطة في لقائه قبل أن تفل الحماسة وتضعف الصحة . . تحايلت حتى وصلت إليه متخطيا كل الحواجز التي تحيط به . . بالمصادفة كان بمفرده . . بهرتني الحجرة . . قاومت باستماتة كي لا تصرفني عما جئت من أجله لوحات الجدران « الجوبلانية » ومنمنمات السقف المذهبة والأرائك الوثيرةوسجاد الأرضية الصوفي . .

وعندما استخلصت نفسي من نفسي تنبهت وتذكرت مهمتي : كان قد قام من فوق مقعده الوثير وهو يبتسم . . خدرتني ابتسامته وبدت لعيني سنارة تحمل طعما مغريا وهي تتأرجح أمامي في محاولة لاصطيادي وترويضي . . أغمضت عينى وقلت : آن الأوان لنصفّي كل الحسابات المعلقة . .

بدون اعتراض وافقني وقال : معك كل الحق . . اجلس أولا . . ثم اشرب قهوتك ثانيا ، وبعدها نتفرغ لتصفية كل الحسابات ، صغيرها قبل كبيرها . . أليس هذا هو هدفك ومقصدك؟

أدرت ما قاله في ذهني ، بدا في ظاهره معقولا ومقبولا لكني لم أكن مطمئنا له . . كان يناورني . . ملامحه كانت تفضحه وتقول هذا . . لاحظت أن عينيه تكتشف كل منافذ الحجرة تستنجد الآخرين لينتشلوه من انفرادي به . . تقدم نحوي وربّت على كتفي وقال : تصوّر . . من زمن وأنا أبحث عنك لمكافأتك . . أين كنت ؟

اندهشت وتأكد لي أنه يكذب . . فيقينا هو لم يَرَني قبل اللحظة . . بت على ثقة أنه ابتدأ يستعمل معي لعبة الوقت ليتمكن مني في النهاية (أضاءت الشمس الأرض المنبسطة فاتضحت الرؤية . . كشرت الشجرة العملاقة وهي تستشعر بالجذير الرفيع يضرب في باطن التربة ويستميت في التشبث بها كي يمكن للساق الوليد من النفاذ والصعود إلى سطح الأرض ثم البزوغ لأعلى حيث أشعة الشمس) .

قصة قصيرة

ليلة زفاف

بقلم: رفقي بدوي

حين تحرّش به في المرة الأولى ، ابتسم وأحنى رأسه ، وتأسف متحاشيا الصدام ، فهو يعلم أنه بيّت النية على «خناقة» بأي شكل من الأشكال ، لذلك كلما حاول أن يصطدم به ، ابتسم له ، وأحنى رأسه وتأسف .

فكانت رأس السيد «**محروس**» دائما محنية ، وفمه لا تشاهده مفتوحًا إلاّ لتقديم الأسف والاعتذار.

بعض الناس وصفه بالتهذيب ، و الآخرون وصفوه بالجبن ، إلاّ أن **سلماوي** ومن على شاكلته قد نعتوه بالجبن الشديد لأنه دائما ما يحني رأسه **لسلماوي** ، ويفتح فمه عن آخره ليفرغ ما بجوفه من حروف تشكل «**آسف**» .

كل المحيطين بالسيد «**محروس**» والمحيطين **بسلماوي** يعلمون علم اليقين أن هناك شيئًا ما ، خبيئ بينهما ، سرّ من الأسرار ، الذي لا يقدر أحدهما أن يفصح عنه ، وهذا السرّ تظهر تجلياته في تحرش **سلماوي** المستمر بالسيد «**محروس**» وأسف السيد«**محروس**» الدائم **لسلماوي** .

عندما جاء موعد زفاف السيد «محروس» دعا كل الأصدقاء والمعارف ، وتكرّم بدعوة **سلماوي** بنفسه ، ولما اجتمع الشمل وامتد السرادق بالمدعوين ، دخل السيد «**محروس**» قابل المأذون ، وعاد متأبطًا عروسه ، وجلسا ، ثم قام السيد «**محروس**» ، ورفع الطرحة عن وجهها ، اندهش كل المدعوين حين عرفوها ، واندفع **سلماوي** بكل غضبه ناحية «الكوشة» وبيده مُدية ، إلاّ أن أمه خلعت فردة حذائها بسرعة وضربته على وجهه ، ثم جلست مرة أخرى بجوار عريسها ، في الوقت الذي لم يحن فيه السيد «**محروس**» رأسه ، ولم يتأسف ، كان **سلماوي** قد فر مسرعًا ، واختلى بنفسه خارج السرادق ، واضعًا كفيه على وجهه ، وراح يبكي بحرقة .






عبد الرحمن السدحان

● العنوان : هواجس بيروقراطية.

● المؤلف : عبد الرحمن بن محمد السدحان.

● الناشر : مرامر للطباعة الإلكترونية. الرياض. ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م. ٢٧٧ص.

بادئ ذي بدء نقول: إن «الهواجس» كل ما تقع في الصدر والبال والخاطر من تخمين وحدس، وقد تدل على كل ما يُسمع ولكن لا يفهم، وبالتالي فهي تفارق كل معقول ومفهوم ومنطقي.

وهذا الكتاب صرخات مدوية أطلقها كاتبها بحس صادق من أجل رفع الإنتاجية وإجادة في العمل ولهذا جاء العنوان «هواجس بيروقراطية» غير متفق مع مضمون وفكر مؤلفه، وغايته وأهدافه. لأن الكتاب يزخر بالروح العلمية والفكرية، ويطمح إلى تأصيل قواعد وأسس إدارية وتنظيمية للدولة والفرد، من أجل مستقبل زاهر، وكل ذلك لا تحققه «الهواجس» ولا «البيروقراطية».

اجتمع في الكتاب سبع وخمسون فكرة مختارة مما كان ينشرها المؤلف في زاويته الأسبوعية «غصن الزيتون» في مجلة «اليمامة»، وبعضها نشر في جريدة «الجزيرة».

وعلى الرغم من أن الكتابة في الزاوية الأسبوعية تتحكم فيها أمور كتابية متباينة في الشعور والفكر، فإن المؤلف استطاع أن يجعل من تلك الأمور المتفاوتة وحدة شعورية وفكرية؛ حين قسم تلك المختارات إلى ستة عناوين بارزة، وأصاب كل عنوان مجموعة من الموضوعات، بحيث تنسجم جميعها مع عنوانها الأساسي، وإن كان ذلك الانسجام قد تحقق في الأول - الإصلاح الإداري — أكثر من غيره؛ ربما لأنه الأهم، والأجدر بالوقوف عنده أكثر من غيره.

نجد في «الإصلاح الإداري» ستة موضوعات ذات مصب واحد، الأول - مفهومنا الإداري المستعار لسلوكية الإدارة - وفيه يرفض الأستاذ السدحان الفكر الإداري الغربي بمختلف أطره وصياغاته، لأنه لا يمكن الاستفادة منه «اقتباسًا ومقارنة وتحليلاً»، على أنه يتحفظ بشدة إذا كان الاتجاه يقوم على تطويع تلك الأطر أو تطبيقها، وبخاصة من أجل «تصويب مسارنا الإداري، وتشخيص ما يعوق نموه وعطاءه».

وتلوح بذور الإصلاح الإداري في الثاني — دولة المؤسسات - من خلال ما جسده إعلان الأنظمة الثلاثة المقننة لأسلوب الحكم، والشورى، وإدارة المناطق، على أن ذلك الأسلوب ذو إطار أوسع بما اندرج تحته. ويحاول في الثالث — دعوة إلى صحوة إدارية جديدة - أن يوجد حلولاً تحقق للخريجين الجامعيين فرصة أفضل للإسهام في نشاطات التنمية، كلٌّ فيما يخصه. وقد أوجد حلين أو مدخلين لعلاج ظاهرة الربط بين تخصصهم وطبيعة عملهم، وكان الأول مدخلا آنياً أو حلاً قصير الأجل، والثاني طويل الأجل. ولكنه يخلص من أن تلك الصحوة الإدارية تتبلور في أن تجعل من الإصلاح الإداري ضرورة ملحة، وأولوية وطنية ضمن خطط التنمية القادمة.

بينما في الرابع - تأملات موجزة حول تجربة الإصلاح الإداري في المملكة العربية السعودية - يرسم مساراً موجزاً، للكيفية التي خاضت بها المملكة تجربة الإصلاح الإداري خلال فترة تنوف على العشرين عامًا. وقد ركز فيها على تجربتين سعوديتين هما: معهد الإدارة العامة، وتطوير الوظيفة العامة، فضلاً عن وقوفه عند تحديث البنية الإدارية في وقت لم تدخل الإدارة السعودية مرحلة التعقيد بأبعاده الحضارية والإنسانية والفنية؛ حين كانت تركيبتها «البيروقراطية» صغيرة الحجم، ونقية «من الرواسب والخلفيات التي تقترن عادة بالكيانات البيروقراطية، في بعض الدول النامية وخاصة تلك المثقلة بتركة المستعمر الأجنبي. وكان هذا أحد المعطيات الهامة التي يسرت مهمة التغيير». وكذلك فإن الخبرة الأجنبية، رغم الحاجة إليها، لم تفرض وجودها على مجهود التغيير، لأن الخبرة الوطنية كانت جزءًا لا يتجزأ من هذا المجهود.

على أنه رغم ذلك الترسب والركام البيروقراطي السلبي في بعض الدول النامية، التي عناها المؤلف، والتي عانت الكثير من الاستعمار الطويل، فإن ثمة إيجابيات إدارية خلّفها الاستعمار وراءه عند تلك الدول. مثلاً لا يزال الكثير من المثقفين في الجزائر الآن يعترفون أن فرنسا تركت لهم جوانب وأطرًا إدارية رائعة مافتئت الدولة الجزائرية تمارسها بنجاح وسرور تصرف رواتب الموظفين عن طريق البريد، وقضية التأمينات الاجتماعية والصحية.

ومع الخامس - كيف يكون الموظف آخر من يعلم ؟ - يمكننا أن نقول: إذا كان الأستاذ السدحان قد أوضح الكثير من جوانب الإدارة السعودية الإيجابية - كالجهود الفعالة على صعيد التنمية الإدارية لبلوغ الدرجة المثلى من الحضارة ما كانت لتبلغها لو ظلت ملتزمة بأوضاعها السائدة قبل ربع قرن - فإنه في الوقت نفسه قد أوضح الجوانب الإدارية السلبية، حين وقف عند غياب الكثير من الموظفين عن المشروعات التنظيمية التي لا يعلمونها إلا ساعة التنفيذ ولهذا «فإن جزءًا من ظاهرة الإحباط التي تتعرض لها بعض محاولات التنظيم الإداري يمكن أن يُعزى إلى الشعور بالغربة إزاء ذلك التنظيم من قبل الخاضعين له، حين يقترن تعرضهم له بالمفاجأة والقسر على التطبيق. عندئذ تنشأ أنماط من الحيل الشعورية واللاشعورية لمقاومة ذلك التنظيم، إما برفضه وصده والتشكيك فيه، أو الانسحاب من الجهاز نفسه تجنبًا لحرج المواجهة معه».

ومن هنا فإن المؤلف كان على يقين بأن إشراك الموظف في مبادرة التنظيم، ضمن جهاز بأي قدر أو كيف، سيستقطب تأييده وسيلهمه الحماسة والانتماء، حتى ولو لم يتفق مع بعض حيثيات المبادرة على نحو ما.

وحين نصل إلى الموضوع أو العنوان السادس - تطوير الإدارة مطلوب ولكن - نجد أن كل ما ورد فيه من إصلاح إداري كان قد تعرض له المؤلف في كثير من رؤاه السابقة.

أما العناوين الخمسة البارزة الأخرى فهي:

«مداخلات إدارية»، وهي أطولها، و«ظواهر إدارية»، و«المرأة العاملة»، و«للجامعيين قضية»، و «سعودة الوظائف»، ولقد وجدنا الكثير من مضامين هذه العناوين، ما عدا شؤون المرأة الموظفة، في فكر المؤلف ومواقفه السابقة، ولكن بألوان أخرى زاهية وشائقة.

ففي الأول - مداخلات إدارية - ندور معه في فلك التنمية ومفهومها، والجامعة ودورها في تغذية روافد القوى العاملة والوظيفة، والجامعة الأهلية ومداخلات حولها إن كان لها ضرورة أو لم يكن، وعودة للإدارة وأدبياتها وتقنينها، والإنفاق على الموظفين وترشيده، وعودة للموظفين ومراتبهم ودرجاتهم، والمساوئ من منح التميز لبعضهم، والدفاع عن الموظف العام، والموظف التاجر، ثم «هجرة الأدمغة» ومداخلة مع أحدهم؛ والاتفاق معه في أوجه الاختلاف في الأوجه الأخرى، وإن كان الإثنان - ومن خلال مداخلة السدحان - لم يشيرا إلى دور الوطن والحاكم نفسه في تشجيع ظاهرة هجرة

الأدمغة. ولكن أفضل ما قاله المؤلف تلك العبارات: «فالاستعمار وحده بكل أشكاله وألوانه القديمة والحديثة شاهد على عدوانية كثير من تلك المجتمعات، ورغبتها في مصادرة قرارات عالمنا الثالث لصالح حضارة ومجد أجياله، بدءًا بخامات الأرض وانتهاء بكرامة الإنسان وعقله وهويته الروحية والثقافية، وتلك بديهيات التاريخ والجغرافيا التي لم تزل تستوطن ذاكرة إنسان العالم الثالث».

وفي الثاني ـ ظواهر إدارية ـ نجد أغلب تلك الظواهر سيئة معيقة كالوساطة، والرشوة، والدوام الرسمي الكامل، والبطالة، وتسيب الموظف. بينما كان الثالث عن المرأة العاملة وبيروقراطية النساء، وتعليمها، وتقاعدها المبكر. أما الرابع فعودة إلى الجامعيين الذين لهم قضية، بل قضايا، أشار لبعضها في مداخلات ومواقف سابقة. أما الأخير ـ سعودة الوظائف ـ فقد نوّه بعطاء الأشقاء، ثم وقف عند السعودة بين القطاعين العام والخاص الذي بات يوظف «فئات عاملة غير سعودية بأجور متدنية»، ليتساءل أخيرًا: هل العمالة المحلية سلعة بائرة؟! ثم ليتساءل القارئ بعد ذلك كله: هل استطاع الأستاذ السدحان أن يحقق السياسة الإعلامية الناجحة في التأثير على قارئه وتوصيله المعلومة بدون إظهار تحيّزه الملموس، وحسه الوطني المنفعل؟!





د. محمود إسماعيل صيني

- **العنوان: المعينات البصرية في تعليم اللغة.**
- **المؤلف: د. محمود إسماعيل صيني وعمر الصديق عبد الله.**
- **الناشر: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض.**

المعين في اللغة الشيء أو التشيؤ، والتشيؤ قد يكون بصريًا وقد يكون سمعيًا، وقد حصر المؤلفان أنواع المعين إلى: معينات بصرية تضم الصور والشرائح والرسوم التوضيحية البيانية والمتحركة مع العينات والنماذج والخرائط والمعارض والسبورة واللوحة المغناطيسية واللوحة الكهربائية.

ومن أنواع المعين الوسائل السمعية «تضم الراديو وبرامج الإذاعة المدرسية والأسطوانات ومختبر اللغة والتسجيلات الصوتية» ص ٤.

ومنها المعينات السمعية البصرية التي تضم مجموعة المواد التي تعتمد حاستي السمع والبصر، وبطبيعة الحال تشمل الأفلام السينمائية والتلفزيونية مع الصور والشرائح عندما تستخدم بمصاحبة التسجيلات الصوتية.

ولأن المؤلفين معنيان أساسًا بتعليم اللغة العربية للأجانب ـ من أفريقيا وأوروبا وأمريكا ـ فقد ركزا على ما يتصل بعملية التعليم في دائرة اللغة، بوصفها كائنا حيًّا يتعرفه الشُداة بالممارسة وليس بالاستظهار، فتتم المباشرة وتصبح اللغة من ثم أداة حقيقية للاتصال.

أما أساس تلك الممارسة فهو استعانة معلّم اللغة بالمعينات التي تساعد على شرح الجمل والكلمات الجديدة، دون حاجة إلى ترجمة أو حتى استعمال لغة الدارس. وقد أثبتت التجربة أن للوسائل البصرية المتوافرة في كل بيئة «استخدام غير محدودة» فنجم عن ذلك ـ وباستخدام التقنيات الحديثة ـ تحوّل الدرس اللغوي إلى عملية تشويقية ذات حيوية آسرة.

ولعل ذلك هو ما حدا بكليات التربية ومعاهد إعداد المعلمين إلى توجيه الاهتمام بالمعينات على قاعدة سهولة استخدام الوسيلة ومدى تحقيقها للهدف التربوي في إطارها التشويقي المطلوب.

وفي مقدمة الكتاب ـ وهو مقصور على المعينات البصرية ـ يحرص المؤلفان على إرساء قواعد تعليم العربية للأجانب من غير العرب بصورة جيدة واقتصادية، والسبيل إلى ذلك تلك المعينات المتاحة في بيئة المعهد نفسه.

ولما كان لابد من خطة توضيحية لهذا الهدف الجليل فقد آثرا أن يقسماه إلى ستة فصول هي على التعاقب:

الأول: في تعريف بخصائص المعينات مع بيان القواعد العامة التي تحكم استخدام أنواع تلك المعينات وإبراز معايير التقويم الخاصة بها.

الثاني: عن المعينات البصرية في تعليم مهارة الاستماع بنوعيه الموسع والمكثف، وقد تبرز هنا دور المعينات البصرية التي تسعف على التميز السمعي الإشارات والرسوم والرموز والأشكال الهندسية، مثال ذلك في الاستماع المكثف أن يعطى كل طالب خريطة ما ثم يستمع الطالب إلى أسماء الدول والأنهار والمدن وتوضع لهذه رموز (د = دولة، م = مدينة، ن = نهر، ص = صحراء) وعلى الطالب أن يضع الرموز في أماكنها عقب ما يسمع.

الثالث: في المعينات البصرية المستخدمة في أنشطة الكلام، وهي الرحلات الميدانية والألعاب اللغوية والمعينات المسطحة والأفلام، ويجب في هذا النطاق أن يركز ـ عند اختيار المعينات ـ على الصلة بين مهارتي الاستماع والكلام. والكلام عادة يبدأ بتدريب الطالب على إصدار الأصوات المختلفة، وينتهي بالوصول إلى مستوى التعبير في شتى أنواعه.

الرابع: في مهارة القراءة، وهي مرحلة متقدمة من مراحل الكلام، والقراءة والكتابة تعدان من المهارات الحديثة إذ قورنتا بمهارتي الاستماع والكلام، ويمكن الاستعانة في تنمية مهارة القراءة بالبطاقات الومضية وبطاقات الأسئلة والأجوبة وبطاقات التكملة وبطاقة المفردات وبطاقات الملاءمة وبطاقات الواقعية. ومن جانب آخر لابد من الاستعانة بمختبرات القراءة والمجلات (الهزلية بخاصة) ونحوها.

الخامس: في مهارة الكتابة، وهي مرحلة يمكن أن تزاوج مرحلة القراءة، وقد حرص المؤلفان على تحديد علاقة تلك المهارة بالمهارات الأخرى، وعلى أنها عملية ذات شقين أحدهما آلي والآخر عقلي. الأول يضمّ المهارات الحركية الخاصة برسم حروف الأبجدية والترقيم، والثاني يشمل المعرفة الجيدة بالمفردات والأساليب وقواعد النحو.

السادس: عن استخدام السبورة «الطرائق والأساليب» مع ملاحظة أنها أبرز المعينات لوجودها في كلّ البيئات التعليمية، ولسهولة استخدامها. مع الاعتراف بأنّ إمكاناتها التعليمية واسعة وليست من قبيل الصور الثابتة والمتحركة، ولا كذلك من قبيل العروض التليفزيونية. بل حسبها أن تكون بؤرة مركزية تثير دائما اهتمام الطلاب وتساعد المعلمين على التقدم السريع في مجالات تقديم التركيبات اللغوية والمفردات وإعانة المتلقين ـ حتى وإن كانوا كبارًا ـ على الفهم والتذكر وتقديم أسباب التهجية والتدريب على أنواعها والنطق، بجانب الصور ودمج المعينات البصرية الأخرى الموجودة على السبورة خلال النشاط الذي يطالب فيه الطلاب بمطالعة السبورة وفي الوقت نفسه الاستماع إلى أي تسجيل مناسب.

هذا هو الكتاب بوجه عام، وإذا كان تقديمنا له جافًا لا يثير شهية القارئ فإن قراءة التمرينات والنماذج الشارحة ـ ومنها مصورات ملوّنة في غاية الأناقة والوضوح

ـ مع متابعة أفكـار المؤلفين التربوية، تكشف عن خصوصية الكتاب وعظم قيمته.

وأكبر الظن أن إلغـاء الصعوبـات التي تنشأ بين المعلم وتلميـذه على النحـو الذي بيّنـه الكتـاب، يكفي وحده ليكون عنصر تشويق نحو التعليم والتعلّم. ولكم عانينا نحن ـ في مـراحل تلقينا لبعض اللغات الأجنبية ـ من اتساع الهوة التي تحدثها غرابة المادة المطروحة للدرس وتعثر وسيلـة تواصلهـا، ولم نستمتع قط بقراءة أي نص حتى وإن يكن مما يعـرض لموضـوع دارج أو ممـا يحدث داخل كل بيت من بيوتنا.

وكما يقول مـؤلف الكتـاب، صار الـدرس اللغوي بفضل المعينـات البصرية في تعليم اللغـة أكثر تشويقًـا وحيوية.





د. عدنـان علي رضا النحـوي

● العنوان: ملحمة الإسلام في الهند.

● المؤلف: د. عدنان علي رضا النحوي.

● النـــاشر: دار النحـــوي للنشر. ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م. ١٥٧ص.

يضم الكتاب أربع عشرة قصيدة شعرية أوحت بها زيارة الكـاتب الشاعر للهند عـام ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) مع زيارات أخرى قام بها بعد ذلك.

والقصائد كلها من قافية واحـدة هي قافية الدّال مما جعل منهـا ملحمـة بحق حيـث بلغت أبيـاتها ثـلاثمائة وستة وثـلاثين بيتًا. من هنا يمكن أن نقـول إنها قصيدة واحدة طويلة ـ ملحمـة ـ لكن الكاتب قسمها إلى أربعة عشر قسمًـا، شاعت فيها عـاطفته الإسلامية حيث دار محورها الـرئيس حول النَّقْلَة الـروحية والحضاريـة الهائلة التي أحدثها الإسلام في هذا البلد الكبير الشبيه بالقارة.

انفعل الشـاعــر حين جـال في هــذا البلــد ذي المساحات الشـاسعة، ورأى عظمة الإسلام فيـه ممثلة في تأثير تعاليمه وآثاره المعمارية، فتدفّقت ملحمته التي تهزّ المشاعر.

قسّم الكـاتب كتابـه إلى خمسة أبواب جعـل أربعة منهـا لتـاريخ الهنـد، وضم البـاب الخامس الملحمـة الشعرية.

في الباب الأول حدثنا عن جغـرافية الهند وأجناسها حيث يلتقي فيها الهاريـانيون والآريون والعـرب والمغول والترك واليونـان والدرافيديـون وغيرهم من الأجناس التي عاشت فيها خلال تاريخ طـويل يمتد إلى أكثر من ستة آلاف سنـة، الأمـر الـذي أنشـأ الكثير من اللغـات والديانـات ـ كالمسيحية واليهـودية ـ والمعتقدات الـوثنية كالبوذية والصابئة والهندوكية والسيخية وغيرها.

ابتداءً مـن الباب الثاني وحتى الـرابع، حدثنـا عن دخـول الإسلام في الهنـد، بعد أن مهّـد للعلاقـات التي كانت تربطها بالعـرب قبل ظهور الإسلام، وحدّثنا عن الإرهاصات الأولى في الاتصـال في عصر النبوّة ثم وصول وفـد من أهل سيـلان (سريلانكـا الآن) إلى أمير المؤمنين عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه، فضـلاً عن علاقـات أخـرى أيام خـلافـة عثمان بن عفان وعليّ بن أبي طـالب رضي الله عنهما، لكن الفتح الحقيقي كان في عهد الخليفة الأمـوي الـوليـد بن عبـد الملك حين جهّـز الحجّـاج بن يوسف جيشًـا بقيادة محمد بن القـاسم الثقفي الذي فتح بلاد السنـد وأقام أول حكم إسـلامي على جزء من أرض الهنـد، فكان لهذا الفتح تـأثيره حيث رأى سكان البـلاد عظمـة الإسـلام في انتصـاراتـه العسكـريـة، وعـدالتـه السيـاسيـة والإدارية، ورعـايـة الإنسـان وحماية حقـوقـه بطريقـة لم يكن لأهل الهنـد عهد بها، فساعـد ذلك على امتداد الفتوح ونَشْر الإسلام على يد الدول الإسلامية التي قـامت بعـد ذلك مثل الـدولة الغـزنـويّـة التي ضمّت ـ بجانب خـوارزم وخراسان وطبرستان وزابلستـان ـ أجزاء كبيرة من الهند ممثلة في السند وبـلاد البنجاب، ثم قامت الـدولـة الغوريـة الإسـلامية التي ورثت أملاك الـدولة الغزنويـة وامتدت فتوحاتها في الهند فكـانت مدينة دهلي (دلهي الآن) من المدن التي فتحتها وأقامت فيهـا المساجد التي تردّد فيها الأذان يدعو الناس إلى عبادة الله وحده.

قامت بعد ذلك الدولة المغولية ـ بعد أن اعتنق كثير من المغول الإسـلام ـ فشملت الهند كلهـا وظلّت تحكمها لثـلاثـة قرون ونصف إلى أن جـاء الاستعمار الإنجليـزي فنفى آخر ملـوكها المسلمين (بهادر شاه ظفـر) إلى خارج البلاد.

انتقل الكاتب بعـد ذلك إلى الكفاح ضد الاستعمار البريطـاني وحتى جـلاء الإنجليـز وتقسيم الهنـد وقيـام باكستان، ثم عرّج على قيام المعاهد العلمية الإسلامية في الهنـد وظهور علماء مسلمين يتـولّـون مسـؤولية الـدعـوة الإسـلاميـة دون يأس، فضلاً عـن نشاط رجـال الفكـر والسيـاسـة المسلمين وظهـور الصحـافـة الإسلاميـة، وبجـانـب هـؤلاء ظهـر الضعفاء الـذين بـاعـوا أنفسهم للأجنبي ومضـوا في تقليد الحضارة الغربية وأَخْـذ كل ما تقدّمه كما هو دون فحص.

ثم يأخذنـا المؤلف في جولة بين الآثار الإسـلامية في الهند حيث نـرى المساجـد والقصور والقـلاع والحصون والأحواض والمكتبات والحدائق والأبنية الأثرية تتجلّى فيها عظمة الحضارة الإسلامية.

ولعل خير ما نختتم به هذا العرض أن نورد بيتين من الملحمة قالهما الشاعر حين وقف أمام مسجد أحد حكام الهند القدماء فخاطبه بقوله:

رجِّعْ قصيــدك في الــزمـان وغــرِّدِ
واعبق بطيبك في الحيـاة وجــدِّدِ
مـــا أنت إلاّ سيِّـــدٌ من أُمَّـــةٍ
طَلَعَتْ على الـدنيـا بأعظم سيِّـدِ

ويقصد الشـاعـر «بأعظم سيِّد» النبي عليـه الصلاة والسلام.

المحلة الكبرى

قلعة صناعة النسيج في مصر

إعداد: أحمد توفيق مصطفى بصل

تعد مدينة المحلة الكبرى أقدم وأشهر منطقة لصناعة النسيج في دلتا مصر وربما العالم كله، فقد بلغ عدد مصانع النسيج الميكانيكي فيها ٣٥٠ مصنعًا، و٥٠ مصنعًا للنسيج اليدوي، وبلغت إنتاجية هذه المصانع إمكانات هائلة واشتهر إنتاجها في أسواق العالم.

المحلة الكبرى

قلعة صناعة النسيج في مصر

« المحلـة » اسم لنحـو عشرات المدن والقرى بمصر، وتعد « المحلـة الكبرى » أشهرهـا وأكبرها مساحة وأكثرهـا سكانا، وهي من المدن المصرية القديمــة ذات التـاريخ العـريق، ومن أهم مـدن الوجه البحري في دلتـا مصر.

وتقـــع مـدينــة المحلـة الكبرى ضمن إقليم الغربية ـ في وسط الدلتا ـ حيث تعد حاضرة مركز المحلـة الكبرى الممتد بين خط طـول ١٣ ١ ٣١، ١٥ ١٤ ٣١ شرقا، ودائرة عـرض ١٥ ٥٢ ٣٠ ٣٠ ٩ ٣١ شمالا وتقع إلى الشمال من مــدينـة طنطــا الشهيرة بمسجـد السيـد البـدوي، وإلى الشرق من مدينة قطـور، وإلى الشمال الغربي من مدينـة سمنود، وقد أتـاح هذا التـوسط سهولـة الاتصـــال عبر شبكـة جيــدة من طــرق النقل والمواصلات تربطها بمناطق الدلتا جميعا.

ويسكن المحلـة الكبرى نحـو ثـلاثـة أربـاع المليـون نسمـة، ومســاحتهـا ١٠٦ ألف فـدان، وتتبعها ٤٩ قرية وعشر وحدات محلية.

فمنـذ فجـر التـاريخ والمحلـة الكبرى تحتل مكـان الصـدارة بين بلـدان العالــم بشهرتهــا الصناعية، حيث تعـد قلعة الصناعة الشامخة في مصر والشرق الأوسط.

ولكي تكتمل الكتابة عن مدينة المحلة الكبرى يجب أن نتحدث بصفـة عامـة عن إقليم الغـربية الذي تتوسطـه المدينـة.

إقليـم الغربيـة

ظهر إقليـم الغربية في القرن الثامن الهجري في عهد السلطان الأشرف شعبـان أحـد سلاطين المماليك البحـريـة (٧٦٤ ــ ٧٧٨ هــ/ ١٣٦٣ ـ ١٣٧٦ م) الـذين حكمـوا مصـر عـام ١٣٦٣ م، وهذا الإقليم سرعان مـا احتل مكان الصدارة بين أقـاليـم مصر، وقد أدت بعض قراه ومدنـه أدوارا قياديـة في شتى المجالات، ذكرها التاريخ المصري قديما وحديثـا.

فأكثر مدن الغربية وقراها تنتسب إلى العصر الفـرعـوني، وذكــر في التـاريخ « إن أول ثـورة تحرريـة ضد الغـزاة الآشـوريـيـــن انطلقت من إقليم الغربية، قادها أبسماتيـك الأول من عاصمة « سايس » ـــ صـالحجـر مـركز بسيــون ـ كما شيد البطالمة معبدا كبيرا لـ « ايزيس » بسمهود ـ بهبيت الحجارة مركز سمنود ـــ مازالت بقـايـاه مـوجـودة حتى الآن ». وكـــانت « سبنيتـوس » (سمنود) عاصمة للبـلاد في عهد الأسرة الثلاثين (٣٧٨ ــ ٣٦١ ق.م)، ومازالت آثــار هذا العهـد باقيــة بها ولكنها متنــاثرة. كما تـوجد منطقـة أثريـة بأبـوصير (مركز سمنـود) تدعـى « كوم الآثارات »، يوجـد بها تابوتان كبيران، وكـذا آثار لمعبـد من عصر « إيزوريس » حيـث كانت « أبـو صير » عاصمة للإقليم التاسع. وكانت « زفس » (زفتى) مستعمرة يونانية، وسميت كذلـك نسبة إلى كبير آلهـة اليونان كما يـزعمون. و « تناسو » كان اسم مـدينة طنطـا الفرعوني، وقـــد كـانت قـريـــة صغـيرة تتبـع المـدينـة، « سبربـاى»، وكـان اسم كفر الـزيات «جـريسان » والسنطـة «سدمنت » . وهـذا قليل من كثير ذكر على سبيل المثـال لا الحصــر .

ومن بين مـــدن هذا الإقليــم بـرزت مدينـة المحلـة الكبرى، وهي من المدن العريقـــة الأثر في التاريخ، فقد وجدت بها آثار الفراعنـة، ثلاث قطع أثريــة فرعونيـة من الجرانيت الأحمر إحداها من تـابـوت كتب عليــه اسم « أبسماتيك الثـاني »، والثانيـة مكتوب عليها اسم « أمازيس »، وثـالثة من عهد « نختنــو الأول » .

أصـل التسميــة

ذكرها المؤرخ « اميلينـو » فقـال : « تقع على تل كبير وكان اسمها (ديدوسيـا) نسبة إلى نبات يشبــه التيل من أليـافـه نسج قـدمـاء المصريين ملابسهـم ». ولا يزال التل المرتفع الذي كانت تقع عليه المدينـة باقيا حتى الآن رغم تطـور العمران وتقدمه.

وقبل العهـــد الإســلامي أطلق عليهـــا اسم (دقــلا)، ولما فتحهـا العرب المسلمـون سموهــا (محلة دقـلا)، وفي عهود أخـرى سميت (روضة البحرين)، (محلة الكبراء) .

ولقد ذكرها المؤرخ والجغرافي شهاب الدين



برج الساعة في شركة الغزل والنسيج

الحمـوي في مـوسـوعتـه « معجم البلـدان » أنها تسمى (محلة شرقيـون) و(المحلة الكبرى)، وهي ذات جنبين أحـدهما سندفـا والآخـر شرقيـون. وذكـرهـا العـلامة المقـدسي في كتـابـه « أحسن التقاسيـم» باسم (المحلة الكبرى) تمييـزا لها من (المحلات) المحيطـة بها مثل محلة حسـن، محلة أبوعلي، محلة زياد، محلة البرج، ولأنها أكبر البلاد المسماة باسم المحلـة بمصـر .

وأطلق عليهـا القائد الإسـلامي سعد الـدين الأنصـاري اسم (المحلـة) اشتقــاقـا من الفعل (حـــل) بمعنى أقـام في المكـــان. وكـانت تسمى (محلة الكبراء)، وتـرجع هذه التسميـة إلى القرن الثامن الهجري حيث كـانت المحلة في مكان سوق اللبـن تقريبا، وكان يواجهها عن بعد مدينة أخرى تدعى صـدفا (صندفـــا)، وكانت تفصل بينهما ترعـة ـ مكان شـارع سعد زغلول الآن ـــ وكانت البلدتـان تلتقيان عنـد قنطرة المدبـح (في مكانها الحالي بشارع سعد زغلول) وقـد أطلق عليها هذا الاسم لقيام سـوق لذبح الأغنـام والماشية وبيع لحومها يومي الجمعة والثـلاثاء من كل أسبوع، ولـمــا زاد العمران بالبلدين وتداخل أطرافهما في الاتجاهين اتفق كبراؤهما على ضمهما، فضُمَّــــا وأطلق عليهما اسم (محلـــة الكبراء)، وكـان ذلك إبان حكم السلطان الصالح عماد الدين، ولم يكن إقليم الغربية قد ظهـر بعد. وما زال إلى الآن يطلق اسم المحلـــة على المناطق القـديمة الواقعـة خلف

شارع سعد زغلول، واسم صندفا على الجانب الآخر.

المحلة من كتب الأولين

ومرت السنوات وشهرة المحلة تزداد ورقعتها تتسع، ويذكرها الكتاب والمؤرخون في كتبهم.

فقد زارها ابن بطوطة وذكر عنها في كتابه «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار» : «هي جليلة المقدار حسنة الآثار، كثير أهلها، جامع بالمحاسن شملها». وفي معجم البلدان : «هي قصبة كورة الغربية ـــ عاصمتها ـ وأكبر مدنها ولا يزيد عليها في الكبر من مدن الوجه البحري إلا الإسكندرية، وموقعها على ترعة ويسكنها نحو

○ تضم مساجد أثرية بعدد أيام السنة

خمسين ألف نسمة، ومساحة ما تشغله مساكنها نحو مائتين وثمانين فدانا». ووصفها الإدريسي فقال : «المحلة مدينة ذات أسواق عامرة وتجارات شاملة». ووصفها ابن دقماق وصفا شاملا جاء فيه : «وتعرف بمدينة المحلة وهي قصبة إقليم الغربية من الديار المصرية، وولايتها تعرف قديما بالوزارة الصغيرة ... وفي بلاد مصر نحو مائة قرية تعرف كل منها بالمحلة، تتميز بلقب تعرف به أو بنسبة تعرف بها، والمحلة هذه مدينة كبيرة ذات أسواق وبها جامع ومدارس وقياسر وبزازين وفنادق ومنارة ويشقها نهر من النيل». وذكرها ياقوت فقال : «المحلة عدة مواضع بمصر منها محلة دقلا، وهي أكبرها وأشهرها وتقع بين القاهرة ودمياط».

ويصف علي مبارك في خططه المحلة الكبرى في القرن التاسع عشر فيقول : «وبها نحو خمس وعشرين ساقية بعضها بأرض المزارع وبعضها داخل السكن لبعد مائها عن سطح الأرض وقت التحاريق، وفيها أرباب حرف كثيرون من جميع الصنائع وخاصة صناعة الحرير ونسجه، ففيها أنوال كثيرة لنسج الحرير وثياب الكريشة الحريرية والملاءات وفيها تجار مشهورون يتجرون في جميع بضائع القطر ومزارعون، وزمام أطيانها نحو أربعة آلاف فدان، وإن هذه المدينة على غاية من حسن الموقع وطيب الهواء، تورث الطباع سلامة والأذهان جودة، فإن للبقاع تأثيرا في الطباع، فلذا كانت منبعًا لكثير من الأفاضل ومنشأ للعلماء الجهابذة الأماثل، وإن لم ينسب إليها إلا الجلال المحلي لكفاها فخرا، الذي ولد سنة ٧٠١ هـ واشتغل وبرع في الفنون فقها وكلاما وأصولا ونحوا ومنطقا وغيرها».

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الساعاتي شعرا يتشوق إلى المحلة :

سقى الله أطلال المحلة ما صبا
إلى ربعها المأنوس قلب مشوق

فظلّت دموعا أو عيونا بتربها
سيوف لحاظ أو سيوف بروق

إذا ما الصّبا هبت على الروض قبّلت
خدود أقاح أو خدود شقيق

وإن خطرت في يانع الدوح عانقت
قدود غصون وشحت بعقيق

وإن جنحت شمس الأصيل حسبتها
غرائس نخل ضُمّخت بخلوق

صحبت بها الأيام من خمرة الصبى
وتيه الفتى نشوان غير مفيق

وما خانني إلا الشباب فإنني
وثقت بعهد منه غير وثيق

مواقف مشهورة

وكما اشتهرت مدينة المحلة الكبرى بصناعة النسيج، اشتهرت أيضا بمواقفها الوطنية المشهورة، فما من حركة إصلاحية أو وطنية قامت إلا وكان لأبنائها فيها دور كبير.

ففي عهد الحملة الفرنسية يقول الجبرتي : «ثم نزل الفرنسيون على البلاد ١٢١٤ هـ ١٧٩٧م، ومرت طائفة منهم على المحلة الكبرى، فتعصب أهلها واجتمعوا عند القاضي، وخرجوا لحربهم فكمنوا لهم ودارت معركة بينهم على التل [الذي كانت تقع عليه مدينة « ديدوسيا » الفرعونية والمعروفة الآن باسم تل الواقعة نسبة إلى هذا الحادث، وما زال آهلا بالسكان من فوقه ومن حوله] وانتهت المعركة بسقوط ما يزيد على ٦٠٠ فرد من أهالي المحلة وقتل القاضي، واستولى الفرنسيون على المدينة فنقلوا عاصمة الغربية منها إلى سمنود تنكيلا بأهلها أو لسهولة المواصلات البحرية عليها».

كما كانت لهم مواقف مشهودة في ثورة ١٩١٩ م في معاركهم ضد الإنجليز، فيذكر الرافعي منها مظاهرة ١٥ مارس سنة ١٩١٩م ٦ أبريل ١٩١٩م التي قامت إثر اعتداءات الإنجليز على فتاة بكفر دمرو، ومعركة كوبري الإنجليز الذي كان يعبر الترعة التي كانت تحتل مكان شارع ٢٣ يوليو الآن، وقد سقط الكثير من الإنجليز بعصي أبناء المحلة وفؤوسهم.

وليس هذا فحسب ما يذكر عن وطنية أبناء المحلة الكبرى، ففي التاريخ صفحات وصفحات تشهد ببطولتهم ونضالهم حين تركوا بصمات



مئذنة مسجد المتولي الأثرية

المحلة الكبرى
قلعة صناعة النسيج في مصر

جهادهم على أرض فلسطين والقناة وفي حرب الحرية واسترداد الكرامة، حرب ٦ أكتوبر المجيدة، دماء زكية طاهرة.

أهم المعالم الأثرية والتاريخية

تكثر بالمحلة الكبرى المساجد الأثرية والتي يبلغ عددها ٣٦٦ مسجدا ـ أي بعدد أيام السنة ـ هذا إلى جانب بعض الآثار الهامة مثل الوكالات، الخانات، القيساريات.

ومن أقدم المساجد الأثرية **مسجد العمري**، إذ إنه يرجع إلى العصر الفاطمي ولعل في تسميته بالعمري ما يدل على ذلك، فقد جرت العادة في مصر على تسمية أقدم مساجد كل مدينة أو قرية باسم المسجد العمري على اعتبار أن أول مسجد أقيم في مصر الإسلامية هو جامع عمرو بن العاص، وقد أعيد بناء هذا المسجد عدة مرات فتغيرت معالمه الأصلية، والمسجد الحالي بحالة سيئة، ولم يبق من المسجد الأصلي سوى لوحته التأسيسية، وهي مثبتة الآن بجوار المحراب، واللوحة من الرخام مقاسها ٥٠ × ١٠٠ سم، ونقش عليها بالخط الكوفي المزهر الذي كان سائدا في العصر الفاطمي تاريخ الإنشاء واسم المنشئ، والنص كما يأتي: « بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. إلى ـ المهتدين ـ مما أمر بعمله السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كامل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين، عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وأنفذ في البسيطة أوامره وأحكامه على يد عبده ومملوكه القاضي أبي الفتح المسلم بن علي بن الحسن الرصعني متولي الحكم الشريف بمدينة المحلة من أعمال الغربية في المحرم سنة ثمان وخمسمائة »، وهكذا نرى أن المسجد العمري قد بني في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي سنة ٥٠٨ هـ.



منظر عام لوسط المدينة

○ منذ القِدَم كانت المحلة الكبرى مركزًا لصناعة الملابس

○ فتحها العرب وحلّوا بها فسمّوها "محلّة دقلا"

وهناك لوحة رخامية أخرى مثبتة فوق اللوحة الأولى مقاسها (٦٠ × ٦٠ سم) نقش عليها كذلك بالخط الكوفي المزهر آيات من القرآن الكريم وبعض الأسماء وألقاب الأئمة الشيعة الإسماعيلية مذهب الدولة الفاطمية، وقد محيت هذه الأسماء والألقاب في العصر الأيوبي الذي اتبع المذهب السني.

جامع المتولي

وقد أنشأ هذا الجامع ـ وكذا مدرسة مجاورة له ـ الشيخ أحمد بن علي بن يوسف الشهاب أبو العباس المحلي، ويعرف بالطريني الكبير، وقد جاء في الخطط التوفيقية أن الشيخ الطريني من رجال القرن السادسُ الهجري، على أن السخاوي ينقض هذا الرأي ويقول إن الطريني توفي سنة ٨٣١ هـ، ولكني أرجح الرأي الذي جاء في الخطط التوفيقية وذلك اعتمادا على الأسلوب المعماري للمسجد، إذ إنه يماثل العمائر الأيوبية في القرن السادس الهجري.

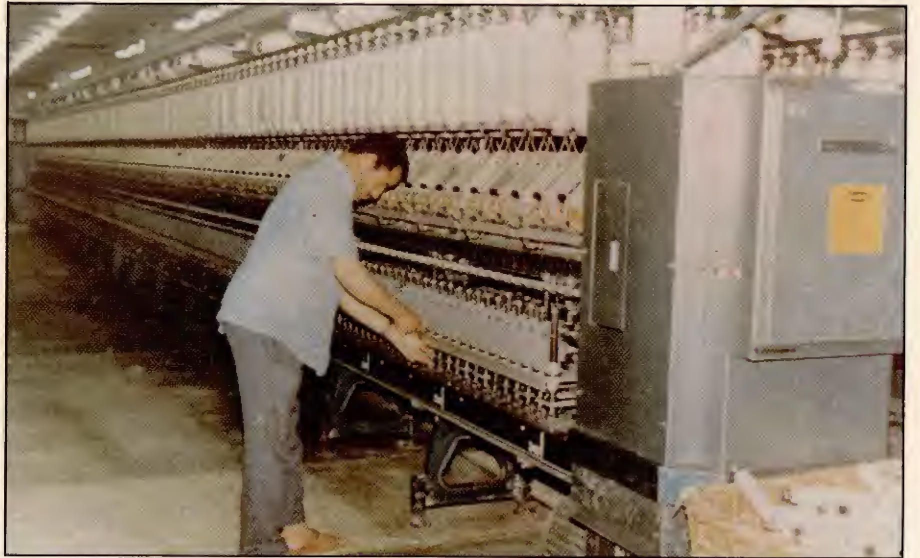
ولعل الذي يعنيه علي مبارك في خططه هو يوسف الشهاب أبو العباس الطريني أي الجد الأكبر الذي عاش في القرن السادس الهجري، أما حفيده أحمد فهو من رجال القرن التاسع الهجري كما جاء في الضوء اللامع، وجاء في الخطط التوفيقية أن مسجد المتولي أعيد بناء معظم أجزائه ورمم في القرن التاسع عشر وكان ذلك بمعرفة شرفي بيك والشيخ محمد الجمل ناظر مدرسته.

وتبلغ مساحة المسجد نحو فدانين، فهو بذلك أكبر مساجد المحلة بل مساجد المحافظة كلها، ويتكون من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات، إلا أن عددها يختلف في كل ضلع من الأضلاع وذلك نتيجة للإصلاحات والترميمات التي أجريت له، وإجمالا يحتوي مسجد الطريني على حقل من الأعمدة يبلغ عددها (١٤٩) عمودا تيجانها مختلفة الأشكال والطرز، مما يدل على أنها أخذت من عمائر أخرى قديمة بالمنطقة.

وفي المسجد منبر خشبي طعمت بعض حشواته المجمعة بالعاج والصدف، كما نقش على بابه اسم منشئه وتاريخ الإنشاء وبيتان من



نسج الأقمشة الحريرية بالنول اليدوي



التقنية الحديثة في مصانع غزل القطن

الشعــــر، وفيما يلي النص : « أنشأ هـــذا المنبر الشريف، الفقير إلى اللــه تعالى إبـراهيم مراوح في شهر جمادى الآخـرة سنة ١١٢٧ هـ.

رعى اللــه من أنشأ من الناس منبرا
بـه الخيـر الجليـل إمـامــا

إن الله ومـلائكته يصلـون على النبي يا أيها الذين آمنـوا صلوا عليه ».

وتـوجد بـالمسجـد عشر نـوافذ قنـديلـية في الضلعين الجنوبي الشرقـي حيث يوجـد المحراب والضلع الشرقي، كما تـوجـد للمسجـد خمسـة أبـواب، الرئيس منهـا في الضلــع الشرقي، وتقع مئذنتــه في الركن الشمالي الشرقــي منه، وتتكون من قاعدة مربعة تعلوها طبقـة مثمنـة الشكل ثم مثمن ثـان تعلـوه خـوذة مخوصة، وتعـد هـذه المئذنـــة من أجمل المآذن التـي تـرجع إلى العصر المملوكي .

مسجـد أبي الفضل الوزيـري

من أهم وأشهر مساجد المحلة الأثرية، أنشأه الشيخ أبو الفضل الـوزيري بسويقـةالنصارى، وكـان ذلك في القرن الثـامن الهجري. وقـد تغير كثير من معـالمه عندما رمـم في العصـر العثماني سنة ١٢٧٨هـ على يدي محمود الشعار، على أن وزارة الأوقاف قد أزالت المسجد القديم في النصف الثاني من القرن العشرين عندما وجدت مبانيه قد تصدعت ولـم تعد تحتمل الترميم، وأقامت مكانه مسجدا جديدا يعد تحفـة فنية حوت كل مميزات عمارة المساجـد في مصر في القرن العشريـن، وقد زادت مساحة المسجد الجديـد كثيرا على مساحة المسجـد القـديم، حيث تنازل أصحـاب المنـازل المجاورة عنهـا لكي تضاف إلى مساحـة المسجد، كما تـركوا أمـامـه مسـاحة كبيرة تفصلـــه عن المباني المجاورة .

ويتكـون المسجـد الحالي من تخطيط مـربع تقريبا، به ست بوائـك من الأعمدة قسمت المسجد إلى سبعة أروقة موازية لحائط القبلـة، وفي وسط المسجـد تـوجـد قبـة تقـوم على أربعـة دعـائم، وللمسجد مـدخلان رئيسـان أحـدهما في الجهة الشرقية والآخـــر في الجهة الغـربية، أمـا مئذنـة المسجـد فيبلغ ارتفاعهـا نحو ٧٤ مترا، تحوطهـا أربع قبـاب، وتوجـد في الركن الجنـوبي الشرقي مكتبة كبيرة.

الحمامـات

وهي من العمائر الأثـريـة الكثيرة الانتشـار بالمحلة، إذ يبلغ عدد الباقي منها خمسة حمامات، ويشتمل الحمام عـادة على مدخل مـربع الشكل تقريبا، تتوسطـه فسقيـة مغطاة بسقف محمول على أربعة أعمدة من الرخام، كما تحيط بها منطقة من الفسيفساء الرخامية، وتحيط بالفسقية أربعة أيونـــات مفـروش أرضيتهـا بـالـرخـام الملـون وبجوانبها مصاطب معدة لاستراحة المستحمين، ومن الأجزاء الهامة في الحمام خلوة المغطس .وأهم الحمامات الباقيـة في المحلة حمام جاويش، حمام عليش، حمام المتولي، وأكبرها وأهمها حمام حسن إبراهيم عـزب، حمام البصـل .

وكالة السلطان الغـوري

وهي من العمائر المدنية الهامـة، أنشئت عام ١٥١٠ م، وأوقف عليها كثير من الأراضي الزراعية الموجودة بمحافظة الغربيـة .

مسجـد عـاصـي

ومن آثـار العصر العثماني الهامـة في المحلة، مسجد الحاج عبد الله عـاصي الذي أنشـئ سنة ١١٣٥ هـ، وقـد زالت الآن معظم معالمه ولم يبق غير مئذنتـه .

طرائف في تاريخ المحلـة

يذكر التاريخ أنه في عهد المماليك كان يوجد

نفق كبير أو سرداب تحت منارة مسجد التوبة بحي « سوق اللبن » بمدينة المحلة، بطول ٨٠ كم وعرض ٤ أمتار، ويصل حتى قرية أبي صير، فكان اللصوص يشنون الهجمات على المدينة من ذلك النفق ويسلبون مالها وأسواقها، ويصبح الأهالي فيجدون أموالهم وبضائعهم قد سلبت دون أن يعرفوا شيئا عن اللصوص، ولا كيف تتم عملية السلب.

ولقد اشتكى الأهالي لوالي المدينة الذي قام بمراقبة من يشتبه فيهم، ولمّا اكتشف السارقين عاقبهم، فقتل منهم من قتل وجلد منهم من جلد وحبس الباقين ورد المسروقات إلى أصحابها، وقام بسد السرداب وردمه.

قلعة الصناعة

والمدينة إحدى قلاع الصناعة والإنتاج في جمهورية مصر العربية، وتسد جزءا كبيرا من حاجة الاستهلاك المحلي المصري، وتصدر بعض منتجاتها إلى بلاد الشرق الأقصى وأوروبا وأفريقيا. وشهرتها في هذا المجال من قديم الزمان خاصة في صناعة النسيج.

كما تزدهر بها صناعة الكليم والسجاد، حيث توجد بها مئات الأنوال اليدوية، وبها أيضا مصانع ميكانيكية لهذه الصناعة لمجاراة العصر وتلبية حاجة التصدير.

وأهل مدينة المحلة الكبرى يحبون العمل ويحرصون على الإنتاج، ويعدون نماذج مشرفة للأسر المنتجة، حيث يغزو إنتاجهم أسواق مصر والخارج.

ويؤيد ذلك ما قاله الرافعي في كتاب « الحركة القومية » حيث قال على لسان الجنرال «جاتواه» أحد مهندسي الحملة الفرنسية في رسالة منه إلى نابليون بالجزء الخامس (وثيقة ٢٤٨٨) : « إن معظم الحرير الذي تلبسه النساء في مصر ينسج في المحلة الكبرى، ويصنع بها المناديل التي تغطي بها النساء رؤوسهن والقمصان والبشاكير».

كما ذكرها علي مبارك في موسوعته التاريخية « الخطط التوفيقية » : « بها دوائر لضرب الأرز وثلاث ورش لإصلاح الوابورات إحداها لوالدة الخديوي إسماعيل والثانية بجوار قنطرة نيروز (المذبح الآن) والثالثة في محل ديوان المديرية، وهما للخواجة فرنسيس الإنجليزي، وبها سبع وابورات للحليج يملكها الأجانب، وكان سلاطين مصر وأمراؤها على مدى العصور المتعاقبة يستوردون منها أقمشة ستائرهم ومفروشاتهم وحرائرهم وملابسهم وهداياهم التي كانوا يرسلونها لعظماء الدول الأخرى وخاصة السلطنة العثمانية».

غزل ونسج

ومع تطور الحياة ونهضتها وازدهار الحضارة، تزداد شهرة المحلة الكبرى في صناعة الغزل والنسيج، ويكتسب أهلها شهرة فائقة في هذا الميدان، خاصة بعد إنشاء العديد من شركات الغزل والنسيج، ومن أهمها شركة مصر للغزل والنسيج - وهي من شركات القطاع العام في مصر - التي أسسها الاقتصادي المصري محمد طلعت حرب في ٢٦ أغسطس عام ١٩٢٧ م لتكون مطلع فجر التصنيع بالبلاد، ولتدعيم الاقتصاد الوطني، وأصبحت بمثابة المعهد الذي تخرج فيه رجال هذه الصناعة المنتشرون الآن في أنحاء البلاد، وكانت سببا في دخول البلاد العربية في فترة وجيزة نطاق الاكتفاء الذاتي. وقد أقامت الشركة مصانعها على مساحة ٣٢ فدانا، أخذت في التوسع لتصل إلى ٦٠٠ فدان، تشغل الأقسام الإنتاجية ٣٤٠ فدانا، والباقي للمنشآت الاجتماعية والثقافية.

كما يؤدي القطاع الخاص دورا مهما في صناعة الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى، فقد استطاع هذا القطاع مع شركات القطاع العام أن يسد احتياجات مصر من الغزل والنسيج خلال الحرب العالمية الثانية، في وقت تعذر فيه الاستيراد. ومع قيام ثورة ٢٣ يوليو زادت أهمية هذا القطاع، فكان قاعدة كبرى وأساسا راسخا في بناء القطاع العام.

ومع عصر الانفتاح الاقتصادي في السبعينيات، ضاعفت المصانع القائمة إنتاجها وأنشئت مصانع حديثة زودت بأحدث ما وصل إليه العصر من التكنولوجيا في مجال النسيج والصباغة وصناعة الأقمشة والوبريات، مما أصبح له دور كبير في سد احتياجات مصر والإسهام في التصدير.

وقد بلغ عدد مصانع النسيج الميكانيكي بمدينة المحلة الكبرى ٣٥٠ مصنعا و ٥٠ مصنعا للنسيج اليدوي.

ويبلغ عدد العاملين في صناعة الغزل والنسيج في المحلة الكبرى - بقطاعيها العام والخاص - حوالى ثمانين ألف عامل، وبذلك تعتبر المحلة الكبرى من أكبر التجمعات العمالية في العالم في هذا المجال الصناعي، ويتولى هؤلاء عمل المنتجات القطنية والصوفية والملابس الجاهزة والأقمشة والقطن الطبي ومشتقاته. ويفي ذلك باحتياجات السوق المحلي كما يتم التصدير إلى الأسواق الخارجية العربية والعالمية.

خدمات اجتماعية

وإلى جانب الخدمات الاجتماعية والثقافية التي تتيحها كبريات شركات التصنيع في المحلة الكبرى للعاملين فيها وأسرهم، من منشآت صحية ورياضية وحضانات لرعاية الأطفال وخدمات ترفيهية ومكتبات، فقد امتدت تلك الخدمات لتشمل المدينة وذلك بإقامة المنشآت التي يحتاجها السكان كالمدارس والمستشفيات والمرافق العامة، وتتولى إدارتها والإشراف عليها - بعد إنجازها - الوزارات المختصة.

مراجع

١ - معجم البلدان / ياقوت الحموي / المجلد السابع / طبعة مصر / ١٩٠٦ م.

٢ - الخطط التوفيقية / علي مبارك / جـ ١٥ / طبعة مصر / ١٣٠٥هـ.

٣ - مساجد مصر وأولياؤها الصالحون / د. سعاد ماهر / جـ ١، جـ ٢.

٤ - المحلة الكبرى تاريخ وشخصيات / محمد رجب / ١٩٨٧ م.

٥ - المحلة رائدة الإنتاج / الهيئة العامة للاستعلامات بوزارة الإعلام.

مِن كُتّاب العدد

● أحمد توفيق مصطفى بصل



من مواليد ٢٤/ ١٠/ ١٩٦٣م المحلة الكبرى / مصر.

- بكالوريوس الفنون الجميلة (قسم العمارة) جامعة الإسكندرية.

- مهندس معماري.

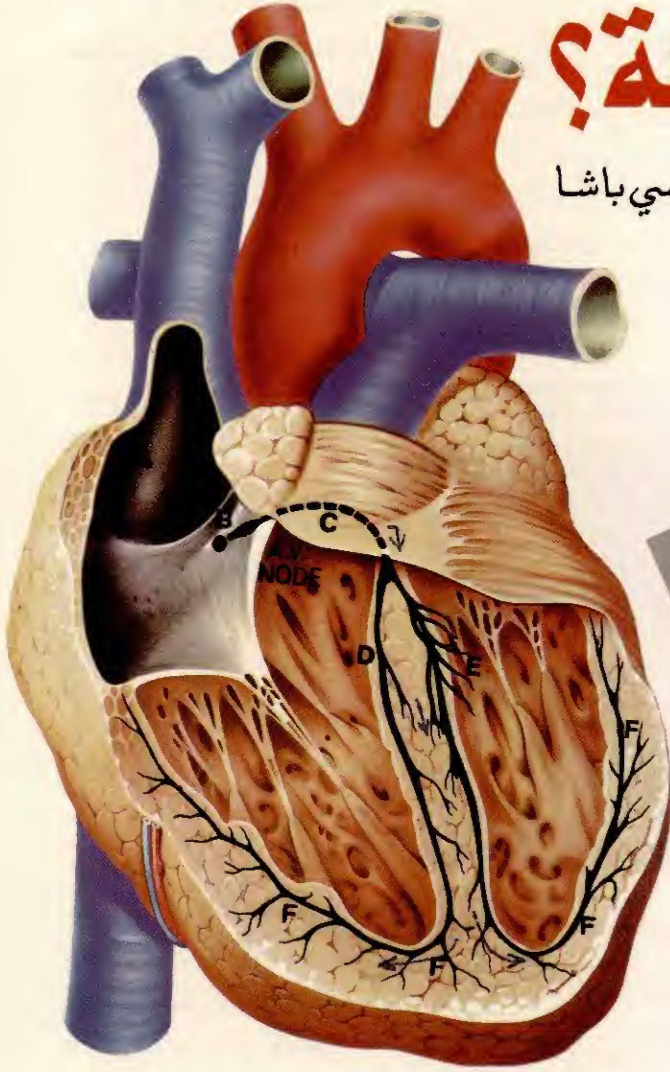
- شارك في عدد من المؤتمرات المعمارية الدولية والندوات.

- عضو في كل من الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، والجمعية المصرية للتصوير الفوتوغرافي، وجمعية المهندسين المصرية، وجمعية المهندسين المعماريين.

الوقاية من الذبحة القلبية

هـــل هي ممكنة؟

بقلم: د. حسان شمسي باشا



ليست هناك جرثومة، أو فيروس يسبب «الذبحة القلبية» أو «جلطة القلب». وليس هناك في الحقيقة سبب واحد مباشر لأمراض شرايين القلب التاجية. إن سببها - باختصار - نوع الحياة التي نحياها.

فليس طبيعيا أبدا أن نشاهد شابا في الثلاثينيات، أو الأربعينيات من عمره، يقع ضحية «جلطة القلب» (Myocardial infarction).

يقول الدكتور «بلاكسلي»: لقد زادت أمراض القلب في أمريكا زيادة محزنة، بازدياد تمتعنا بأطايب الحياة والثراء. ولا يمكن أن نهرب من الفكرة المفزعة، وهي أن هذا الوباء يرجع أساسا إلى بعض نواحي حياتنا الحديثة.

ويصف بعض الثقات مرض شرايين القلب بأنه مرض الثراء، ويرجعونه إلى سوء استعمالنا لهذا الثراء. فلقد تغيرت عاداتنا وأساليب حياتنا تغيرا واضحا خلال الخمسين سنة الأخيرة. وكنا نرحِّب بهذا التغيير ترحيبا قلبيا. ولكن الكثير من هذه العادات والأساليب، قد صاحبها ارتفاع نسبة الوفيات بجلطة القلب قبل الأوان.

ويقول الدكتور «بول دودكي وايت» - وهو مؤسس مدرسة أمراض القلب الحديثة في أمريكا: «حين تخرجت في كلية الطب عام ١٩١١ كان غذاؤنا أقل ثراء في ذلك الحين. وكان من حسن حظنا أن نضطر لاستعمال أقدامنا أكثر مما نفعل هذه الأيام، وإن كنا أيامها لم نعتبر ذلك من حسن الحظ».

وفي ذلك الحين لم تكن الذبحة القلبية Angina Pectoris شيئا مألوفا، وإن كان معروفا. أما جلطة القلب، فلم تكن قد «اكتشفت» بعد. وإن كانت السبب - ولا شك - في كثير من النوبات التي كانت توصف بأنها عسر هضم حاد وتنتهي أحيانا بالوفاة، وأحيانا بالنجاة.

وحين بدأت «جلطة القلب» تعرف بوضوح في أوائل العشرينيات من هذا القرن، كان عدد الحالات صغيرا. وتتفق خبرتي وخبرة الكثيرين في أن الإصابة بهذا المرض، وهو من مضاعفات تصلب الشرايين، قد سار يدًا بيد مع ذلك التغير العظيم في أسلوب حياتنا في الحقبة الماضية. ذاك التغير الذي فاق - ولا شك - ما حدث في أي فترة من فترات التاريخ».

وللأسف الشديد فقد ازداد حدوث أمراض شرايين القلب التاجية في بلادنا العربية ازديادًا مروّعا. فالتدخين.. والإفراط في الأكل.. والكسل.. وعدم الحركة.. والتعرض للضغوط النفسية الشديدة، تهيئ المناخ لأمراض شرايين القلب. ولا يقولنّ أحد: إنني في مأمن من ذلك الخطر، فقد أظهرت الدراسات المعملية التي أجريت على أناس أمريكيين توفوا في العشرينيات من عمرهم خلال حرب فيتنام أن شرايين قلوبهم لم تكن

الوقاية من الذبحة القلبية

ملساء تماما، بل كانت مصابة بتصلب الشرايين Atherosclerosis ومن المؤكد حاليا أن تصلب الشرايين يبدأ في سن مبكرة جدا من العمر.

شبكة معقدة

وقبل أن نتكلم عن أمراض القلب تعالوا ندرك العمل الذي يقوم به ذاك العضو الصغير. فرغم أن حجم القلب لا يتجاوز حجم قبضة اليد، إلا أنه ينقبض وينبسط أكثر من مئة ألف مرة في اليوم. . يدفع خلالها سبعة آلاف ليتر من الدم عبر شبكة معقدة من الأوعية الدموية يصل طولها إلى مئة وثلاثين ألف كيلو متر، تنتشر عبر جسم الإنسان.

ويستطيع القلب — كما يذكر كتاب «Fighting Heart Disease» — أن يملأ بالدم، قاطرة طولها عشرة كيلومترات خلال ستين سنة. كما ينتج القلبُ طاقةً تستطيع أن تجرّ شاحنة حول العالم في أربع سنين. فسبحان الخالق العظيم ﴿سَنُرِيهِم آياتِنَا فِي الآفاقِ وفي أنفُسِهِم حتى يتبيَّن لَهُم أنَّه الحَقُّ﴾ (سورة فصّلت/ ٥٣).

لكن. . كيف تحدث «الذبحة القلبية» و«جلطة القلب» ؟

القلب مضخة عضلية، وهو كباقي العضلات يحتاج للأكسجين كوقود. وهو يضخ الدم لتغذية نفسه من خلال الشرايين التاجية (الإكليلية). كما يضخ الدم إلى بقية أعضاء الجسم لتزويد الأنسجة والأعضاء بالاكسجين والغذاء. وعندما يبدأ الشخص القيام بمجهود ما، يزداد استهلاك الأكسجين، تماما مثلما تزداد حاجة السيارة إلى الوقود عندما تتحرك بسرعة أكبر.

ولتأمين حاجة الجسم المتزايدة، يقوم القلب بزيادة سرعة ضرباته، وزيادة قوتها، وهذا ما يزيد حاجة القلب نفسه للأكسجين.

ولا تسبب هذه الأمور أية إشكالات عند الناس الطبيعيين، إذ تزداد تروية عضلة القلب بالدم عبر الشرايين التاجية لتأمين حاجته المتزايدة إلى الأكسجين.

وهذا ما نسميه «الذبحة القلبية» Angina Pectoris. أما إذا استمر نقص الأكسجين لأكثر من بضع دقائق (نتيجة انسداد تام في الشريان التاجي) فقد يتموت جزء من العضلة القلبية. وهذا ما يسمى بـ«جلطة القلب» أو «احتشاء العضلة القلبية» "Myocardial infarction".

فإذا كان هذا الجزء صغيرا، فإنه يتطور إلى نسيج «ندْبي» "Scar"، ويعود المريض تدريجيا لحياته العادية.



«لاتوجد جرثومة تسبب جلطة القلب، والسبب الرئيسي نوع الحياة التي نعيشها»

ولكن هذه الشرايين - عند المرضى المصابين بمرض شرايين القلب التاجية، تكون مسدودة جزئياً. وحين يقوم المريض بجهد ما، لا تستطيع تلك الشرايين تأمين الكمية اللازمة من الدم لعضلة القلب لتجاري ازدياد حاجتها إلى الأكسجين، فتشكو عضلة القلب حينئذ من نقص الدم والأكسجين الواردين إليها، مما يسبب ألما في الصدر، يزول عند التوقف عن الجهد.

أما إذا كانت مساحة الجزء المتموت واسعة، أو كان مكان الإصابة هاما وحساساً، فمن الممكن أن يتوفى المريض أو تحدث اختلاطات خطيرة.

عوامل خطر

تقسم عوامل الخطر التي تهيّئ لحدوث هذا المرض عادة إلى مجموعتين:

أ - عوامل لا يمكن التحكم بها، كالوراثة والجنس والعمر.

ب - عوامل يمكن التحكم فيها والسيطرة عليها: كالتدخين، وارتفاع ضغط الدم وارتفاع كولسترول الدم. . ومرض السكر. . وعدم القيام بالرياضة البدنية. . والسمنة وغيرها.

هل فات الأوان ؟

إن الأمل عظيم في أن يتمكن كل إنسان من التحكم في طريقة الحياة التي يحياها مع عوامل الخطر. فلو تحكّمت في واحد من هذه الأخطار، خطوت خطوة لزيادة فرصتك في حياة أسلم. . وإذا تحكّمت فيها جميعا يمكنك أن تقوم بهجوم مضاد - كما يقول د. ستاملر - لأولئك القتلة الصامتين لقلب الإنسان.

وتستطيع في مدى بضعة أشهر أن تقلل من الأخطار التي تحيق بك. فالغذاء أو الغذاء مع العقاقير تستطيع أن تتحكم في ضغط الدم، وفي مرض السكر، وتقلل من خطرهما.

والمدخن الذي يقلع عن التدخين، ينخفض احتمال إصابته بجلطة في القلب إلى مستوى غير المدخن خلال بضع سنين.

أما كمية الكولسترول في الدم فيمكن خفضها بتعديل يسير في نظام الطعام. وقد تضطر لتناول الدواء إن كان مستوى الكولسترول عاليا جدا.

وتستطيع أن تبدأ الآن هجومك المضاد على كل عضو من أعضاء العصابة. وكلنا أمل في أن نستطيع بذلك إنقاذ مئات الآلاف من الأرواح.

ويقول الدكتور «بلاكسلي»: «والذين توفوا بجلطة في القلب في سن مبكرة عاشوا الحياة التي تؤدي إلى نوبة

قلبية قبل الأوان. وقد تعرض كل منهم بحكم العادة أو باختياره لأخطار مهنية زادت من احتمال إصابته. ومع ذلك فلو علم أحدهم، وعمل بما علم، لاستطاع كل منهم أن يقلل عنصرا من عناصر الخطر، التي تجعل المرء أكثر تعرضا للإصابة بجلطة قلبية في سن مبكرة من حياته.

كان بإمكانه أن يفعل.. وأنت مازلت تستطيع».

خير من العلاج

إن ما يثير الأسف أن معظم التدخلات الطبية تتم بعد حدوث المرض، وأن معظم التقنيات الحديثة تتوجه نحو علاج المرض بعد حدوثه، أكثر من اهتمامها بالوقاية المسبقة.

وينهي الدكتور بوركيت — وهو جراح بريطاني شهير، له اهتمام خاص بغذاء القرن العشرين — ينهي محاضراته بعرض صورة لطاقم من الأطباء يستخدمون عددا من أجهزة التقنية الحديثة، لتجفيف الأرض العائمة بالماء، عوضا عن إغلاق الصنبور وقطع الماء الذي لا تستطيع المجاري تصريفه بسبب غزارة الصنبور.

ويقول الدكتور أورينش — من جامعة هارفارد الأمريكية في كتابه «قلبك بين الحمية والشدة»: «ولسوء الحظ فإن طلاب الطب والأطباء المقيمين لا يشعرون بأهمية الوقاية من المرض في دور حضانته، ويكتفون باستعمال الأدوية، والجراحة فقط. ولهذا فإن كل ما يظفرون به هو الهوادة في الأعراض، ومنع التفاقم. ويستمر الترقي في الانسداد بعد إجراء عملية وصل شرايين القلب، حتى إن المجازة (وصلة الشرايين) نفسها قد تتعرض للانسداد مما يستلزم تكرار العملية».

ويؤكد الدكتور «ستاملر» في مقال نشرته حديثا مجلة «Circulation» أن العلاقة بين مرض شرايين القلب وأسلوب الحياة خرجت من كونها فرضية وأصبحت حقيقة علمية مؤكدة. ففي دراسة قام بها الدكتور «هيجرمان» على مجموعة من المرضى تتراوح أعمارهم بين ٤٠ و٤٩ سنة، ولديهم قابلية كبيرة للإصابة بمرض شرايين القلب، تبين أن تخفيض التدخين، والإقلال من تناول المنتجات الحيوانية أديا إلى إنقاص جلطات القلب والموت المفاجئ بنسبة ٤٧٪ عن مجموعة أخرى تركت كشاهد تجريبي (Control group).



ماذا عليك أن تفعل ؟

تتلخص الوقاية من أمراض شرايين القلب التاجية في:

أولا: التوقف عن التدخين فورا.

ثانيا: اتباع نظام غذائي سليم، يبدأ في سن مبكرة، وتتجنب فيه البدانة. وتتجنب فيه الدهون الحيوانية والنباتية المشبعة كزيت النخيل وزيت جوز الهند. وتستعمل فيه الزيوت النباتية غير المشبعة كزيت الذرة وزيت دوار الشمس، وزيت الزيتون.

ثالثا: ممارسة الرياضة البدنية بانتظام.

رابعا: تجنب الانفعالات النفسية الشديدة.

خامسا: معالجة عوامل الخطر الأخرى كارتفاع ضغط الدم، ومرض السكر.

ولا شك أن أفضل أساليب الوقاية التي تعود عليك بالفائدة المثلى هي تلك التي تؤثر في أطفالك. فإذا كان غذاؤك قليل الدسم، واتبعت بعض التمارين الرياضية بانتظام.. وامتنعت عن التدخين.. وكانت هذه العادات الصحية جزءا من حياتك اليومية في البيت.. فإن أطفالك سوف يترعرعون على هذه الأمور.

من كتاب العدد



● الدكتور حسان شمسي باشا
- رئيس قسم العناية المركزة ومستشار أمراض القلب في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة.
- عضو الكليات الملكية للأطباء في بريطانيا.
- عضو الكلية الملكية للأطباء في أيرلندا.
- عضو جمعية التغذية البريطانية.

فقدان الورد شذاها مشكلة تؤرق العلماء!

لم تعد رائحة الورود زكية كما كانت من قبل، بينما يبذل العلماء جهودهم لإعادة الشذا إليها، غير أن المزارعين والمنتجين يرفضون تدخل العلماء للتحكم في اللون والرائحة . . قائلين إن مثل هذا التدخل يقضي على أجمل ما في زراعة الورود : التوقع والترقب والدهشة .

ليست كل الورود الحمراء زكية الرائحة كما يُعتقد







ورود الصبار نتجت بالتهجين



أزهار فورسين وإيضاليا تستخدم في تزيين الموائد



زهرة بيضاء بدون رائحة

٤٠ مليون سنة

تذكر أوراق التاريخ المدون أن العالم عامة عرف الورود في القرن الرابع الميلادي وعرفها العرب خاصة في القرن الثاني عشر الميلادي عندما طرد صلاح الدين الصليبيين من القدس وأمر بأن يُغْسَل المسجدُ الأقصى بماء الورد لتطهيره.

والورود قديمة فحفرياتها ترجع إلى أكثر من ٤٠ مليون سنة، وعُرف في العالم كافة على مر الأزمان والعصور، ولكن إزهار الورود أكثر من مرة في السنة ظهرت أولاً في الصين في عهد إمبراطورية الهان منذ ٥٠٠٠ سنة، ويقال إن المساحات الشاسعة المزروعة وردًا كانت بالفعل تطغى على الأراضي المخصصة لزراعة المحاصيل الغذائية.

وفي القرن الثامن عشر كان زراع الورد الأوروبيون مبهورين بقدرة الورد الصيني على الإزهار أكثر من مرة في السنة لذا قاموا باقتباس طريقتهم حتى إنهم قاموا بتهجين أكثر من ٢٠٠٠ وردة مختلفة اللون والرائحة وتزهر أكثر من مرة في السنة كذلك أصبحت صناعة عطر الورود صناعة ضخمة في بعض الدول الأوروبية مثل بلغاريا عندما أدخل الأتراك العثمانيون زيت الورد وبعدها انتشر انتشارا واسعا.

سر الرائحة

عائلة الورد كبيرة تشمل الفراولة والتفاح والكمثرى وعددا كبيرا من الورود البرية، وتنتج معظم الورود روائح شبيهة بروائح الفاكهة أو التوابل، وقد اكتشف أحد الباحثين أن للورود خمسًا وعشرين رائحة، ولكن أكثرها شيوعًا هي روائح الورد والتفاح والبنفسج والليمون والسوسن والقرنفل والكبوسين.

وتستمد الوردة شذاها من البتلات، ولكن أجزاء أخرى من الوردة ينبعث منها شذًا قوي أيضا، مثل الأوراق والسيقان والسبلات وحتى الأشواك التي تنمو على السيقان، وفي بعض الأنواع تنبعث روائح قوية من التاج الأخضر الذي يحيط بالوردة، ورائحة الوردة معقدة فهي تتكون من السكر والكحوليات والأنزيمات التي تنتج منها مجموعة روائح مختلفة يمكن أن تتغير. وتبدو طبيعة هذه العملية غير مفهومة حتى الآن فلا يعرف سرها سوى خالقها.

ويختلف شذا الوردة تبعا للمناخ، فالأيام الباردة ذات السحب الكثيفة تحول دون انتشار شذا الوردة وفي الأيام الحارة الجافة تتعرض الوردة كذلك للجفاف، وعلى العكس في الأيام الدافئة المشمسة تنبعث أفضل رائحة.



شقائق النعمان أصبح لها ألوان متعددة بعد التهجين





التدخل البشري لتهجين الورود للحصول على مواصفات جديدة

لا وجود للقاعدة

يرى العاملون في صناعة عطر زيت الورد أن أفضل الأوقات لقطف الورود للحصول على زيوتها تكون ابتداءً من الساعة الرابعة والنصف صباحًا وحتى التاسعة والنصف صباحًا خلال فصل الصيف، وبعد هذا التوقيت تهبط نسبة زيت الورد بمعدل ٤٠٪ خلال ساعات قليلة.

وعلى الرغم من أن تهجين الورد أدى إلى إيجاد ورود ذات روائح وألوان متعددة إلا أن رائحة الورد التقليدية والحقيقية لا توجد إلا في الورود ذوات اللون الأحمر أو القرمزي فقط، ولكن هذا لا يعني أن رائحة الورد مرتبطة باللون فقط، فهناك ورود حمراء ليس لها أي رائحة على الإطلاق.

إن محاولة إنتاج وردة ذات رائحة قوية من تهجين وردتين تحملان رائحة نفاذة أمر ليس له سند علميٌ حتى الآن.

وعندما فاز بيل وارنر الذي يعمل في واحدة من أكبر مزارع الورود في أمريكا بالجائزة الأولى والوحيدة عام ١٩٨٧م لإنتاجه وردة بيضاء تحمل رائحة زكية نفاذة، أعرب عن دهشته الشديدة لأن الوردتين اللتين قام بتهجينهما لإنتاج وردته البيضاء لم تكن أي منهما تحمل أدنى رائحة.

العربية إلى أين؟

بقلم: د. عبد الله حامد حمد

يتوهم بعض اللغـويين والمفكـرين العرب والغـربيين أن اللغـة العـربية تقترب من النهـايـة في المستقبل القريب وذلك كغيرها من اللغات القديمة التي اندثرت أو بقيت آثارها البسيطة كاللاتينية والسنسكريتيـة، حتى إن تشالز فيرجسون ، العالم اللغـوي الأمريكي المعـروف، توقع أن تكون تلك النهـاية في العـام ٢١٥٠ عندما تظهـر لغات رسمية عـربية تـرث الفصيحة أمثال المغـربية والمصرية و الشرقية وربما السورية والسودانية، كما يسميها!

ظهر في العالم العربي تيـاران يودّان القضاء على العربيـة: **الأول** قصير النفس ويـريـد استعجـال الأمور والتخلص من العربيـة ممثلا بدعوات **قاسم أمين وسـلامة مـوسى وسعيد عقل وأنيس فـريحة**، ويطالب بـاستبدال لهجـة أو لهجات عربيـة محكية بالفصحى بحجة أن الفصحى التـي كانت صالحة لـزمن معين قـد مـاتت ولم تعد تقـوى على الـوفـاء بمتطلبات الحياة المعاصرة. **أما التيـار الثاني فهو** طويل النفس يمثله **لويس عوض** وأمثاله ويراهن هـذا التيـار على أن الزمن كفيل بإنهاء العـربيـة كما حصل لـلاتينية في أوروبـا حيث ورثتهـا ما يعـرف باللغات الرومانية كالفرنسية والإسبانية والإيطالية، والبرتغالية والرومانية.

إن نظـرة فـاحصـة ومتأنيـة لتـاريخ العـربيـة وطبيعتهـا ومميـزاتها لتفضي مـوضـوعيـا إلى قصـور تـوقعـات ومحاولات أولئك اللغـويين والمفكـرين، حتى وإن ادَّعَوْا ممارسة البحث العلمي؛ وذلك لأن تلك التـوقعات مبنيـة أصلاً على القيـاس المنطقي والـذي قـد يـؤدي إلى نتـائج خـاطئـة كما سيتضح لاحقا. فحقيقة الأمر أن هذا التحول المزمع والمتوقع للعربية لن يكون إلا ضربا من ضروب التمني لأن المعطيات والأدلة تؤكد استمرارها إلى ما شاء الله.

نشأت العـربيـة بـوصفهـا إحـدى اللغـات السامية، وربما هي أصل هذه اللغات على الأرجح في أرض الحجاز واليمن. وعندما نقـول إن العربية ربما كـانت الأصل واللغات السـامية الأخـرى هي الفروع، فذلك لأمـور عدة أبرزها أمـر نحوي وهو احتفاظ العـربية بالإعـراب في الوقت الذي فقـدته أخواتها السـاميات كالآراميـة والسريانيـة والعبرية والإثيوبيـة والبابلية. أمـا الأمر الآخر فهـو صوتي، يتمثل بـاحتفـاظ العـربي بأكبر عـدد ممكن من الأصـوات الحلقيـة وأصـوات الإطبـاق بينما فُقِـدَ معظمُها في الساميات الأخرى.

إن حياة اللغة العربية في مرحلة الجاهلية* يلفها الغمـوض باستثنـاء فترة مئة وخمسين أو مئتي سنـة سبقت نـزول القرآن. فهـذه الفترة كـان من السهل التعرف على أدبها وميزاتها اللغـوية نوعًا مـا. أما ما عدا ذلك، أي المراحل الأولى الموغلـة في القدم فلا يعدو الحديث عنها أن يكـون جملة من التخمينات وذلك لافتقـار البحث اللغوي التـاريخي الموجه إلى تلك المرحلـة إلى أدلـة ماديـة تحكي ذلك التـاريخ الطـويل. صحيح أنـه تم اكتشـاف بعض الآثـار البسيطة في شمال الجزيرة العربية وجنوبها مما يسمى بالنقوش هذه الأيـام. إلا أن هذه النقوش لا تحكي إلا النـزر اليسير من ذلك التـاريخ ولا تعـد ذات فائدة حقيقية في البحث اللغـوي التاريخي فالتراث اللغـوي العربي كـان ذا طبيعة شفهيـة في مرحلـة الجاهليـة على عكس التراث الفـارسي والـرومـاني واليوناني الـذي كان قد وصل إلى الأجيـال اللاحقة بصورة مدونة.

على أيـة حـال فإن الأبحـاث المتعلقـة بتلك المرحلة تقطع بأمرين اثنين وهما وجود لهجات عربية قبلية، يطلق عليها لغات أحيانا، منتشرة في أنحاء الجزيرة، شمالاً وجنـوبًا، شرقًا وغربًـا، ولها ميزات لغويـة خاصـة كالفحفحـة والشنشنة والعجعجـة وغيرهـا. أمـا الأمـر الآخـر فهـو وجـود مستـوى **لغـوي عالٍ مصطفًى لم يكن يمثل لهجة واحـدة** بعينهـا وهو خـالٍ من الخصـائص اللهجية الآنفـة الذكر وكان يستعمل في المناسبات الأدبية والدينية.

بل إننـا نرجح أنه كـان يستعمل أيضا في التـواصل اللغوي اليـومي إلى جانب اللهجة القبلية. إضـافة إلى ذلك فإن هـذا المستـوى الفصيح كـان يكتسب اكتسابا سليقيا . ولا غرابة في ذلك إذا أخذنا في الاعتبار حقيقـة الأمية الكـاسحة التي كـانت تلف ذلك المجتمع الجاهلي. كل هـذا يقـودنـا في واقع الأمر إلى نتيجة مفادهـا أن الوضع اللغوي إذ ذاك لم يكن ازدواجيا بالمعنى الدقيق للمصطلح الإنجليزي «دايجلوسيا» Diglossia كما هو حال الوضع اللغوي في العـالم العـربي اليوم حيث تكتسب العـربيـة في المدرسة ولا تستعمل في التواصل اليومي.

ومع نزول القرآن الكريم دخلت العربية مرحلة تاريخيـة فريدة لا سابق لها وكـان ذلك منعطفا مهمًا في حياة العربية. فقد غدت الفصيحة لغة القرآن إذ بها نزل: قال تعـالى ﴿إنا أنزلناه قرآنـا عربيا لعلكم تعقلون﴾ . واستعملها القـرآن لتحدي العـرب كافة بلا استثناء، كما يشير ابن كثير رحمه الله. قال تعالى **﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنـا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾** . ولقد كان العرب يعلمون في قرارة أنفسهم أن لغة القرآن هي لغـة عربية خالصة من نفس طـراز لغتهم وجنسهـا، ومع هذا حـاروا وفكروا ثم تـدافعوا ليأتوا بمثله أو جـزء منه ولكنهم فشلوا. **قال تعالى مصورًا ذلك ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا﴾** . فأسلم العرب للتحدي ثم آمنوا أخيرًا بالـرسالة ومنذ ذلك الحين بدأ التلاحم العضوي بين العربية والإسلام.

ثم كانت الفتـوحات الإسلامية وعبـور العربية إلى العـراق والشـام ومصر واحتكـاكهـا بلغـات الأمصار المفتـوحة كالفـارسية والآرامية والسريـانية والقبطيـة وغيرهـا. فالعـربي الـذي خـرج إلى تلك الأمصار حـاملاً ومبلّغا دعوة الإسـلام حمل معه إلى جانب ذلك لهجته القبلية والفصيحة وبدأت حاجة التعامل اليـومي تفرض نفسها بين العـرب الفاتحين أنفسهم بخلفيـاتهم اللغـوية المختلفـة من جهـة، وأصحاب البـلاد المفتوحة من جهة أخـرى، وهذا الوضع أفضى خـلال ثلاثة القرون الأولى في بـداية الدعوة إلى ظهور مستوى لغوي مشترك للتواصل في

البلاد المفتوحة، وكان ذا صبغة مختلطة وعامية. لقد كان هذا المستوى هو في الواقع الذي أرسى أساس العاميّات العربية المعاصرة كالعراقية والسورية والمصرية . ولقد ترتب على هذا التطور اللغوي تغير في العلاقة القريبة والمتداخلة التي كانت تميز الفصحى ولهجات القبائل. تمثل ذلك في اتساع الفجوة التركيبية بينهما بحيث غدت الفصيحة منحصرة في نطاق أضيق مما كانت عليه في الجاهلية وصدر الإسلام، في حين سيطرت العاميات على كثير من شؤون الحياة، وبرز ما سُمِي باللغة المولدة والتي أشار إليها ووصفها الجاحظ في مؤلفه «**البيان والتبيين**» في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. وهنا بدأت الازدواجية اللغوية فعلا في العربية بمفهومها الحديث وليس في مرحلة الجاهلية كما يظن كثير من اللغويين العرب المعاصرين.

ثم تواصل تفاعل العربية مع هذه اللغات هذه وغيرها، وتعرضت العلاقة بين الفصيحة والعاميات إلى مد وجزر من حيث القرابة التركيبية، وبلغت ذروتها على ما يبدو في زمن العلاّمة **ابن خلدون** وربما من بعده، إذ وصف الوضع اللغوي آنذاك قائلا: «اعلم أن عرف التخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الجيل، بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا، وهي عن لغة مضر أبعد» . وتوالت هذه السمة في العلاقة بين الفصيحة والعاميات حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي تقريبا حينما بدأ التأثير الغربي يصل إلى البلاد العربية والإسلامية مما دفع ببعض دعاة التغريب والمتنكرين للعربية وأمتهم بإطلاق الدعوات لاستبدال العامية بالفصيحة وكذلك استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي لأن ذلك في اعتقادهم السبيل الوحيد لبلوغ النهضة والتمدن. لقد كان لدعوة **وليم ويلكوكس** الإنجليزي بمصر أثر مباشر في خلق التشكك في نفوس المسلمين هناك حينما خطبهم داعيا إياهم إلى نبذ الفصيحة، والتي تشكل برأيه عقبة كأداء في طريق التقدم والاختراعات وإحلال العامية مكانها .

إن الهدف وراء كل هذه الدعوات ليس إنهاض العرب وتمدينهم كما يزعم أصحابها عربا وغربيين، بل إن الهدف الحقيقي الذي لا يخفى على كل ذي بصيرة يكمن في فك العروة الوثقى التي تربط العربي بالإسلام. فهذا يمثل قمة الخبث في التخطيط الفكري الهدام. إذ لو حصل مثل هذا ـ لا قدر الله ـ لتفككت الأمة وأدى إلى عواقب وخيمة. إن هؤلاء الدعاة وتلامذتهم حاولوا ويحاولون جاهدين النفاذ إلى عقيدة المسلمين حالمين بإقصاء العربية عن موقعها الأساسي في حياة المسلمين. فالعربية التي يزعمون أنها غير قادرة على مسايرة التطور، قد تخطت مثل هذه الادعاءات منذ زمن طويل، **والتاريخ يثبت أن العربية عايشت اللغات والمدنيات المختلفة ولم تتخلف. يقول محمد محمد حسين في هذا الصدد:** « والتاريخ أصدق من كل ما يكتبون. فقد استطاعت العربية البدوية أن تساير الحضارة في بغداد ولم تنهزم أمام الفارسية أو اليونانية أو التركية، واستطاعت أن تسايرها في الأندلس بعد أن فرضت نفسها على البيئة الجديدة. واستطاعت أن تساير ألوانا من الحضارات في خلال ثلاثة عشر قرنا أو أكثر في بيئات متباينة أشد التباين وصمدت أمام الغارات المدمرة وخلال الاحتلال الأجنبي الطويل».

لقد أساء هؤلاء اللغويون والمفكرون تقدير مدى قوة العلاقة التي تربط العربية بالإسلام فقاسوها، كما أسلفنا، على السنسكريتية، لغة الدين الهندي والتي اندثرت ثم قبعت في ركن من أركان الزمان، ثم على اللاتينية التي كانت في يوم من الأيام اللغة الأولى في العالم وحملت النصرانية إلى شعوب كثيرة وخاصة في أوروبا ثم طواها التاريخ وانحصرت أخيرًا في أوساط علمية وأدبية محدودة. ثم خلص هؤلاء إلى أن العربية لن تفلت من هذا المصير المحتوم.

لقد غاب عن أذهان هؤلاء حقيقة مهمة وهي أن الأديان الأخرى، أي غير الإسلام، غير مرتبطة بأية لغة معينة، وعليه فإن الصلاة وممارسة الشعائر الدينية الأخرى وحتى فهم الدين نفسه لا يتطلب من الفرد الحامل لذلك الدين الرجوع إلى النص الأصلي للغة التي وُجد بها ذلك الدين بل يمارس كل ذلك في أية لغة كانت.

أما المسلم ـ أيا كانت لغته الأم ـ فلا بد له من استعمال اللغة العربية التي نزل بها القرآن واستعمال النص الأصلي العربي للقرآن في ممارسة الواجبات الدينية، وكذلك التفقه في الدين الإسلامي لا يكون إلا من خلال العربية الفصيحة.

هذا التفرد للغة العربية بين اللغات يشكل العامل الحاسم في استمرارها. أما العامل الآخر فهو أن العربية هي رمز الهوية والوحدة العربية وهي ضاربة في أعماق التاريخ العربي الطويل. فأي مساس بهذه اللغة يعني عمليا المساس بالهوية العربية العريقة **لقد أصاب المستشرق الألمان فك حينما أشار إلى سر استمرارية العربية قائلا: « ولقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية».**

إن العربية بنظامها وحيويتها التي رويت لنا منذ القرن السادس الميلادي لا تزال هي نفسها حاضرة وشامخة بين ظهرانينا في الحديث والأدب. فإذا أراد العربي أن يكتب خطابا أو يلقي محاضرة اليوم فإنه يستعمل القواعد النحوية والصرفية والدلالية نفسها التي كان مستعملة آنذاك من قبل العربي في الجزيرة مع اختلاف يسير في النطق لبعض الأصوات. هذه حالة لغوية قلّت، أو حتى انعدمت، مثيلاتها في التاريخ.

إنها قناعتنا الراسخة التي لا يرقى إليها أدنى شك وهي أن العربية وجدت لتبقى، لأن القرآن وجد ليبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ . والمسلم ـ عربيًّا كان أو أعجميا ـ مطالب بالمحافظة على العربية والسهر عليها من كل عبث يصدر من بعض المتعالمين ورفض كل المحاولات الداعية إلى تعديلها أو تبسيطها.

فمهمتنا هي تهيئة الأجواء اللغوية السليمة لهذه الأجيال اليافعة في كل المناسبات المتاحة حتى تكتسب الجانب الأكبر من هذه اللغة بطريقة فطرية وعندها تبنى الكفاءة اللغوية في أذهان هذه الأجيال وتختصر الجهود الضخمة التي يبذلها التربويون في المدارس والجامعات في تدريس العربية.

* يطلق هذا المصطلح على كل المراحل التاريخية التي سبقت نزول القرآن الكريم.

العرب وإعادة اكتشاف أمريكا

بقلم: ناصر عبد الرازق الموافي

هل اكتشف العرب أمريكا قبل كولومبس ؟ أم كان كولومبس أول من اكتشفها ؟ النفي هو الرد المنطقي على هذين السؤالين ـ خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن الكشف يعني السبق والريادة ؛ فقد أصبح معروفا أن أمريكا كانت معمورة قبل إعادة اكتشافها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، سواء بالسكان الأصليين ذوي الأصول الآسيوية المختلفة، أو بالفيكنج الذين تركوا آثارا تدل على أنهم نزلوا أمريكا وتوغلوا فيها حتى وصلوا إلى ولاية ماساشوستس وكذا إلى ولاية مينيسوتا، وكان معظم هؤلاء الفيكنج من النرويج وبعض الدول الإسكندنافية. بل إن بعضهم يرى أن العرب وصلوا إلى أمريكا واستوطنوا قبل كولومبس. وبذا يكون السؤال الأصح : من أعاد اكتشاف أمريكا ـ لا من اكتشفها ؟ !

الباحثون على رأيين :

الأول : أن العرب هم الذين أعادوا اكتشاف أمريكا والتوغل في أراضيها واستيطانها.

الثاني : أن العرب كان لهم تأثيرهم المباشر في دفع كولومبس لإعادة اكتشاف أمريكا.

العرب يعيدون اكتشاف أمريكا

أثير هذا الموضوع لأول مرة بمناسبة مرور ٤٠٠ سنة على إعادة اكتشاف أمريكا، أي في عام ١٨٩٢ م؛ فقد نشرت مجلة أمريكية مقالة تطرح تساؤلا عن مدى صحة ما يشاع من وصول العرب إلى أمريكا قبل كولومبس، وذلك بركوبهم البحر قاصدين الغرب من جهة الأندلس. وأردف صاحب المقال : « ليس عندنا نحن معلومات عن هذا الشأن تستند إلى وثائق خطية، وإنما هو كلام متواتر بين الناس، فكنا نود لو عرفنا ما عند العرب في هذا الموضوع ».

وقد تُرجم هذا المقال في جريدة النشرة الأسبوعية التي كان يحررها الأستاذ إبراهيم الحوراني وتبعه نداء إلى علماء العرب أن « أفتونا بما عندكم في هذه المسألة ».

اطلع الأمير شكيب أرسلان على هذا المقال، وجدَّ في البحث عن دليل، إلى أن وقع على خبر « الفتية المغرورين » الأندلسيين، فقام بتحليل نص رحلتهم الوارد في كتاب الإدريسي « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق »، وحدد ـ فيما يرى ـ الأماكن التي نزلوها أثناء رحلتهم في المحيط الأطلنطي، ثم خلص إلى النتيجة التالية : «وبالاختصار « الإخوة المغرورون » كانوا قد وطأوا البر الأمريكي بأرجلهم، ولكنهم ـــ بقلة عددهم، وقلة الوسائل التي كانت في أيديهم ـــ لم يتقدموا إلى الأمام » (١).

لم يكن الأمير شكيب أرسلان وحده صاحب هذا الرأي؛ فقد شاركه آخرون مثل الأمير مصطفى الشهابي الذي لم يستبعد أن يكون الفتية المغرورون قد رسوا في إحدى جزر أمريكا الجنوبية في البحر الكاريبي أو الأنتيل، وأن يكونوا قد استوطنوا في هذه الجزيرة، واختلطوا بأهلها، ثم توغلوا في القارة الجنوبية (٢)، كما قال بهذا الرأي أيضا الدكتور عبد الحميد العبادي؛ حيث قرر أن العرب هم أول من سبق إلى ركوب المحيط الأطلسي « بحر الظلمات »، وأن « السابقين إلى ذلك كانوا أولئك الفتية المغررين من أهل لشبونة » (٣).

غير أن أكبر المتحمسين لمقولة وصول العرب إلى أمريكا كان الأب « نستاس الكرملي »، ففي مقال له بعنوان « عرف العرب أمريكا قبل أن يعرفها أبناء الغرب » أخذ يدلل على ذلك بأدلة عقلية ونقلية ولغوية ـ وإن كان اتكاؤه على الجانب الأخير، ثم ختم بلهجة واثقة قائلا : « وأنا أتحدى كل أديب ينكر عليّ على هذه الحقائق أن يفندها تفنيدا علميا : إما على طريق التاريخ، وإما على طريق اللغة، وإما على سبيل النقل عن السلف ـــ شرط أن يكون التفنيد طلبا للحقيقة، لا للمماحكة والمعاندة والمباهاة » . (٤) ثم دعم رأيه ـ في العدد التالي ـ بنص منقول عن أبي الثناء الأصفهاني، يؤكد فيه وجود حياة على الجانب الآخر في المحيط الأطلسي.

في مقابل هذه الآراء المتفاوتة في حماستها لوصول العرب إلى أمريكا، كانت هناك آراء متحفظة، وهي في أغلبها آراء المستشرقين الذين حللوا نص « الفتية المغررين » ووصلوا إلى بعض النتائج الجزئية التي تؤكد وصول العرب إلى بعض جزائر المحيط الأطلسي ـ دون أن يصلوا إلى سواحل أمريكا. ورغم ذلك فقد سلم الجميع بأمرين :

١ ـــ أن العرب قاموا بعدة محاولات لكشف غموض المحيط الأطلسي، معرضين أنفسهم للهلاك، ومن هنا كان لقب المغررين أو المغرورين، يدفعهم إلى ذلك روح علمي متوثب، وجرأة نادرة متأصلة فيهم، وكان أهم هذه المحاولات ما قام به الفتية المغررون وما قام به الفتى الأندلسي « خشخاش » الذي أورد خبره كل من المسعودي والبكري. كما أن ذلك كله دليل على أن « الخروج في المحيط الأطلسي، والإيغال إلى الغرب، والوصول إلى سواحل بعيدة كان أمرًا يستهوي الأندلسيين، وربما تكرر مرارًا » (٥).

٢ ـــ أن هذه الرحلات كانت الحافز لقيام رحلات أخرى عديدة، تُوِّجت برحلات كولومبس الأربع التي أدت إلى إعادة اكتشاف أمريكا مرة أخرى.

وليس من قبيل الادعاء القول إن كولومبس قد أفاد كثيرا ـ بقصد أو دون قصد ـ من العرب سواء


كريستوفر كولومبس


د. حسين مؤنس

كانت الإفادة من رحلاتهم العملية، أو من نظرياتهم العلمية.

العرب وكولومبس

يذهب بعض الباحثين إلى أن تأثير العرب على كولومبس كان مباشرا، وأكبر من أن ينكر. ويدللون على ذلك بعدة حقائق:

١ ـ أن كولومبس كان يعرف قصص محاولات العرب لعبور المحيط واكتشاف مجاهله، بل إنه كان يعرف قصصا لمغامرين آخرين كان هدفهم جلب الثروات فحسب.

٢ ـ أن عمل كولومبس قام على عدة نظريات عربية، منها الصحيح، ومنها غير الدقيق، ومنها الأقرب إلى الخيال. وذلك كالتالي:

أ ـ نظرية أبي عبيد البكري الجغرافي الأندلسي المشهور، وملخصها أن الخارج من غرب أوربا يصل إلى شواطئ آسيا؛ لأن الأرض كرة. ومن ثم حاول كولومبس تطبيق هذه النظرية، معتقدًا أنه سيصل إلى بلاد الهند، حتى إنه مات وهو يعتقد ذلك. ويعد الدكتور حسين مؤنس ما فعله كولومبس أسعد خطأ في التاريخ، وهو كذلك خطأ قام على صواب كبير. ولتأكيد الصلة بين نظرية البكري وتطبيق كولومبس يذكر أنه «ليس من قبيل المصادفة أن يكون أبو عبيد من أبناء «ولبة» على بعد أميال قليلة من «الرابطة» وفيها الدير الذي لجأ كولومبس إلى أحباره لكي ييسروا له مقابلة «فرناندو وإيزابيلا»، ولا هو من قبيل المصادفة أن يكون أبو عبيد قد كتب هذه السطور في «أشبيلية» البلد الذي عاش فيه كولومبس زمنًا، وتعلم من أهله وعلمائه وبحارته الشيء الكثير. بل إنه لا تبدو لنا مصادفة أن يكون خروج مراكب كولومبس إلى العالم الجديد من ميناء «سان لوكار» أقرب بلدة إلى «ولبة» والمسافة بينهما بضعة كيلومترات» (٦). وهذه النظرية العربية هي «الكشف الصحيح وموضع الفخر، أما أن يكون الذي قام بتطبيق هذه النظرية العربية كولومبس أو غيره، فمسألة تلي ذلك في الأهمية، وقد تحققت لعوامل علمية وصناعية أخرى مثل: إتقان الخرائط البحرية، وتقدم صناعة السفن، وإحكام استخدام البوصلة، ثم لعوامل سياسية أهمها المنافسة الشديدة بين البرتغال والإسبان، فأما البرتغال فقد قادهم العرب علميا وعمليًا إلى آسيا، وأما الإسبان فقد قادهم العرب علميا ـ وهذا هو المهم» (٧).

ب ـ ونظرية علمية أخرى أسهمت بشكل مباشر في قيام كولومبس برحلات إعادة اكتشاف أمريكا، هي نظرية «قبة الأرين» ـ أي مركز الأرض ـ التي نقلها «بطرس الآبي» أسقف كمبرى في رسالته «صورة العالم» التي صنفت عام ١٤١٠ م وطبعت حوالى عام ١٤٨٠ ـ ١٤٨٧ م ـ أي قبل رحلات كولومبس بأعوام قليلة. وإذا كانت الرسالة في حد ذاتها غير هامة «إذ لا تتضمن سوى بضعة مقتطفات من الترجمات اللاتينية «لابن رشد» و «ابن سينا» و «هالي» و «الفرغاني»، إلا أنه من الغريب ملاحظة أن نظرية الأرين تظهر بحذافيرها في المتن وفي الخارطة على السواء. وأكثر غرابة من ذلك أن يعرفها خريستوفر كولومبس ـ فقد حُفظت لنا تعليقاته الشخصية على النسخة التي كان يمتلكها من كتاب «صورة العالم». ومن هذا يتضح لنا أن نظرية الأرين هي المسؤولة بالذات عن ظهور الشكل الكمثري للأرض عند كولومبس، ومؤداها أن في نصف الكرة الغربي من الأرض ـ وفي مواجهة قبة الأرين ـ مركزا آخر للأرض على موضع أكثر ارتفاعا في رصيفه بالجهة الشرقية. وهكذا، فمهما بدا الأمر غريبا اليوم فإن النظرية الجغرافية العربية كان لها دور في كشف العالم الجديد» (٨).

ج ـ ومما أسهم في إنجاح رحلات كولومبس وقوعه في خطأ ناجم عن عدم مراعاة اختلاف الميل العربي عن الميل الإيطالي، فقد حدد العرب الدرجة بستة وخمسين ميلا وثلثي الميل ـ وذلك بعد أبحاث رائدة تمت في عهد الخليفة المأمون وأثبتت دقتها الفائقة، وعليه فقد احتسب كولومبس «الدرجة بمقدار ستة وخمسين ميلا إيطاليا وثلثي الميل، في حين كان الميل الإيطالي ـ في واقع الأمر ـ يقل عن الميل العربي بمقدار ثلاثمائة وأربعة وثمانين مترًا. وعلى ذلك فالدرجة الواحدة في حساب كولومبس تقل بمقدار اثنين وعشرين كيلومترا عن الدرجة العربية، وبالتالي كان تقدير المسافة بين سواحل أوربا الغربية وسواحل آسيا الشرقية أقل بكثير من الواقع. ولعل كولومبس لوكان علم بحقيقة الأمر منذ البداية لما أقدم على ركوب البحر المحيط على سفينته الصغيرة التي لم يكن بوسعها حمل المؤن اللازمة لمثل هذه المهمة» (٩).

والسؤال الآن: ما الذي دفع كولومبس للقيام برحلاته؟ وما النتائج التي ترتبت عليها؟ هل كان مكتشفها أم مجرد مغامر؟ هل كان خيّرًا أم شريرًا؟

الإجابة عن هذه الأسئلة تؤرق أوربا الآن، إذ تكشف عن مآس تمثل الوجه الآخر لها، ذلك الوجه الذي تسفر عن قبحه دراسات قام بها أعلام بارزون يمثلون الضمير الإنساني الحر، كما فعل «تزفيتشان تودوروف» مثلا. يضاف إلى ذلك بعض السلوكيات التي تكفر عن ذنوب أوربا في

حق السكان الأصليين لأمريكا إبان غزوها، كفوز الجواتيمالية « ريجو برتامنشو » ذات الأصل الهندي بجائزة نوبل للسلام لهذا العام.

هل من الصدفة البحتة أن تفوز هذه المناضلة عن حقوق الإنسان المظلوم صاحب الأرض بالجائزة عام ١٩٩٢، في الوقت الذي تحتفل فيه أوربا - ويشاركها العالم - بذكرى مرور خمسمائة عام على وصول كولومبس إلى أمريكا ؟!

الهوامش

(١) الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، شكيب أرسلان، المطبعة الرحمانية - المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٦، جـ١ ص ٩٥.

(٢) أعلام الجغرافيا والجغرافيين، عبد الرحمن حميدة، دمشق ١٩٦٩، ص ٢٣١.

(٣) مجلة الثقافة، القاهرة، عدد ٢ أغسطس ١٩٤١.

(٤) مجلة المقتطف، عدد فبراير ١٩٤٥ ص ١٦٠، وعدد مارس ص ٢٨٧.

(٥) تاريخ الجغرافيا في الأندلس، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة مدبولي ١٤٠٦هـ - ١٩٧٦ م ص ١٣٥.

(٦) السابق ص ١٣٤.

(٧) السابق ص ٢٧٦.

(٨) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، أغناطيوس كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين هاشم، بيروت دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧م ص ٩٨٥.

(٩) السابق ٨٣ - ٨٤.

من كتاب العدد



● ناصر عبد الرازق الموافي

- مدرس مساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

- حاصل على الليسانس في اللغة العربية وآدابها - بامتياز - من القسم نفسه عام ١٩٨٤.

- حصل على الماجستير في موضوع: «الرحلة في الأدب العربي، حتى نهاية القرن الرابع الهجري».

- يعد لرسالة الدكتوراه في موضوع: «السرد القصصي، في القرن الرابع الهجري».



البحث عن الطمأنينة

سبب الارتداد إلى الطفولة

بقلم: ليليان ج. كاتر

معظم الأطفال يستوعبون جيدًا في مراحل أعمارهم الأولى أن نموهم يتم بشكل جيد وقوي فيصبح اعتمادهم على أنفسهم هدفًا حيويا لهم ولمجتمعهم، ويقوم الأهل والأصدقاء عادة بتأكيد هذا المعنى عندما يرددون على مسامع الأطفال عبارات معينة مثل « يالك من فتاة جميلة كبيرة » أو « لقد أصبحت فتىً يافعا »، ورغم هذا فإن الوصول إلى « النضج » أمرٌ ليس بالهين.

إنّ معظم الأطفال يتلعثمون ويرتدون إلى مرحلة شبيهة بمرحلة الاعتمادية الطفولية خلال سنوات أعمارهم الأولى والمتوسطة، وهذا الارتداد يأخذ أشكالا عديدة مثل التهتهة أو استخدام كلام الأطفال أو مقاومة الابتعاد عن الأم أو رفض أداء الأعمال التي كانوا يؤدونها بمفردهم لبعض الوقت.

وعندما تحدث هذه الأعراض يصاب بعض الآباء بالهلع ويعتقدون أنهم على وشك العودة إلى أيام حاجة الطفل المكثفة للرعاية والتي تخلصوا منها من قريب، ولكن هذه المحاولات للارتداد إلى الطفولة نادرًا ما تدوم فترة طويلة، وطول الفترة يعتمد عادة على أسباب حدوثها، وكيفية التصرف حيالها.

في بعض الأحيان تكون هذه الأعراض أو التغييرات محاولة للحصول على السكينة والاطمئنان، وخاصة خلال الفترات التي يكون فيها الطفل عرضة للتوتر الشديد أو حين يعاني من الإرهاق أو المرض.

وهناك كثير من الأطفال الذين يقضون ساعات طويلة جالسين وسط مجموعة أطفال في دور الحضانة مثلاً، وهنا ينشأ لديهم شكل من أشكال التشبه بالكبار والصغار معًا، ويكون هذا محصلة للتفاعل مع الكبار من مشرفي الحضانة وأقرانهم الذين هم في مثل أعمارهم، وبالتالي يتصرفون تارة بطبيعتهم كأطفال وتارة أخرى مثل الكبار البالغين. وفي بعض الأحيان يكون السلوك الشبيه بسلوك الأطفال الأصغر نتيجة لوصول طفل جديد إلى العائلة أو تغيير في النظام العائلي. ويجب التنويه بأن نهي الطفل عن التصرف « كالأطفال الأصغر » نادرًا ما ينتج عنه تحسن حقيقي ولكن إذا أعطي الطفل السكينة والطمأنينة التي يبحث عنها تدريجيا فيقوم بدور الطفل، ويتشوق ثانية للاستقلال بنفسه.

يمثل عدم نضج الطفل واعتماده على والديه مصدرًا للشعور بالراحة والرضاء العميقين، وفي المقابل يشعر الوالدان باحتياج الطفل لهما وأنهما محبوبان، وبينما يضمن هذا الشعور حصوله على الرعاية والحماية من الوالدين، يمكن أن يؤدي إلى تأخير بلوغه مرحلة النضج.

وهناك آباء يشعرون بالقلق من اعتماد الطفل المتزايد عليهم لأنهما يشعران دائمًا بالاضطرار إلى ضبط رغباتهم وأنشطتهم طبقًا لمتطلبات الصغير وبالتالي يشجعون الطفل على أن يصبح أكبر، وهنا يجد الطفل نفسه عرضة للتنازع بين رغبته في أن يظل « صغيرًا » ليحظى برعاية أبويه وأن يصبح « كبيرًا » كما يريدان له.

وقد بينت دراسات تنمية الاعتماد على النفس لدى الأطفال وحتى المراهقين أن السلوك الأبوي المتضمن بث الطمأنينة وتوجيه المشاعر الدافئة نحو الطفل يؤدي إلى تشجيع شعوره بالاعتماد على النفس. ولذا إذا لم تدم فترة التشبه بالطفولة أمدًا طويلاً أكثر من ثلاثة أو أربعة أسابيع، فمن الأفضل عدم اتخاذ أي إجراءات حتى تمر هذه المرحلة بسلام.

ترجمة نجلاء حسن حامد

عن: Return to Babyhood

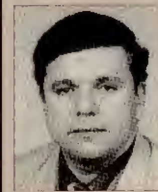
ضوابط للإعلان

كيف ولماذا؟

بقلم: د. شعبان شمس

منذ عدة عقود ظهرت دراسات جديدة في مجال الإعلان، وخاصة فيما يتعلق بتأثيراته الاجتماعية والأخلاقية، وذلك بعد أن لاحظ المحللون الذين يتابعون الممارسات الإعلانية في مختلف دول العالم أن الإعلان يتعارض في كثير من الأحيان مع قيم المجتمع وأخلاقه، وقد سبقت هذا الاهتمام مراحل عديدة أدت في النهاية إلى لفت أنظار الحكومات والهيئات والمؤسسات ذات الصلة بهذا النوع من الاتصال إلى خطورة تركه دون رقابة ودراسة دقيقة.

من كتاب العدد



● د. شعبان أبو اليزيد حسين شمس

- من مواليد ٢٤/٤/١٩٥٦م البحيرة - جمهورية مصر العربية.
- دكتوراه في الإعلان، قسم الصحافة والإعلام جامعة الأزهر.
- عضو هيئة التدريس في كلية اللغة العربية بالأزهر - قسم الصحافة.
- معار أستاذًا مساعدًا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المركز الجامعي لخدمة المجتمع والتعليم المستمر.

من مؤلفاته:

- مدخل إلى دراسة الاتصال بالجماهير
- مدخل إلى دراسة الإعلام والدعاية
- بحث حول الرضا الوظيفي في مهنة العلاقات العامة
- بحث حول ضرورة الإعلام التربوي في ظل المتغيرات الاتصالية الحديثة.

فمنذ حوالى مائة عام كانت المستويات الأخلاقية في مجال الأعمال وخاصة الإعلان تختلف تماما عن عالم اليوم، حيث لم تكن المشروعات التجارية بهذا الاتساع والمنافسة الشديدة، ففي فترة الحرب الأهلية على سبيل المثال كانت **العملية الشرائية والبيعية تتم بين البائع والمشتري من خلال جهد البائع أحيانا وخداعه أحيانا أخرى، وكان المبدأ السائد في ذلك الوقت « دع المشترى ينتبه » Let the buyer betware** أي أن المشتري هو المسؤول، وعليه أن يتوخى الحذر في إيجاد السلعة الجيدة وشرائها وذلك بعد أن ساد في فترة أسبق المبدأ القائل « دع البائع ينتبه » Let the seller beware أي إن المسؤولية تقع بالكامل على البائع لأنه هو المسؤول عن إعطاء كل المعلومات، وهو الخبير في سلعته، وهو الذي يحافظ على عملائه ببيع الجيد من السلع.

لكن المتابع لنتائج الدراسات الإعلانية في مختلف دول العالم وبخاصة المجتمعات المتقدمة يجد أن صناعة الإعلان تحولت إلى عملاق ينفق بسخاء على العلماء والفنيين في هذا المجال، حيث إن ظاهرة مزعجة برزت في ميدان الإعلام منذ عام ١٩٥٠ تتمثل في انتقال أعداد كبيرة من المتخصصين في علم النفس والاجتماع ومختلف التخصصات الأخرى إلى ميدان الإعلام، وهؤلاء يقومون بدور خطير في التأثير في المستهلكين، ولم تعد المشكلة تنحصر في مدح السلعة، إنما أصبحت في التغلب على مقاومة المشتري الذي يصر على عدم احتياجه لها. إذ لا بد من دفعه إلى الشراء والتغلب على عبارة «أنا لا أحتاج هذه السلعة». لأن الاحتياج كما يقول خبراء الإعلان مجرد ظاهرة ومعظم السلع التي يندفع نحوها المستهلكون لا تعدضرورة بالمعنى المفهوم، **ووظيفة الإعلان تتجسد في إزالة الفرق بين ما نحتاجه فعلا وما نستطيع الحياة بغير وجوده في حياتنا.**

وخطورة الإعلان لا تقف عند إضعاف إرادة التمييز بين ما هو ضروري وما هو غير ضروري،

وإنما تمتـــد إلى تحويل الأجيـــال من البشر إلى مستهلكين ينـدفعـون إلى شراء السلع المعلن عنهـا بصرف النظـر عن مدى احتيـاجهم لها، وقد أكد ذلك أن هنـاك دراسـة تـؤكد أن وكـالات الإعـلان الضخمــة تخصص ميـزانيــة كبيرة لتشكيل أنماط استهلاك الأجيال الجديدة، فالإعلانات الموجهة إلى الأطفـال تتكلف ٦٠٠ دولار كل ساعـة، وهدفهـا تحويل الطفل إلى قوة ضغط داخل أسرتـه لإرغامها على شراء مـا يريـده واستغـلال هذه السن المبكـرة للضرب على أوتار معينـة لغرس قيم معينـة أيضا، **كما تؤكد الأرقـام الأمريكية أن المؤسسات الإعـلانية تنفق نحو ٤٠ ألف مليون دولار سنويا على الإعلان في الوقت الذي تنفق الحكومة الأمريكية نصف هذا المبلغ على التعليم الابتدائي.**

ضوابط دولية . . لماذا ؟

ونتيجة لـلأسباب السـابقة وبعـد أن لاحظت الحكومات والجمعيات الأهليـة والنقابات أن هناك خطورة في ترك الإعلان يعمـل دون مراعاة للظروف الاقتصـاديـة والاجتماعيـة، حـاولت كل الهيئـات المتخصصة وضع الضوابط والقواعد الأخلاقية التي تحكم العملية الإعـلانية خـاصة بعد أن أخـذ هذا النوع من الاتصال شكلا جديدا من حيث دراساته وأبحاثه في العقود الأخيرة، فقد أصبح علما يدرس ويحلل ويحتك بالإنسان في حيـاته اليومية، وعكف البـاحثـون فيه على معـرفة تأثيره في القيم الأسـاسية والمعتقدات، وطرحت العديـد من الدراسات التي تؤكد دور المجتمع من هيئات وحكومات في ضبط العملية الإعلانية وعدم مساسها بالموروثات.

وقـد نـــادت كثير من الآراء بضرورة أن يكـون للمعلنين ولوسائل الإعلان المختلفة معايير اجتماعية وأخلاقيـة، وذلك بعد أن أصبح الإعـلان التجاري هـو سيد الموقف في مجال التسـويق من حيث كثـرة انتشاره وتفضيل المعلنين له.

وقـد ظهرت استجـابات كثيرة لهذه النـداءات أخذت محورين رئيسين :

الأول : نادى بعدم وضع أية قيود على الإعلان وتركـه حرًا مثل بـاقي مواد التسليـة والأخبار حيث يجب ألا تتدخل الحكومة في محتوى أية إعلانات.

ضوابط للإعلان كيف ولماذا؟



أما الرأي الثاني : فيرى أن على الحكومـات أن تحمي المصلحة العامة Public imterest وذلك بأن تحافظ على المستهلكين من عمليات الحيل والخداع التي تقنع المستهلك من خلال قوة الإعلان وتكلفته وإبهاره. كما أن عليها أن تحمي مصـالح الشركات المتنـافسـة وأن تلفت نظرهـا لخطـورة ممـارسـاتها الإعلانيـة غير المجديـة لأنها تتعارض مع مصـالح الجماهير.

وقد استشهد أصحاب الرأي الثاني لتبرير ذلك بأن هنـاك العديـد من البحـوث والدراسـات التي تمثلت في مجموعة الانتقادات الموجهـة للإعلان من الناحية الاجتماعية بصفة خاصة. وتشير نتائج هذه الدراسات إلى أن **الكثير من الإعلانـات تخرج عن الذوق العام وتقـاليد المجتمع** بدعـوى الخروج عن المألوف لجذب الانتباه إليها، **كما لا تأخـذ الكثير منها سوى مصلحة المعلن فتخـرج جارحة للشعور العام**ـ إلا أن هذا الانتقاد يمكن توجيهه إلى الكيفية التي يدار بها النشاط الإعلاني وليس إلى الإعلان في حـد ذاته ــ وكما يؤدي الإعـلان قيام الأفـراد بشراء سلع وخدمات لا يحتاجون إليها بل يشترونها بفعل الإلحاح الـدائم للحمـلات الإعلانيـة فإنـه يـؤدي كذلك إلى تشجيعهم على الإفـراط في الاستهلاك، وكذلك إشاعة الحقد في نفوس من لا يستطيع شراء السلع المعلن عنها على القادرين على شرائها.

كما تشير هــذه الــدراســات إلى أن كثيرا من **الإعـلانـات تعطي معلـومـات وبيـانـات مضللـة وخادعة** خـاصـة إذا ما كـانت درجـة المعلن إليهم منخفضـــة، وذلـك لإقنــاعهـم بشراء السلع والخدمـات، كما يـؤدي ذلك إلى خلق قيم مـاديـة وشخصية في المجتمع تتناقض مع الأهداف العامة للمجتمع، وكذلك عدم إعطاء المعلومات الكاملة الدقيقة وغير المتميزة عن السلعة المعلن عنها بحيث تمكن المعلَن إليه من الاختيـار السليم للمنتجات، فمثـلا توضّح معظم الإعـلانـات أن السلع المعلن عنها صحيحـة ومفيدة. كما أنها عـادة ما تفـرط في استخدام المبـالغات اللفظيـة كالصفـات الشائعـة «جيد ــ أفضل ــ أجود ـ ممتـاز ـ لـذيذ ــ أنظف ـ مـدهش ــ رائع . . . إلخ» بـالإضافـة إلى الكلمـة المفضلة لدى كثير من المعلنين وهي «جديد»، وكل هـذا الاستخدام غير الـرشيد لـلألفاظ والصفـات يجعل المعلن إليه يعيش في وهـم وصراعات نفسية.

وتضيف هذه الدراسـات إلى أن الإعلان أحيانا من خلال ممارساته يعمل على هدم القيم الحضارية التي غرستها الفنون المختلفة كالأدب والموسيقى كما أنه يتعارض في كثير من الأحيان مـع ماتقوم به دور العبادات ودور التعليم من غرس للفضيلة في نفوس النشء والشباب وذلك من خلال احتضانه وتركيزه على إدخـال الجنس والفتيـات العـاريـات أو شبـه العاريات في مضمون رسائله الموجهة إلى الجمهور.

الإعلان الأمريكي وتأثيراته

يؤدي الإعلان بشكل عـام في الولايات المتحدة دورًا رئيسـا في الحيـاة الاقتصــاديـة، فإن ظـروف الاقتصـاد الحر والمنافسـة الشـديدة بين الشركـات حتمت أن يكـون لهذا النوع من الاتصـال دور هام في الحيـاة الأمريكيـة. بل تعدى الإعـلان ذلك إلى خارج حـدود أمريكا حيث أصبح نمطا ونمـوذجا يحتـذيه العـديـد من دول العـالم سـواء المتقدمـة أو المختلفة، وسواء تنـاسب مع ظروف تلك الدول أم تعارض معها، فالكثير من إعلاناتها تتضمن نفس محتوى الرسائل الإعلانية الأمريكية وطريقة العرض والإخـراج واستخـدام الصـــور. حتى الإعـلان في وسـائل الإعـلام البريطـاني لم يسلم من التأثـر من سيطرة النفوذ التي يمارسهـا الإعلان الأمريكي رغم قوة شخصية وسائل الإعـلام البريطاني، وقد أطلق أحـد المتخصصين على قـوة هــذا التأثير مصطلح

أمركة الإعلان البريطاني Amercanization of British Advertising، وقد صاحب هذا الكم الهائل من الإعلانات في الوسائل الأمريكية المختلفة العديد من الدراسات التي أجريت لمعرفة تأثير الإعلان في قيم الإنسان الأمريكي ومعتقداته ومدى قبوله أو رفضه لهذه الإعلانات. ومن هذه الدراسات: تلك الدراسة التي قام بها كل من Ray Mond Baure و Stephen Greyser على عينة من الجمهور الأمريكي بلغ عددها ١٨٤٦ شخصًا لدراسة اتجاهاتهم قبل الإعلان ومعرفة رأيهم فيما يحتو يه من قيم ومعتقدات وأخلاقيات تتوافق مع طبيعة الحياة الأمريكية أو تتعارض معها. وتعد هذه الدراسة من أهم الدراسات التي أجريت في السنوات الأخيرة حيث توصلت إلى عدة نتائج أهمها:

١ - أن الأمريكي العادي يعد الإعلان مسألة تالية لأعبائه العائلية ومشكلاته الخاصة من حيث تأثيره على النشء والشباب.

٢ - توصلت الدراسة إلى أن ١٥٪ من عينة الدراسة ترى أن الإعلان وظيفة إعلامية لا شك فيها، كما أنه ممتع في كثير من الأحيان، إلا أنهم تحفظوا في أن هناك إعلانات يمكن أن يطلق عليها الإعلانات المزعجة Annoying Advertising وكذلك هناك إعلانات كريهة Offenssive.

٣- كان المستهلكون الأكثر تعاطفا مع الإعلان يفضلون إطلاق كلمتي «إعلامي» و «ممتع» على وظيفة الإعلان، بينما أطلق المستهلكون الأقل تعاطفا كلمتي «المزعج والكريه» على الإعلانات التي يرون أنها تتعارض مع القيم والمعتقدات.

٤ - عرضت الدراسة عينة لـ«٧٨» إعلانا عن منتجات معينة ظهر من خلال رأي الجمهور فيها أن «٥٠» منها كريه بينما إعلان واحد كان مزعجا على حد تعبير المدروسين.

٥ - حينما سئل الذين اتهموا الإعلان بأنه كريه عن السبب الحقيقي وراء اتهاماتهم قالوا إنه يستخدم جملاً وعباراتٍ وصورًا تتعارض مع أخلاقيات المجتمع ويكررها.

نتيجة لهذه الأبحاث والدراسات وضعت حكومات الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية ضوابط رقابية تمثلت في مجموعة من القواعد والقوانين التي تحكم الإعلان.

وتشكلت الجمعيات والتنظيمات الأهلية والحكومية مثل الجمعية الأمريكية للإعلانات العامة وغيرها، وكلها تشرع مبادئ وقوانين تتوافق مع طبيعة المجتمع الأمريكي وغيره من مجتمعات دول الاقتصاد الحر.

ضوابط إسلامية.. كيف؟

إذا نظرنا إلى تصور النظم الوضعية في عالم اليوم بشكل عام لمفهوم «حماية المستهلك» نجد أن ذلك ينبع من خلال الفلسفة العامة التي تتبعها هذه النظم في مجالات الحياة المختلفة، ففي الاقتصاديات الرأسمالية يسود مفهوم سيادة المستهلك Consumer Sovereignith أي أن المستهلك هو الذي يحدد أهداف المجتمع الاقتصادية من تحديد أولويات الإنتاج وتوزيع الموارد الإنتاجية بين الاستخدامات المختلفة مع انتفاء وجود سلطة مركزية تؤثر في الإنتاج وتوزيع الموارد.

أما في الاقتصاديات الاشتراكية فنجد أن تفضيلات المخطط المركزي هي التي تحل محل تفضيلات الأفراد بوصفهم مستهلكين، ويرجع ذلك إلى إهمال هذه النظم لقوى السوق نسبيا وقيامها أساسا على الأخذ بالتخطيط المركزي الشامل لمجالات الحياة الاقتصادية ومراحلها كافة، ويؤدي اتباع مبدأ سيادة المستهلك الرأسمالية إلى تجاهل حاجات الفئات ذات الدخل المنخفض، حيث إن نماذج الإنتاج سوف تتشكل وفقا لغالبية الإنفاق الاستهلاكي، أي أن أصحاب الدخول المرتفعة الذين يملكون القوى الشرائية الأساسية في المجتمع، كما أن هذا المبدأ يؤدي إلى ظهور اختلالات هيكلية في الاقتصاد القومي ومنها الاحتكارات. ومن ناحية أخرى فإن إهمال النظم الاشتراكية لقوى السوق، واتباع أسلوب التخطيط المركزي الشامل قد أدى إلى نقص رفاهية الأفراد في هذه المجتمعات لعدم أخذ رغباتهم لكونهم مستهلكين في الاعتبار عند اتخاذ قرارات الإنتاج، بالاضافة إلى رداءة المنتجات نسبيا، وما يتبعه تبديد لموارد الإنتاج.

ويتعارض الوضع في النظامين مع غاية النظام الإسلامي الذي يتمثل في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية وإشباع الحاجات وفقا للأولويات «فالإسلام يعطي أولوية للحاجات الضرورية والتي تمثل في الأصل حاجات أصحاب الدخول

○ ميزانيات عالية لتشكيل واستحداث أنماط استهلاكية جديدة

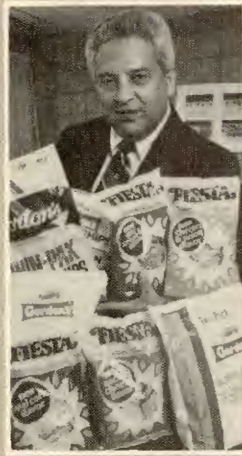




المنخفضة إلى جانب الحاجات الضرورية لأصحاب الدخول المتوسطة والدخول المرتفعة. فالمستهلك لا يملك القدرة دائما على اختيار أفضل الطرق وبالتالي تحديد أولويات الإنتاج، كما أن إلغاء تأثير رغبات المستهلكين في تحديد هذه الأولويات أمر يتنافى مع سلامة الحياة الطيبة، ولذا فإن الاسلام عدّ رضاء الله الأولوية الرئيسية التي يرمي إليها سلوك الفرد، وذلك بمراعاة الأحكام الشرعية لتنظيم معاشه وتقويم سلوكه وتحقيق مصلحة الفرد والجماعة.

ومن هنا ينظر الإسلام إلى الإنتاج النافع باعتباره واجبا لا يكتمل الواجب الديني إلا به. وعلى هذا الأساس يتعين أن تتركز الموارد الاقتصادية في إنتاج السلع والخدمات النافعة التي تشبع الحاجات السوية للإنسان، والتي تتشكل وفقا للأذواق والميول التي تكونها مفاهيم وقيم الإسلام وذلك في دائرة الحلال والحرام. ويترتب على هذا المفهوم أن الموارد الاقتصادية تستطيع أن تعطي في أيّ وقت وتحت أيّ مستوى فني للإنتاج مقدرة أكبر للإشباع، ذلك أن تطلعات الإنسان للاستهلاك المتنامي تظل منضبطة في إطار الحلال والحرام، وهو ما يسد منافذ الشهوات وأنواع السلوك الضارة التي تستنزف جانبا من الموارد، وجدير بالذكر أن الإنتاج قد يكون مشروعا ولكن الوحدة الإنتاجية ذاتها قد تستغل السوق وتمارس سياسة احتكارية معينة، وهنا يحرم الفعل اللاحق للإنتاج، حيث إن إنتاج سلعة معينة قد يحقق ربحًا للمنتج أو للبائع في الوقت الذي تلحق السلعة أضرارًا كبيرة بالمجتمع. وهذه الأضرار ليست أضرارًا مادية فقط بل قد تمثل أضرارا أخرى كالمساس بالعقيدة وبأخلاق المجتمع.

ضوابط للإعلان كيف ولماذا؟



وعلى الرغم من عدم وجود الإعلان بممارسته الحديثة في صدر الإسلام وماتلاه من مراحل، إلا أن الشريعة الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حددت معالم دنيوية خاصة بجميع أنشطه الحياة لتنظيم العلاقة بين المسلم والمسلم، وبينه وبين سائر البشر. من هذه المعالم ما يختص بحماية المستهلك من الحيل والخداع التي يروج لها البائع في إعلانه عن سلعته إلى المشتري. وقد كان المشروع المسلم يهدف إلى إيجاد نوع من المودة والصدق والحرص على المصالح المشتركة للطرفين وكذلك المصلحة العامة للدولة الإسلامية التي حملت في طياتها طبقًا للقرآن والسنة قواعد الدين والدنيا.

وقد دارت الضوابط الإسلامية للإعلان حول عدة محاور أهمها:

١) **التزام المعلن بالجودة** فلا يحق لإنسان أن يبيع أو يعلن عن سلعة بها عيب لإنسان آخر إلا إذا أظهر له العيب وعرفه به، فإن قبله فلا ذنب عليه في ذلك وإلا أصبح خادعا له. **يقول الرسول ﷺ «المسلم أخو المسلم، لا يحل لمسلم باع من أخيه بيعا وفيه عيب إلا بينه».**

٢) **عدم حجب المعلومات**: من أهم الأسس لحماية المستهلك جعل كل المعلومات التي يحتاج إليها المشتري والتي تساعده في اتخاذ قراره بالشراء متاحة أمامه لتعينه في اختيار ما يشبع حاجته، فإن حجبت عنه تلك المعلومات وقع في متاهة التخمين، وقواعد حماية المستهلك لا ترضى بالتخمين أساسًا لعملية البيع والشراء. وفي نفس الوقت لا يصح حجب المعلومات عن الباعة الجالبين للسلع من خارج المدينة وخصوصا عن جودة السلع المعروضة في الأسواق وما يقابلها من أسعار، **لذلك نهى رسول ﷺ عن ذلك بقوله: «لا يبع حاضر لبادٍ، دعوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم بعضا».**

٣) عدم إعطاء معلومات غير صحيحة: فإعطاء معلومات غير صحيحة للمستهلك يعد أكبر ذنبا من حجب المعلومات عنه، ففي الحالة الثانية علم المستهلك بنقص المعلومات فتصرف في ضوء ذلك، ولكن حصوله على معلومات غير صحيحة سوف يجعله يتصرف في صور المعلومات المتوافرة مما قد يعود عليه بالضرر الكبير، فالغبن في التعامل سواء من جهة السعر أو الجودة أو الكمية لا يجوز وإذا اكتشفه المشتري خلال ثلاثة أيام حق له أن يعيد السلعة التي اشتراها ويسترد الثمن. **وقد أمر الرسولﷺ الباعة بأن يقولوا حين البيع «لا خلابة» أي لا خداع في البيع.**

٤) **مراعاة مصالح السذج والبسطاء**: وهذا المبدأ يطلق عليه خبراء الإعلان في الغرب «حماية الفئات غير الرشيدة» ويقصد بهم الأطفال والأفراد ذوو الخبرة القليلة عن الحياة وغير المتعلمين وما شابههم.

وإذا كان القانون الوضعي يرى أن القانون لا يحمي المغفلين - أي إنه يحمي غير المغفلين الذين لا يحتاجون - فالمفروض أن الحماية لمن لا يستطيع أن يحمي نفسه وتهضم حقوقه. **ولذلك فإن الإسلام يدعو إلى العكس، فحماية الضعيف والساذج من أهم الأمور التي وضعها المشرع المسلم في الحسبان.**

○ الإنتاج النافع واجب إسلامي لا يكتمل الواجب الديني إلا به.



آفاق اجتماعية

الحرمان العاطفي للطفل

د. تماضر حسون

إذا كانت أهم حاجات الطفولة الأولى الملموسة حاجات فيزيولوجية، فإن لدى الطفل حاجات أخرى لها طابع علائقي ولا تقل أهمية عن الأولى، كالحاجة إلى المحبة والحنان والطمأنينة والأمن العاطفي، ونلمس تلك الحاجات مع أول ابتسامة أو عبوس يعلو محيا الوليد والتي تشير إما إلى شعور الطفل بالأمن والطمأنينة والرضا والارتياح، أو تشير إلى شعوره بالخوف والقلق وعدم الارتياح وفقدان الأمن. ويتأتى هذا الشعور نتيجة لروابط الوليد وعلاقاته مع محيطه . ، وعلى وجه التحديد مع الأم التي تمثل عالم الطفل المتكامل، فهي البيئة والمناخ وهي الغذاء والشراب، وهي الأمن والطمأنينة والسعادة. بل أكثر من ذلك أنها العالم الذي يتحد به الطفل، أي أنه نوع من الاتحاد والالتحام المعاش بينه وبينها.

وتشير دراسات علماء النفس ـ على اختلاف مذاهبهم ـ إلى النتائج الخطيرة والعواقب المريرة التي يقود إليهما حرمان أو عدم إشباع حاجات الطفل من روابط الأمومة وعواطفها . ونورد على سبيل المثال نتائج الدراسات الاكلينيكية لعالم النفس (R,SPITZ) التي أكدت على أن « حرمان الطفل من دفء علاقات وروابط الأمومة العاطفية خلال الشهور الثمانية الأولى من عمر الطفل، يدخل الطفل بشكل متزايد في حالة من الخمول والسقم وتؤثر على نموه العام، بل قد توقفه » .

كذلك أكدت دراسات عالم النفس (R, MUCCHIELLI) بأن « النقص أو الحرمان من علاقات الأمومة العاطفية السليمة خلال الشهور الأولى من عمر الطفل يخلق تصدعات عاطفية في نفسية الطفل تؤدي لنتائج خطيرة جدًا على المدى البعيد على الصعيدين العضوي والنفسي تصل إلى فشل الفرد ـ فيما بعد ـ في تنظيم وتكوين علاقات سليمة مع المجتمع، وعدم مقدرته على إشباع حاجاته الضرورية بشكل لائق ومقبول، وقصور واضح في رسم صور طبيعية عن الجسد، كما تقود في كثير من الأحيان إلى الشيزوفرينيا وإلى أمراض نفسية أخرى يعاني منها مدى الحياة » . وإذا كانت تلك الاختلالات النفسية لا تدخل في عداد الانحراف بالمعنى القانوني للانحراف، ولكنها انحراف بالمعنى النفسي للانحراف الذي قد يكون نواة للانحراف الاجتماعي الذي يعنيه القانون ومعايير المجتمع وقيمه.

أما دراسات علم الاجتماع وعلم الاجتماع النفسي فتشير إلى تداخل وتشابك وترابط العلاقة بين الانحراف والفقر في عواطف الأمومة خلال السنة الأولى من عمر الطفل، إذ تظهر الدراسات الميدانية أهمية العلاقة بين الأم والطفل والانحراف المستقبلي، إذ إن تلك العلاقة (الأم ـ الطفل) ستتحول فيما بعد إلى العلاقة المتبادلة بين الحدث والآخرين من أفراد المجتمع، تلك العلاقة التي تفسر الانحراف عند الصغار وعند البالغين. وقد جاءت نتائج دراسة (د. تماضر حسون) عن انحراف الأحداث في الوطن العربي مؤكدة على أن « الحرمان أو النقص في عواطف الأم ورعايتها وحنانها ومحبتها تعني حرمان الطفل من إشباع حاجات ضرورية وأساسية لتحقيق نمو متوازن لشخصيات الأطفال . هؤلاء الأطفال الذين تكبدت تجاربهم العاطفية الأولى الكثير من الإحباطات والحرمان فظهرت فيها بعد على شكل ردود فعل، وتوترات، ورفض لقيم ومعايير وقوانين المجتمع . ولمس ذلك واضحًا من خلال عدوانية الأحداث المنحرفين، والعناد والمشاكسة التي تأصلت في شخصياتهم، ومن خلال تعطشهم المفرط في الجري وراء الملذات وإشباعها بالطرق غير المشروعة، ومن خلال فرض السيطرة والهيمنة لزعماء العصابات أو الانقياد والرضوخ لأفراد العصابة من الأطفال. وكل ذلك يعيق نماء الفرد، ويمنع تكيفه مع ظروف الحياة » .



ومهما اختلفت وجهات نظر علماء الاجتماع والنفس، فإن الحقيقة الكبرى التي أجمعوا عليها هي أن السنة الأولى من عمر الطفل تعتبر بمثابة التربة الخصبة والصالحة لنمو جميع أشكال مشاركة الطفل المستقبلية في الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال العلاقات التي يعيشها مع الأم. وبرأينا لن تكون أشكال مشاركات الطفل المستقبلية ــ على جميع المستويات ـ مشاركة سوية وسليمة، ما لم تُحِط الأم وليدها بكل رعاية واهتمام وحب، الأمر الذي ينسج خيوط الأمن والرضا والطمأنينة لطفل اليوم وبالغ الغد.



من أدب الخيال العلمي:

الألعاب الأولمبية بين سكان الكواكب

بقلم: إيان ستوارت ترجمة: عدنان عضيمة

فرغت كلوديا أستروتشايلد لتوّها من رحلة فضائية مملّة دامت ثلاثة أشهر كاملة حتى وصلت إلى عطارد قادمة من الأرض لترأس الاجتماع السنوي الأول للجنة الأولمبية الشمسية. ومنذ تمّ انتخابها رئيسة للجنة قبل أربعة أشهر، كانت تقدّر جسامة المهمات التي تنتظرها، فلقد كان عليها أن تقابل مندوبي الكواكب الشمسية الذين لا تعرف عن طباعهم إلا القليل، كما أنها تعلم مدى صعوبة التصدّي للمشكلات المدرجة في جدول أعمال اللجنة التحضيرية والمتعلقة بوضع أسس وقواعد جديدة لتقويم إنجازات الرياضيين وتعيين الفائزين في مختلف المنافسات والمسابقات الرياضية تحت الظروف الفيزيائية السائدة في مختلف الكواكب والتي تتباين بشكل كبير من كوكب لآخر.

وما كادت أستروتشايلد تخطو خطواتها الأولى نحو قاعة الاجتماعات الكائنة في باحة المركز الأولمبي لمدينة عطارد حتى تحلّق حولها جمع من الصحفيين.

بادرها أحدهم بالسؤال صائحا:

ــ أيتها الرئيسة أستروتشايلد، لماذا أنفقت لجنتكم نصف ميزانيتها لعقد هذا الاجتماع في عطارد؟

أجابت:

ــ لقد خطّطنا، كما كنت أعلنت من قبل، لإجراء الألعاب الرياضية الأولمبية بين سكان الكواكب هذا العام الموافق لمرور ٢٠٩٢ سنة على الميلاد. ولا شك أنها ستمثّل حدثا تاريخيا عظيما. ولكن تنظيم هذه الألعاب ينطوي على مشكلات عويصة لا عهد لنا بها. وسوف أجتمع لتوّي بمندوبي الكواكب الشمسية كافة هنا في عطارد لمناقشة هذه المشكلات. ولكي لا تتهمني بنسيان المضمون الأساسي لسؤالك، اسمح لي أن أذكرك بأن المندوبين كانوا قد اتفقوا عبر سلسلة من الاتصالات المنقولة مباشرة إلى وسائل الإعلام على عقد الاجتماع الأول للجنة في عطارد باعتباره أقرب الكواكب إلى الشمس.

تساءل صحفي آخر مستغربا:

ـ ما نوع المشكلات التي تتحدثين عنها؟

أجابت:

ـ إن جميع المقابلات والمنافسات يجب أن تجري في نفس الوقت فوق كل الكواكب بالإضافة لقمر



الأرض لسبب بسيط يتلخص في أننا لا نستطيع أن ننقل ملايين الرياضيين والمشاهدين عبر النظام الشمسي. وهكذا يتضح أن على اللجنة أن تجد الطرق المناسبة لجمع المنافسات وإجراء كل منها فوق كل الكواكب في وقت واحد. وأجد من واجبي أن أذكّر بأن شركة البثّ الإذاعي والتلفازي عبر الفضاء (IBC) قد دفعت للجنتنا تريليون دولار (ألف مليار دولار) مقابل بثّ المنافسات التي تجري فوق كلّ كوكب.

أضاف الصحفي سائلا :

ــ أيتها الرئيسة أستروتشايلد. . هل لديك أفكار مسبقة حول كيفية جمع المنافسات ؟

أجابت :

ـ نعم. سوف يشارك الرياضيون في المنافسات في كل من هذه الكواكب تحت إشراف الحكّام المحليين. وسوف تجمع النتائج النهائية من كل الكواكب ليتم بعد ذلك إقرار منح الرياضيين الذين حققوا أفضل ثلاث نتائج الميداليات الذهبية والفضية والبرونزية على الترتيب. وسوف يطبّق نفس هذا المبدأ على سباقات السرعة إلا أن المتسابقين سوف يجرون سباقاتهم ضد الساعة.

استدرك نفس الصحفي قائلا :

ـ سيّدة أستروتشايلد. . كيف تتصورين أن يكون لأي من هذه المنافسات معنى ما دامت الظروف الفيزيائية تختلف كثيرا من كوكب إلى آخر ؟

أجابت :

ـ لقد سبق أن تطرقنا لهذه المسألة باختصار. اسمح لي أن أشكرك على طرحك لهذه الأسئلة المهمة. ولعلها أيضا مناسبة يجدر بي أن أستغلها لأقدم شكري إلى أمم الكوكب عطارد وشعوبه كافة لما أبدوه حتى الآن من كرم الضيافة، ولما تمكنوا من إضافته إلى الأبعاد الفكرية والعلمية لنشاطات اللجنة الأولمبية الشمسية. وأذكّرك أننا جئنا إلى هنا لمناقشة التفاصيل، ولقد عزمنا على بدء المناقشات بعد دقائق في تلك القاعة الرائعة التي تراها هناك.

شقّت كلوديا أستروتشايلد طريقها بصعوبة عبر حشود الصحفيين والمندوبين حتى بلغت الكرسي الوثير المخصص لها في القاعة. وما إن أعلنت أستروتشايلد عن جواز الشروع في مناقشة البند الأول من محاور الاجتماع حتى سارعت ويلما كراترسون مندوبة قمر الأرض إلى رفع يدها بحماسة وشرعت تقول :

ــ أيتها الرئيسة، إنني أرغب في تقديم اعتراض. فأنا أعتقد بأن رياضيي كوكب المشتري سوف يستأثرون بفوائد استثنائية في رياضة رفع الأثقال بسبب القطر الكبير للكوكب.

ما كاد مندوب المشتري توماس هيدسكويت يسمع ملاحظة كراترسون حتى صاح بعصبية بالغة :

ـ ما هذا الذي تقولين ؟ إن ما قلته غريب حقا.

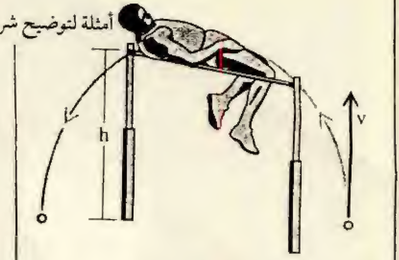
ردّت كراترسون على استغراب هيدسكويت بهدوء بالغ وقالت موضّحة :

ــ إن من المعروف تماما أن رافعي الأثقال يحققون إنجازات أفضل عندما تجري المنافسات عند ارتفاعات أكبر. وما دام الارتفاع يمكن أن يعرّف بأنه المسافة من مركز الكوكب إلى سطحه، وبما أن قطر المشتري أكبر من قطر أي من الكواكب الأخرى، فإن رياضيي المشتري المتخصصين برفع الأثقال سوف يستأثرون بفائدة هائلة.

صاحت أستروتشايلد مستغربة بعد سماعها لملاحظات كراترسون :

ـ هل هذا صحيح ؟ إنها حقا ملاحظات تدعو إلى الدهشة.

أمثلة لتوضيح شروط الإنجاز الأمثل للرياضيين :



في القفز العالي : يتعيّن على الرياضي أن يحقق قوّة دفع لجسمه إلى الأعلى تعطيه سرعة ابتدائية رأسية عظمى .



في القفـز الطويل : يتعيّن على الـرياضي أن يـدفع جسمه بأكبر قـوّة ممكنة وبـزاوية قـذف مناسبـة تبلغ فوق كل الكـواكب ١٧ , ٧١ درجة .

تدخّل هيـدسكويت قـائلا وهو ينتصب على رأسي قدميه :

ـ وهل تشك مندوبـة قمر الأرض بأن الجاذبية الكبيرة للمشتري سوف تخلـق صعوبـات جمّة أمام رافعي الأثقال فوق هـذا الكوكب الجبّار ؟ لعلّكم على درايـة تـامـة أيها السـادة والسيـدات بأن قـوّة الجذب الكـوكبي تؤدي دورا أكبر بكثير من الـذي يـؤديه الارتفـاع في مجال إنجازات رافعي الأثقـال . وأرى أيضا أن أصحّح ملاحظة السيدة كراترسون لأقول بأن الارتفاع يقاس عن مستوى سطح البحر وليس عن مركز الكوكب .

علّقت كـراترسون على كـلام هيـد سكـويت بمـلاحظـة نمّت عن بعض السطحيـة في التفكير حين قالت :

ــ دعني أذكرك يـا سيـد هيدسكـويت بأنـه لم يسبق للمشتري أن امتلك بحرا على الإطلاق .

ردّ عليها هيدسكويت :

ـ ولكن هذه الملاحظة تنطبق على القمر أيضا .

قالت كراترسون :

ـ بل إن للقمر بحراً . ألم تسمع ببحر الهدوء ؟

في هذه اللحظـة عمّت القـاعة ضجّـة وجلبة جعلتا أستروتشايلد تمتعض وتتململ في مقعدها . قرعت على منضدتها بعصبية وقالت :

أرجـو أن تتمسكـوا أثناء الحوار بـآخـر كلمـة قالتها السيدة كراترسون . . . الهدوء .

تدخلت كراترسون من جديد قائلة :

ـ إنني أقترح أن يتم ضبط نتائج منافسات رفع الأثقال وتعديلها بإخضـاع النتائج لتأثيرات القطر الكوكبي .

قفـز منـدوب الكـوكب بلـوتـو من مقعـده صائحا :

ــ إنني أوافقك الـرأي يا سيّـدة كـراترسـون . مرحى لك .

قال هيدسكويت :

ـ إن للقمر قطرًا صغيرًا وجاذبية ضعيفة بحيث إن أي إنسـان يمكنه أن يـرفع أطنـانـا فوقـه ، فهل تـريـدان والحال هكذا أن تستفيـدا من هـذه الميـزة الإضافية للاستئثار بأرقـام قياسية تحققانها من مجرّد استغـلال الظـروف الفيـزيـائيـة التي يجري فيهـا التنافس ؟

عندئذ تدخلت أستروتشايلد قائلة :

ــ أعزائي المنـدوبين ، كلنـا ندرك أن الظـروف الفيـزيائيـة تختلف اختـلافـا بيّنـا في أرجاء النظـام الشمسي . وأنـا أعتقـد بأن علينـا أن نجد طـريقـة تسمح لنا بـاستشفاف مدى تأثير هـذه الظروف في إنجـازات الـريـاضيين . وإذا اقتضـت الحاجـة ، سيكون علينا أيضا أن نخضع النتائج في كل كوكب للتعديل استنادا إلى معيار يسمح لنـا بالوقوف على الإنجاز بغض النظـر عن الظروف الفيزيـائية . ولا شك أننـا نستطيع أن نعـالـج المشكلـة هنـا فـوق عطارد ، لذا فـأنا أقترح تشكيل لجنة فرعيـة لمناقشة هـذه المسألـة مؤلفـة من منـدوبَيْ القمـر والمشتري بـالإضافـة لمنـدوب كوكـب الزهـرة بـاعتباره ممثـلا للكواكب ذات الحجم المتوسط .

بعد فوز اقتراح أستروتشايلد بموافقة المندوبين كـافـة ، عقـدت اللجنة الفـرعيـة أول اجتماعـاتها بمشاركـة كراترسـون وهيدسكويت وآلن بـلاندي منـدوب كوكب الـزهرة . قـال بلانـدي في مستهل الاجتماع :

ــ لا شكّ أننـا نتفق جميعـا بأنـه ليس لقطر الكوكب أو القمـر تأثير مهم في نتائج ريـاضة رفع الأثقـال . ولعلكم تتفقـون معي على أن الجاذبيـة تؤدي دورا أسـاسيا في هـذا الصدد ، ولهذا السبب يجب أن تضرب الكتل المرفـوعـة بقيمـة التسـارع الكوكبي للجاذبية .

أضاف هيدسكويت مفسّرا :

ـ هذا هو ما يدعى الثقل ، إنه جداء الكتلة في تسـارع الجاذبيـة . ولو لم تكـن للجاذبيـة أهميـة في الموضوع لكـان علينا أن نسمّي هـذه الريـاضة رفع الكتل وليس رفع الأثقال .

عقّبت كراترسون قائلة :

ـ لا بـد أن هذا صحيح ، ولكن هذه الريـاضة تتطلّب أن يقوم الريـاضي برفع الثقل بأقصى سرعة ممكنة إلى الأعلى ، وهنا نتكلم عن الدور الذي يؤديه عمل محصلة القـوتين : الرافعة للريـاضي والجاذبة للكـوكب بـدل الحديث عن القوة الثـابتـة للثقل . وتعلمـون أيها السادة أن عمل محصلـة القوّتين هـو التغيّر في الطاقة الحركية للكتلة المرفوعة ، والتغيّر في الطاقة الحركية يتعلق بالكتلة لا بالثقل .

قال بلاندي :

ــ سـوف نـدرج ملاحظتك هـذه في التقـريـر النهـائي . والآن لننتقل إلى البنـد الثـاني في جـدول أعمالنا والمتعلق برياضات العدو .

قال هيدسكويت محذّرا :

ــ إن هذا الأمـر سيكـون في غـاية التعقيـد إذا دخلنا في التفاصيل . ولذلك سيكون أفضل ما نقوم به هو اللجوء إلى تحليل نموذج معقول . وأعتقد أن هنـاك تبسيطـا للقضيـــة يمكن أن ينطبق على كل منافسات العَدْو فيما عدا القصيرة منها . وعلينا الآن أن نأخذ في اعتبـارنا المركبة الأفقية لسرعـة الرياضي لأنـه عنـدمـا يعـدو الريـاضي ، تتحـوّل الطـاقـة الكيميائيـة في عضلاتـه إلى طاقـة حركيـة ، وتكون المركبة الهامة للسرعة هي المركبـة الأفقية التي تدفعه إلى الأمام . وأنتم تعلمون بأن الطاقة الحركية تساوي جداء نصف كتلة الرياضي في مربّع سرعته

$\text{طح} = \frac{1}{2}\,\text{ك}\,\text{ع}^{2}$. ولهذا فإن سرعة الرياضي اللحظية تعطى بالعلاقة :

$$\text{ع} = \sqrt{\frac{2\,\text{طح}}{\text{ك}}}$$

التي يتضح منها أن السرعة تكون مستقلة عن التأثر بقوة جاذبية الكوكب. وباختصار يمكن القول إنه لا ضرورة لتعديل النتائج وفقا لتغيّرات التسارع الجاذب للكواكب في سباقات العدو.

استدركت كراترسون قائلة :

ـ أعتقد ذلك، ولكن العدو يكون مصحوبا أيضا بحركة ارتفاع وانخفاض، وهذه الحركة تتعلق بقيمة التسارع الكوكبي الجاذب.

ردّ هيدسكويت :

ـ من أجل هذا السبب قلت مسبقا بأن علينا أن ندرس السباقات القصيرة بدقة أكبر ولكن ليس الآن. وأعتقد أن على الرياضيين المتخصصين بمسابقات العدو أن يتدربوا على تقنيات التحكم بالعضلات حتى يتجنبوا الحركة الرأسية قدر الإمكان.

عقب هذا النقاش وافق أعضاء اللجنة الفرعية على عدم إجراء أي تعديل على نتائج سباقات العدو للمسافات الطويلة. واقترح بلاندي بعد ذلك الشروع في التداول حول منافسات القفز العالي.

كانت كراترسون كعادتها البادئة في التعليق حيث قالت :

ــ لا شك أنكم ستوافقونني على أن هناك علاقة مباشرة بين رياضة القفز العالي وقوّة جاذبية الكوكب.

أجاب هيدسكويت معقبا :

ــ نعم أنا أتفق معك على ذلك، وأرجو أن تسمحي لي بطرح نظريتي الشخصية حول تأثيرات قوّة الجاذبية الكوكبية على رياضة القفز العالي. افترضوا معي الآن أن قافزا كتلته ك قد قفز رأسيًا بسرعة ابتدائية ع، إن قيمة هذه السرعة تتعلّق أساسا بقوة دفع الجسم إلى الأعلى ولكنها لا تتعلق بقوة الجاذبية الكوكبية. وأنتم تعلمون أن الطاقة الحركية للقافز تساوي ١/٢ ك $ع^{٢}$، فإذا قفز الرياضي لارتفاع (ع) فإن طاقته الحركية تتحول إلى طاقة كامنة ثقالية تساوي جداء كتلته في تسارع الجاذبية الكوكبية في الارتفاع المقطوع أي ك جـ ف، ونستخلص من ذلك المعادلة التالية :

$$ك\ جـ\ ف = \frac{١}{٢}\ ك\ ع^{٢}$$

ونستخلص منها أن :

$$ف = \frac{ع^{٢}}{٢\ جـ}$$

مما يعني أن الارتفاع الذي سيبلغه القافز يتناسب عكسيّا مع التسارع الكوكبي، فكلما كانت عجلة الجاذبية (ج) أكبر كان الارتفاع الذي سيبلغه القافز أقل.

قالت كراترسون :

ـ لقد نسيت شيئا هاما يا سيّد هيدسكويت. إن مركز كتلة الرياضي لا ينطلق من مستوى سطح الكوكب عندما يقفز بل من ارتفاع متر واحد تقريبا.

ردّ هيدسكويت :

ـ إنك على صواب يا سيّدة كراترسون، وأنا أشكرك على هذا التصحيح الضروري. ويمكنني ببساطة أن أدرج ملاحظتك الهامة في القانون السابق بإضافة متر واحد إلى الارتفاع الذي يبلغه القافز ليصبح القانون على الشكل التالي :

$$ف = ١ + \frac{ع^{٢}}{٢\ جـ}$$

أضاف هيدسكويت :

ـ هل تسمحون لي بإدراج بعض المقارنات التي تستند إلى هذا القانون الجديد ؟

أجابه بلاندي :

ــ بكل تأكيد. هذا بالضبط ما كنت أعتزم طلبه منك.

أكمل هيدسكويت شارحا :

ـ أرجو أن تعيروا أمثلتي هذه انتباهكم. فقبل نحو قرن من الآن، وبالضبط في عام ١٩٨٨م، كان الرقم الأولمبي في القفز العالي لصنف الرجال على كوكب الأرض (٢٣٨) سنتيمترا، وهو الذي حققه الرياضي السوفييتي جينادي آفدييتكو، أما الرقم النسائي فهو (٢٠٣) سنتيمترات وسجلته الرياضية الأمريكية لويزا ريتّير في نفس العام. وباستخدام القانون السابق، توصلت بالحساب إلى أن السرعة الابتدائية الرأسية التي قفز بها آفدييتكو بلغت ٥,٢٠٣ مترا في الثانية ولريتّير ٤,٤٩٥ مترا في الثانية. فهل كانا سيقفزان لنفس الارتفاع لو أن المنافسات حدثت على سطح القمر ؟ لقد بيّنت معادلاتي أنهما سيبلغان هناك الارتفاعين (٩٣٦) سنتيمترا و (٧٢٤) سنتيمترا على الترتيب، أما في المشتري فإنهما سيقفزان (١٥١) سنتيمترا و (١٣٨) سنتيمترا فقط.

قالت كراترسون بحدة معلقة على كلام هيد سكويت :

ــ إن كلامك لا يصدّق. فهل تعني أن الرياضيين على سطح القمر يستطيعون القفز لارتفاع يزيد على علوّ بناء مؤلف من طابقين في حين لا يقفز رياضيّو المشتري لأعلى من مقاعدهم؟

ردّ عليها بلاندي بشيء من الحنق :

ــ ألا تقتنعين بالأمثلة والأرقام يا سيدة كراترسون؟

وبعد أشهر متواصلة من النقاش، توصل هيد سكويت وكراترسون وبلاندي إلى طرق وأساليب تسمح بتعديل نتائج كافة الرياضات الأولمبية التي ستجري في مختلف الكواكب، وكانوا جميعا على ثقة بأن حساباتهم يجب أن تستجيب تماما لتأثيرات قوى الجذب الكوكبي. وبالرغم من أن الألعاب الأولمبية الأولى بين سكان كواكب النظام الشمسي والتي جرت وقائعها عقب انتهاء أعمال المؤتمر قد تميّزت بنجاح باهر إلا أنها تميّزت بحدثين مفاجئين. أولهما تمثل بفوز رياضيي القمر بالمراتب الأولى لكل الرياضات، وثانيهما يتعلق بالاختفاء المفاجيء والغامض للسيدة كراترسون. ولقد أثار اختفاؤها الحزن الشديد بالنسبة لسكّان النظام الشمسي كافة، وخاصة منهم بلاندي وهيد سكويت. وما زال البحث عنها مستمرا في الكواكب والأقمار الشمسية كافة حتى هذه اللحظة !

المصدر :

- Mathematical Recreations : The Interplanetary Olympics by Ian Stewart. "Scientific - American" Magazine, volume 267, August 1992, pages 101-103.

« قرية ظالمة »
وأزمة الضمير الإنساني

بقلم: عبد المنعم مجاهد عبد الوهاب

للتاريخ بريق خاص للباحث أو للروائي على السواء، فالتاريخ هو الماضي المدون والواقع هو الحاضر المعيش، والعلاقة بينهما علاقة وثيقة لا انفصام لها، وللتاريخ قوة جذب للروائيين في العصر الحديث حملت بعضهم على اختيار بعض أحداثه وعرضها في شكل روائي، ويتفق أغلب الباحثين على أن جورجي زيدان هو رائد الرواية التاريخية، وله قصب السبق فيها على الرغم مما وجه إليه من نقد [١] ونضجت بعد ذلك على يد عادل كامل ونجيب محفوظ وعلي أحمد باكثير ومحمد فريد أبو حديد، إذ استطاع كل منهم أن يوائم بين اختيار موضوعه التاريخي وقضايا الحاضر الذي يكتنفه[٢].

روائي .. ومؤرخ

إذا كان التاريخ مدونا في كتبه فما الذي يضيفه الروائي إلى التاريخ ؟ وهل الرواية التاريخية رواية تأريخية ؟ ! وبمعنى آخر هل الروائي في هذه الحالة يصبح مؤرخا ؟ .

الروائي لا يصبح مؤرخا إلا إذا تخلى عن خياله القصصي، فهو كما قال أنتوني برجل : مؤرخ ليست لديه حساسية مؤقتة لتذوق التاريخ، وإنما هو روائي اكتسب الخيال القصصي للتاريخ بصفة عامة [٣] والخيال الإبداعي هو الذي يجعل الروائي يتمثل أسلوب حياة تلك المرحلة التي يكتب عنها، وبقوة الخيال « يستطيع استحضار الأحاسيس والمشاعر التي ألمت بنفوس أهل تلك العصور الغابرة»[٤].

والمؤرخ مادته الماضي، فهو يسجل ما حدث، ولا يتدخل في هذا وإنما هو ناقل في أغلب الأحوال ناقد في أحوال أخرى، وهو يأخذ أسلوب السرد دائما وليس له شكل روائي محدد وهو بهذا يحاول إماطة اللثام عن الماضي، والروائي « ينظر بباصرته نحو الماضي بهدف تحقيق التواصل الإنساني أو وحدة التجربة الإنسانية ثم هو - ببصيرته - يحاول أن ينبئ عن رؤيته لغد يظهر الغيب» [٥].

وبهذا فإن مهمة الروائي ليست تعليم التاريخ للقارئ وإنما هو ينطلق منه للحاضر والمستقبل. **واتفق الباحثون على أن الروائي لابد أن يحتفظ بحوادث التاريخ كما هي وليس له الحق في تزييفها وإنما من الممكن أن يضيف بعض الشخصيات التي تساعده في البناء الفني للرواية** كما أنه من الخطأ أن يجعل الروائي طريقة تفكير الشخصيات طريقة عصرية، ويرى أدهم أن سبب ظهور الرواية التاريخية هو نقص العنصر الفني في كتابة التاريخ [٦] وفي تقديرنا أن هذا السبب بما ينطبق على الروايات التاريخية التعليمية وليس على غيرها.

أقسام متعددة

يقسم الدكتور أحمد هيكل الرواية التاريخية قسمين :

الأول : هو الرواية التاريخية التعليمية وهي الرواية التي تتخذ من التاريخ مادتها الأساسية ويكون صبه في القالب الروائي لإساغته وتحسين عرضه.

الثاني : هو الرواية التاريخية القومية ويكون عرض التاريخ فيها بقالب روائي خدمة لهدف قومي أو تعبيرا عن إحساس وطني [٧]. ويمكن أن نضيف قسما ثالثا وهو الرواية التاريخية الفكرية وهي التي



تتخذ من التاريخ حادثة محددة لبث الأفكار فيها ومناقشة بعض القضايا الفلسفية من خلال تلك الحادثة، ويدخل في القسم الأخير رواية « **قرية ظالمة** » **للدكتور محمد كامل حسين**. وهذا الكتاب على يسره ووضوحه وصفائه لا سبيل إلى قراءته إلا بالعقل لأنه موجه إلى العقل وحده وإلى العقل الذي يفلسف الأشياء ويتعمقها ولا يطمئن إلا إلى ما يفهم حق الفهم ولا يكتفي بالجمل الغامضة ولا بالعبارات المبهمة التي يكتنفها اللَّبس، وليس في الكتاب فصل إلا وأنت

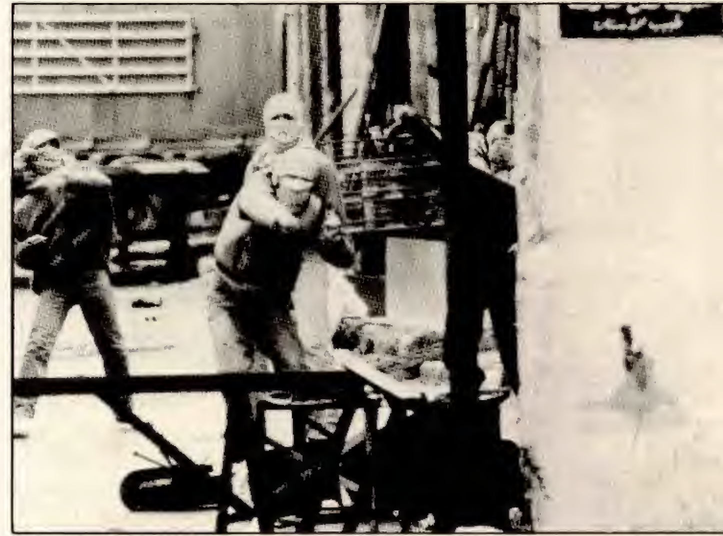
من كتاب العدد

● **عبد المنعم مجاهد عبدالوهاب .**
- من مواليد ٣٠/ ٤/ ١٩٦٦م.
- ليسانس الآداب، قسم لغة عربية، جامعة المنصورة .
- يكتب القصة القصيرة.
- له عدة أبحاث؛ ومقالات تناولت الموضوعات التالية : أحمد محرم، رثاء الزوجة في الشعر العربي المعاصر ، عن الأدب النسائي، الإمام الشافعي.



تقرؤه فتجد فيه ما يلذك ويمتعك ويدعوك إلى التفكير الطويل » [٨].

والدكتور محمد كامل حسين - مؤلف الرواية - ولد في العشرين من آذار (مارس) سنة ١٩٠١، والتحق بالتعليم المدني وكان الأول في شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩١٧ فالتحق بمدرسة الطب وظل الأول في دفعته طوال دراسته حتى تخرج سنة ١٩٢٣ فعمل فترة بالمستشفيات ثم سافر إلى لندن في بعثته العلمية سنة ١٩٢٥ وعاد يحمل زمالة كلية



الجراحين الملكية سنة ١٩٢٩ ثم يعود ليحمل درجة الماجستير في جراحة العظام من ليفربول، تدرج في مناصب هيئة التدريس مدرسا للجراحة سنة ١٩٢٦ فأستاذا مساعدا للدراسات العليا للجراحة سنة ١٩٣٢ فأستاذا لجراحة العظام سنة ١٩٤٠م.

كان جراحا ماهرا بارعا واعتز بمهنة الطب اعتزازا لا يدانيه اعتزاز، وعلى الرغم من تخصصه هذا نراه يقرأ في فلسفة أغطينوس وتوما الإكويني بقدر ما قرأ في الغزالي والفارابي وتبحر في التاريخ والفلسفة وعلوم الدين وتاريخ الطب وعلوم العربية، ودرس معجمات اللغة دراسة لا تقل عن دراسة المتخصصين، وقد جمع إلى إيمانه الكامل الشجاعة في إبداء آرائه الدينية فهو مثلا يلقي محاضرة في كنيسة ميدان الفريق عبد المنعم رياض بالقاهرة هاجم فيها فكرة التثليث في المسيحية مع أن عددا كبيرا من الرهبان كانوا يستمعون إلى محاضرته، ولما احتدت عليه واحدة من المسيحيات الحاضرات بسبب مهاجمته التثليث، لم يفقد كامل حسين أعصابه ورد عليها قائلا : لست وحدي الذي أهاجم التثليث ولكن نصف المسيحيين يشاركونني الرأي.

وفي سنة ١٩٤٥ أصبح عضوا عاملا في المجمع العلمي المصري، وفي آذار (مارس) سنة ١٩٥٢ انتخب عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية واختير مع **الدكتور طه حسين** لعضوية اللجنة العليا للإشراف على المعاجم التي تصدرها وزارة الثقافة، توفي في السادس من آذار (مارس) سنة ١٩٧٧م الموافق السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ، ومن أعماله « **التحليل البيولوجي للتاريخ** » و « **وحدة المعرفة** » و « **الذكر الحكيم** » « **الوادي المقدس** » و« **الشعر العربي والذوق المعاصر** » و« **اللغة العربية المعاصرة** » و« **قرية ظالمة** » التي نال عليها جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٥٧ [٩].

هذه القرية الظالمة

تتميز الرواية بأنها الرواية الوحيدة لمؤلفها على كثرة كتبه وأبحاثه وهو في هذا يشترك مع بعض الأساتذة الأكاديميين الذين أخرجوا رواية واحدة على الرغم من كثرة مؤلفاتهم في تخصصاتهم المختلفة ونذكر من ذلك على سبيل المثال : « **المنصورة** » « **للدكتور محمد مصطفى هدارة** » و « **فاتنة الخورنق** » « **للدكتور محمد رجب البيومي** » و « **العنقاء** » « **للدكتور لويس عوض** » و « **الباب المفتوح** » **للدكتورة لطيفة الزيات** » و « **قنطرة الذي كفر** » « **للدكتور العالم مصطفى مشرفة** » ، وقد ذكر بعض النقاد أن الأدب الروائي خسر بعدم استمرار هؤلاء في هذا الفن [١٠] وتنفرد « **قرية ظالمة** » بأنها ذات صبغة فكرية واضحة.

وقرية ظالمة تقع في معظمها في اليوم الذي أجمع بنو إسرائيل أمرهم أن يطلبوا إلى الرومان صلب السيد المسيح عليه السلام، وتبدأ الرواية بمقدمة تكاد تفشي موضوعها وتحدده ففي « ذلك اليوم أراد الناس أن يقتلوا ضميرهم وفي هذا الذي أرادوه تتمثل نكبة الإنسانية الكبرى، وفي أحداث ذلك اليوم تبيان لكل ما يدفع الناس إلى الإثم، فلم يحدث في العالم شر إلا كان أصله ما يريد الناس من قتل ضميرهم وإطفاء نوره والتماس الهدى في غير سبيله، ولن يصيب الناس شر إلا أن يكون مرجعه ما يعتريهم من رغبة في تجاهل أوامر الحق»[١١].

وتنقسم الرواية إلى ثلاثة أقسام :

الأول : يمثل مجتمع بني إسرائيل وموقفهم من قتل المسيح و « يختار المؤلف عددا من الشخصيات لتحقيق هدفه الفني وهو إدانة القتل، فجميع الشخصيات في هذا القسم يجمعون على براءة المسيح مما يوجه إليه من تهم [١٢] حتى مفتي بني إسرائيل نفسه يريد أن يرجع في فتواه بالصلب « إني لن أفتي بعد اليوم، إنهم أساؤوا فهم فتواي، ويريدون أن يقتلوا رجلا لا أرى ضميري يرضى عن قتله » [١٣] ويمثل الاتهام يتشكك في ذلك فيذهب إلى صديق له ويتحاور معه في هذا الامر :

- إني أريد أن أهتدي إلى الصواب في هذا الأمر البسيط، أَصَلْبُ هذا الرجل اليوم حق أم باطل؟

ـ حَاسِبْ ضميرك وحده، ثم أخلص لهذا الضمير، وليس عليك أن تعلم هل سيرى الناس عملك حقا بعد مئات السنين، فليس للإنسان سبيل إلى ذلك.

- إن ضميري وحده لا يرى عليه مأخذًا.

- وهل ستقول ذلك اليوم ؟

- وددت لو استطعت إنقاذه [١٤].

ومع ذلك ينتهي هذا القسم باستسلام الجميع للدعوة إلى الصلب.

وفي القسم الثاني يصور مجتمع

الحواريين وحوارهم حول ما ينبغي أن يفعلوه ليدافعوا عن المسيح ومن خلال هذا الحوار نراهم يختلفون، فمنهم من يرى العنف طريقا « إن كنتم تحرصون على الدين فالرأي أن تنقذوا السيد بالقوة لا بالإقناع والاسترحام ولا بالحديث عن العدل والحب » (١٥) بينما يرفض بعضهم ذلك لأن دعوة المسيح في جوهرها ضد العنف : « إن الدين يأمرك أن تطيع العقل حتى يقول لك الضمير قف، عند ذلك لا بد من طاعة الضمير وقد نهانا السيد ــ وهو ضميرنا ـ عن استعمال القوة ولو كانت في سبيل نصرته أو نصرة الدين» (١٦) ويظلون على ذلك الاختلاف حتى يحسم المسيح ذلك من خلال رجل كان ينقل للحواريين أوامره « إنه يأمركم أن تنصرفوا إلى العبادة والصلاة، وأن تتركوه حتى يتم الله أمره فيه» (١٧).

وفي القسم الثالث يصور المؤلف خلق الرومان ونظامهم السياسي والاجتماعي وهو نظام يقوم على تمجيد القوة، ويجري المؤلف حوارا على لسان بعض الجنود حول الحرب والفضائل وهل الحرب ترسي الفضائل والمجد ؟ ومن الذي يجني هذه وذاك الحكام أم الجنود ؟« لو أن

قرية ظالمة



الذي يعلن حربا على قوم آمنين على يقين أنه سيموت لساعته من جراء هذه الحرب ما أعلن أحد حربا أبدا.

ثم إن الحروب تقوم إثر خطأ يرتكبه رجال الحكم وليس من العدل أن يموت الأبرياء والعلماء وأصحاب الرأي الراجح وكل ذي كفاية في شتى نواحي الحياة في الأمة لخطأ يرتكبه زعيم سياسي. ثم لا يصيب هذا الزعيم شر من جراء خطته. إن الذي يسوق قومه إلى الحرب مقامر حقير يقذف بالناس إلى الموت وهو عالم أنهم إن انتصروا فالغُنْم له، وإن خذلوا فهو بمنجاة من كل عقاب لتقم الحرب إذا شئتم ولكنها يجب أن تبدأ بقتل من يدعون إليها(١٨).

الرؤية إسلامية

يتحدث بعد ذلك عن إظلام الدنيا، ولحظة الإظلام هذه تمثل الرؤية الإسلامية عند المؤلف تأكيدا، إلاّ أن السيد المسيح لم يصلب وإنما رفع إلى السماء كما تذكر الآيات ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (١٩) وكقوله تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (٢٠) وتتضح رؤية المؤلف هذه من خلال الحكيم الماجي عندما أقبل على الحواريين وهم في غاية اليأس « ما بكم لا يزال الحزن يفتت أكبادكم إن كنتم تحزنون من أجله فإن الله قد رفعه إليه »(٢١).

بناء الرواية

غلبت الأفكار في الرواية، والحوار دائما حوار فكري ولا يكاد يخلو من ذكر الضمير، وتتحدث الشخصيات عن النظام والضمير والحق والقوة، وقضية العقل والدين من خلال حوار الفيلسوف وبيلانوس وقضية المعنويات والماديات من خلال حوار الحكيم الماجي والفيلسوف.

والرواية لكثرة الأفكار التي تناولتها فإن البناء فيها يأتي غير مترابط، فالقسم الأول يكاد يكون قائما بذاته ومنفصلا عن بقية الرواية، أما القسمان الآخران فبينهما شبه اتصال، والبناء الرأسي للحدث الذي اتبعه المؤلف في أخذ كل مجتمع على حده وعرض موقفهم من قضية الصلب ــ لم يحقق به المؤلف الارتباط الوثيق بين أجزاء الرواية، وهذا البناء أقرب إلى الاستقصاء وهو ما يتناسب عادة مع المقال وليس الرواية على الرغم من أن بعض الروائيين قد نجح في هذا مثل وليم فوكنر في « **الصخب والعنف**».

والشخصيات في الرواية لم ترسم رسما جسديا أو فكريا وعاطفيا كافيا وهي مسطحة غالبا لأنها غير مقصودة لذاتها، وإنما تحتل مرتبة ثانية بالنسبة لأفكار المؤلف (٢٢) ولهذا فإن الشخصيات تتحدث، وهي من فلاسفة اليونان بما لا يتناسب مع مكانتها الاجتماعية والثقافية، ومن ذلك قول أحد

الهوامش

(١) انظر بعض ما وجه إليه من نقد في :

دراسات في نقد الرواية : د. طه وادي - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩ ص ٩١ وما بعدها.

نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر : د. أحمد الهواري، دار المعارف ط ٢ ١٩٨٣ ـ ص ٤٤ وما بعدها.

مقال محمد طاهر راشد ـ صحيفة الفجر ١٧ يناير ١٩٢٦ من كتاب « الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث : د. أحمد الهواري ـ قاسم عبده قاسم ـ دار المعارف ١٩٧٩ ص ١٦٨.

(٢) اتجاهات الرواية المصرية : د. شفيع السيد ـ مكتبة الشباب ١٩٨٨، ص ٥١.

(٣) دراسات في نقد الرواية ص ٢١٤.

(٤) الرواية التاريخية ص ١٨٦.

(٥) السابق ص ٨.

(٦) مقال الروايات التاريخية ـ مجلة الثقافة ١٨ أكتوبر ١٩٥١ عن السابق.

(٧) الأدب القصصي والمسرحي في مصر : د. أحمد هيكل دار المعارف عام ١٩٧٩ ص ٢٤٢.

(٨) نقد وإصلاح : د. طه حسين ــ دار العلم للملايين ـ ط١١ ص ٦٩.

(٩) اعتمدنا على التعريف بمحمد كامل حسين على باب « حياة محمد كامل حسين » من كتاب « الدكتور محمد كامل حسين عالما ومفكرا وأديبا » للأستاذ محمد محمد الجوادي، الهيئة المصرية للكتاب.

(١٠) انظر مقال د. حلمي القاعود عن رواية « المنصورة ـ مجلة الفيصل عدد (١٦٨) وما يعلل عدم استمرار هؤلاء قول الدكتور هدارة : « حينما أوغلت في الدراسة النقدية والبحوث الأدبية الأكاديمية التي تعتمد في أساسها على النقد أحسست انحسار العناصر الإبداعية في نفسي إلا من لمحات وامضة من حين إلى حين ترتبط بتجارب نفسية خاصة، بل رأيت نفسي حتى في هذه اللمحات الإبداعية في صراع بين شخصين : المبدع والناقد وازداد هذا الصراع حدة حين نظرت في الأعمال الإبداعية السابقة بعين الناقد » مجلة فصول ـ المجلد التاسع فبراير ١٩٩١ ـ ص ١٨٩ ».

(١١) الرواية ـ ط ٢ مكتبة النهضة المصرية

الحواريين : « إنكم ترون أن خذلانه فتنة ألا يمكن أن يكون خذلاننا إياه اليوم أصلا من أصول الدين يتعلق بالتكفير عن الخطايا ؟ الفتنة أشد من القتل، هذا حق إذا كانت الفتنة ثابتة . وإثبات الفتنة يحتاج إلى برهان وهو ما يجوز عليه الخطأ والصواب، أما القتل والأذى فهو أوضح من أن يكون فيهما رأيان وفيهما شر لا نزاع فيه ، ولا يُسَوِّغُ ارتكابَهُمَا خيرٌ محتمل أو شر مرتقب (٢٣).

ويتدخل المؤلف تدخلا مباشرا في الرواية بالتعليق على الحدث أو تفسير الدوافع ولا يكاد يخلو فصل من تدخل المؤلف كقوله : «والواقع أن الناس حين يفاجئهم حدث طبيعي يجهلون مداه وقسمه فريقان، فريق لا يضطرب ولا يجزع وهم الأقلون، وفريق يجزع جزعا شديدا وهم الأكثرون، ولا يرجع موقف هؤلاء وهؤلاء إلى الشجاعة أو الجبن ولكنها طبيعة الإنسان حين يواجه بمجهول عنيف، ويختلف ذلك اختلافا تاما عن موقفهم من خطر معروف » (٢٤) وهذا التدخل يدل على عدم قدرة الرواية، بالوسائل الفنية وحدها، على أداء المضمون الذي يقصد إليه المؤلف باحتياجه لذلك إلى التدخل لتوضيح فكرته، ولذلك فإن الرواية الجيدة وراءها مفكر جيد وليس بالضرورة وراء كل مفكر جيد روائي جيد .

بقي أن نشير إلى أن الرواية صدرت عام ١٩٥٤ فكانت في بعض جوانبها « صدى لما كان يدور في المجتمع المصري في مرحلة صدور الرواية من صراع حاد على السلطة بين ثورة يوليو الناصرية وحركة الإخوان » (٢٥) وكذلك بعض الدعاوى العلمانية من فصل الدين عن الدولة، وإشارة المؤلف إلى ذلك أكثر من مرة « الذين يدعون النظام بالدين يخطئون في حق الدين فإن النظام من عمل الإنسان وهو ناقص وخاضع للتطور ولا يجوز ذلك على الدين »(٢٦).

هذا بخلاف حديثه عن ممارسة العنف للوصول إلى الغاية في موقف بعض الحواريين ويكاد في خاتمة الرواية أن يقول : إن المجتمع المصري حينذاك يحتاج إلى المواءمة والتوازن بين قوى ثلاث تعمل في حياة الناس، هي القوة الحيوية وما فيها من غرائز وشهوات ونزعات، وقوة العقل وما فيها من قدرة على المعرفة، وقوة الضمير وما فيها من إدراك للحق والباطل فالأولى مصدر للنشاط، والثانية دليل يضيء للناس سبيل الحياة، والثالثة مانعة لهما من الشطط .

ص ٣٠٢.

(١٢) بناء الرواية في الأدب المصري الحديث : د. عبد الحميد القط دار المعارف ط ١ سنة ١٩٨٢ ص ٢١٥.

(١٣) الرواية ص ٤٠.

(١٤) الرواية ص ٢٩.

(١٥) الرواية ص ١٣٤.

(١٦) الرواية ص ١٤٠.

(١٧) الرواية ص ١٥١.

(١٨) الرواية ص ١٨٢، ١٨٣.

(١٩) آل عمران آية (٥٥).

(٢٠) النساء آية (١٥٧).

(٢١) الرواية ص ٢٣٢.

(٢٢) بناء الرواية ص ٢١٧.

(١٣) الرواية ص ١٣٩.

(٢٤) الرواية ص ٢٢٦.

(٢٥) مجلة إبداع - أبريل ١٩٩١ - مقال « محمد كامل حسين ومنظومته الفكرية » لمحمود أمين العالم.

(٢٦) الرواية ص ١١٣.

إرهابيون.. لماذا ؟



أصبح الإرهاب مصدرا للرزق في العالم، وهناك دول ومنظمات احترفت تصدير الإرهاب ما دامت تملك المادة التي تمول بها ذلك النشاط وتشتري بها ضمائر أشخاص وظفوا طاقاتهم ومواهبهم لهذا العمل الشائن. ومع أن بعض الإذاعات تكرر دائما تسمية الإرهابيين بـ(الإسلاميين) إلا أن كثيرًا من الصحف العربية ــ للأسف ــ تعاود ترديد ما تقوله تلك الإذاعات التي يضمر أصحابها العداء للإسلام والمسلمين. فالإسلام يرفض الإرهاب، وقد حرر الإنسان من الخوف وحماه من الرعب، ويعاقب المعتدين على الأنفس والأموال والحرمات بالحدود الشرعية القاطعة ولا يتهاون في ذلك أبدا.

فكل إرهابي يشرع قلمه أو لسانه أو سلاحه في الناس يعتبر بعيدا كل البعد عن مبادئ الإسلام وأسسه الراسخة، والإرهابيون عندما نعطيهم هذا الشرف بانتسابهم للإسلام ـ وهو أكثر جهلاً بتعاليمه السامية ـ كأننا نمدهم بشحنة من القوة والعزيمة لمواصلة أفعالهم المشينة. ونحن بهذا الوصف نمد أعداء الإسلام في الوقت نفسه بدليل قاطع ندين به أنفسنا ونمنحهم العذر بتهجماتهم ضد الإسلام. والمفروض أن نرفض إسباغ هذه الصفة المحددة الملامح والشريفة على أي إرهابي كما نراه نحن المسلمين، بل ونحتج على كل من يسمي الإرهابيين الإسلاميين ونعتبر ذلك تجنيًا صارخًا على ديننا وعلى مُثُلنا الإسلامية. وبذلك يرتدع أولئك المذيعون والكتّاب والصحفيون الذين يلصقون التهم بديننا الحنيف، ومن ثم نعمل على تغيير ذلك المفهوم الذي ألصقوه ـ زورا ـ بالإسلام، ونتخلص من تلك السبة التي يعمل الصهاينة والأعداء عموما على تلفيقها التهم بديننا الحنيف الرحيم بالناس وبالمخلوقات كافة من أنس وجن وحيوان. فهل نحن جادون في تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة والمبيتة للعدوان على كل من يعتنق الإسلام ؟

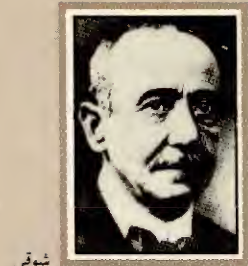
فالاعتداءات المتكررة على المسلمين في كل مكان من العالم والكره السائد في الشرق والغرب ضد المسلمين، ما هو إلاّ نتاج هذه الادعاءات بربط الإسلام بالإرهاب، فالجميع يمقت الإرهاب، والإسلام منزّه عن ذلك تمامًا، والذين يُنمون في النفوس تلك العداوة يعلمون حقيقة الإسلام وسلامة تعاليمه، بل ومحاربته للإرهاب من أي نوع، بالقول أو بالقلم أو بالسلاح. فعلى المسلمين كافة والعرب خاصة أن يقاوموا شن هذا القول وإبطال كل مفهوم يقرن أفعال الإرهابيين بتعاليم الإسلام.

فهل نحن متنبهون بعد هذه المآسي الحمراء من حروب إلى مجاعات وفتن تدبر للمسلمين على أنهم إرهابيون كما يدعي أعداؤنا ؟!

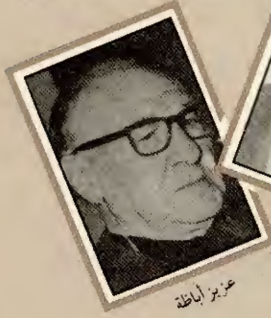
صالح عبدالعزيز السالم

الدراما
بين المسرح الشعري والقصيدة

بقلم: أحمد سويلم


شوقي


باكثير


عزيز أباظة

ربما كانت الدراما ـ بالمفهوم العلمي ـ فنًّا مستحدثًا في الثقافة العربية لم تعرفه إلا منذ عهد قريب، عن طريق الترجمة والاقتباس والعرض الروائي أولا، ثم عن طريق التأليف أخيرًا في أوائل القرن العشرين. لكن ذلك لا يجعلنا نغفل بعضًا من ظلالها وصورها البدائية في تراثنا العربي اجتهد كثير من الباحثين في اكتشافها باعتبار الدراما انعكاسا تلقائيًا لمواجهة الإنسان مع الوجود والطبيعة القاسية.

والدراما ـ لفظة مشتقة من اللغة اليونانية ـ تعني (الفعل) أو (العمل المؤدّي). وتكمن الدراما دائما في الحركة والأداء، حيث نبعت التراجيديا اليونانية من الشعائر الدينية والموسيقية، ولكنها في الوقت نفسه كانت مسرحية بكل ما في هذه الكلمة من دلالة، كما تولدت رؤية الإنسان في الحركة والأناشيد، وفي أنواع الإيقاع الذي يتناسب مع الطبيعة المشبوبة بالعاطفة.

ولم يبدأ اشتراك الشعراء في هذه الاحتفالات القديمة إلا في وقت متأخر حدده اشتراك (الكورس) التراجيدي..

ومن الواضح أن الاتجاه إلى (العين) من أسس الدراما، حيث تسبق كثيرًا الأذن والحواس الأخرى، كما كان الإخراج كله يتم في اليونان القديمة تحت إشراف (**الأراخون**) حيث كان الشعراء يقدمون إليه نصوصهم المسرحية، ويلتمسون فيه إعداد الكورس المطلوب.

ولم يكن مستمع الدراما بحاجة إلى آداب أو ثقافة خاصة، وحسبه فقط أن يكون له عينان وقلب ويدان وصوت، وقد يكون من الأفضل له أن يتزود بشيء وراء ذلك، ولكن هذه الأعضاء هي كل ما يلزمه للاستماع والاستمتاع،

فالمسرح في كل عصر على اختلاف أطواره وأنواعه هو مسرح كل إنسان بلا تمييز.

والدراما لا تتنفس ولا تزدهر إلا إذا تأصلت جذورها في الروح الجماعية العامة، ولا يعني ذلك أنها يجب أن تستهدف الشعبية بمفهومها الرخيص، وإنما من واجبها انتشال هذه الروح إلى مستوى أسمى وأرقى من الفكر والوجدان.

وإذا كان أرسطو قد عرّف الدراما بأنها محاكاة لفعل بشريّ، فإن الحلقة التاريخية التي تربط الدراما القديمة بالدراما الحديثة تتمثل في شكل من أشكال (**البانتوميم**) الذي يعني (تقليد كل شيء) أو (محاكاة كل شيء). ويمكن أن يكون هذا مدخلا لفن الشعر الذي يعني الإيماء لا التصريح.. والرمز والدلالة لا الحقيقة والعلّة.

وتتمثل الدراما بكل عناصرها في العمل المسرحي، حيث تعني هنا هذا النشاط أو الفعل الإنساني الذي يرمي ـ عن طريق الاسترجاع الواعي لتجارب سابقة أو التنبؤ بتجارب محتملة ـ إلى اصطناع تشكيل رمزي ملموس يرمي بدوره إلى تحصيل خبرات وتجارب حياتية جديدة.

إن نظرة أولية للفنون الكتابية مثل الملحمة والرواية والقصة القصيرة والشعر لتؤكد خصائص مشتركة بين الدراما بكل الفنون، بل إن الفن التشكيلي حينما يفترض ـ كما هي الحال في الشعر ـ وجود صورة جميلة لعالم الحلم الإنساني، فهو هنا يحاكي عن طريق الشكل النهائي، أداءً، وفعلاً، والموسيقي أيضا إنما هي ـ في أصولها ـ محاكاة لإيقاع الطبيعة من حولنا في صياغةٍ أكثر تأثيرا ومتعة.

الدراما والمسرح الشعري

إن الدراما بهذا المفهوم الذي لخصناه أقرب ما يكون إلى أدب (القص) أو (الحكْي) ومن خلال الشخصيات التي تقوم بأداء الفعل. تعالج الدراما حكاية أو موقفا أو صورة كاملة لتجربة الحياة.

ويرغب الشعراء أو هم يطمحون دائما إلى كتابة الدراما الشعرية، كما أن الكتاب المسرحيين أيضا يراودهم الشعور بأن مسرحياتهم قد تزداد جودة إذا

من كتاب العدد



● **أحمد سويلم**

ـ من مواليد عام ١٩٤٢م/ كفر الشيخ/ مصر

ـ بكالوريوس تجارة/ جامعة الأزهر

ـ عضو اتحاد الكتاب، ولجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة والإعلام، واتحاد الأدباء العرب، ونقابة الصحفيين في مصر.

ـ نال جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب للشعراء الشبان عام ١٩٦٦م.

ـ نال جائزة الدولة التشجيعية في الشعر ووسام العلوم والفنون.

ـ يعمل مديرا للنشر في دار المعارف في مصر.

ـ له عدة دواوين مطبوعة، كما صدرت له أعماله الكاملة.

كانت شعرًا، والسبب في ذلك هو أن الدراما يجب أن تكون أكبر من (النثر)، بما يحمل الشعر من حكمة ولغة خاصة وخيال وأداء وتأثير.

والمسرح الشعري يستخدم اللغة وسيلة للتعبير، واللغة في الواقع هي ترتيب خاص لمفردات لها دلالات خاصة.

أما أغلب مضامين المسرح الشعري فقد استمدها الشعراء من التراث، وكأنهم يريدون أن يكسبوا الدراما قيمة فنية وتاريخية ترفعها فوق الواقع اليومي، وإن كانوا يسقطون هذه المضامين على الواقع نفسه في محاولة لبعثه عن طريق التاريخ.

وتكمن صعوبة كتابة المسرحية الشعرية في مدى قدرة الشاعر على إحداث التوازن المطلوب بين لغة الدراما ولغة الشعر، فإذا طغت لغة الدراما على لغة الشعر، فقد الشعر دوره الفني المطلوب، وإذا طغت لغة الشعر على لغة الدراما تحول المسرح إلى شعر أو قصائد غنائية، وكل شاعر هنا له محاولاته في حل هذه المعادلة الصعبة.

وفي شعرنا المعاصر تعددت أساليب التناول المسرحي، واختلفت الآراء حول هذه الأعمال، لكن ما خلص إليه النقاد أن ريادة **أحمد شوقي وعزيز أباظة وباكثير قد فتحت الباب أمام الاجتهاد ووضع الأسس الصحيحة للدراما الشعرية،** فقد عانت أعمال هؤلاء الرواد من الغنائية المطولة وتخلخل الحس الدرامي في بعضها، ربما لأن غالب القصيدة العمودية يغري الشاعر بالإنشاء والغناء أكثر مما يجعله يتنبه إلى الدراما.

صحيح أنه لم تختلف عناصر الدراما في هذه الأعمال عن مقوماتها الأساسية حيث قامت على عنصري الفعل والمشاهدة، أو بكلمات اصطلاحية متزاوجة، قامت على المسرحية والعرض، أو النص والإخراج، أو الكلمة والتجسيد، والتفسير، **وهذا جاءت الصعوبة في دراما المسرح حيث قامت على شقين: شقّ إبداعي، وشقّ تفسيري.**

ثم جاءت الموجة الأخرى المعاصرة للشعر الحر على أيدى الشرقاوي وصلاح عبد الصبور وجيل الستينيات فيما بعد، والتزموا أسلوب شعر (التفعيلة) في كتابة المسرح الشعري ليقتربوا أكثر إلى هذا التوازن بين الشعر والدراما، معتمدين على ما يحققه أسلوب الشعر الحر من البساطة وإمكان السرد والبوح وأيضا الحكي الذي هو من صميم الدراما، والتوقف عندما يريد الشاعر أن يتوقف دون استجابة لإغراء الغنائية.

إن نماذج الدراما الشعرية المعاصرة تعد فتحًا جديدًا في فن الإبداع العربي، وإن كان هذا الفن قد خفت صوته تماما في الغرب لصعوبة تحقيق المزاوجة المطلوبة بين الدراما والشعر.

الدراما والقصيدة العربية

إن الأداء الشعري كان واحدًا من أشكال الدراما قديمًا، ثم اختفى دوره في بعض العصور ليعود مرة أخرى إلى خشبة المسرح، لكنه عاد أداة من أدوات التعبير المسرحي.

ونظرة إلى تاريخنا القديم نجد شعراءنا القدامى في أسواق العرب ومنتدياتهم ومجالسهم كانوا (يؤدون) قصائدهم بما يؤثر تأثيرا آسرًا على وجدان المتلقين.

كما أن هناك كثرة من الشعراء تعمدوا الانخلاع من الصوت الواحد داخل القصيدة ليدخلوا فيها الحوار أحيانا أو الحكاية، بما يتصل بطرف بالدراما في عناصرها الحقيقية.

تصابي القلب وادّكرا	صِباهُ ولم يكن ظهرا
لزينبَ إذ تجدُّ لنا	صفاءً لم يكن كدرا
أليست بالتي قالت	لمولاة لها: ظهرا
أشيرى بالسلام له	إذا هو نحونا نظرا

وحسبنا أن نقرأ هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة لنؤكد ما نقول:

لوحة فنية من الدراما القصصية تأخذ بوجدان المتلقي، وتدخل إلى القصيدة عناصر كثيرة من الصراع والأصوات.

إن الدراما في القصيدة الشعرية تأخذ منحًى مختلفًا عن المسرحية إلى حد كبير، وإن كانتا تشتركان في كثير من العناصر.

فالقصيدة بطبيعتها فن رمزي بالدرجة الأولى، والرمز هنا يعني الإشارة والإيمان واللابوح المباشر. وقد حفل التراث الشعري العربي بالحوار والحكاية كما رأينا، وهذا ملمح من ملامح الدراما بلا شك، ورغبة داخل الشاعر في التطوير، وكما فعل **عمر بن أبي ربيعة** فعل من قبله وبعده كثيرون، منهم **امرؤ القيس وعنترة والحطيئة وجميل بثينة وابن الرومي** وغيرهم، ومن المحدثين **شوقي وحافظ وناجي** وغيرهم.

أما القصيدة الحرة فهي تجسيد حي جديد لتجربة إنسانية واقعية في إطار فني خالٍ من التقرير أو الوصف أو الوعظ، وهي بالتالي تقوم على عناصر فنية شديدة التعقيد والحساسية. فهي مطالبة - في غياب القافية والنسق النغمي المنتظم - بإحداث تأثير موسيقي خاص مقنع للمتلقي. وهي مطالبة باستخدام لغة بسيطة متطورة يمكنها أن تكتشف عوالم مجهولة. وهي مطالبة بالوصول إلى المتلقي وصولاً خاصا، وباستخدام صور جديدة وطرح تشكيل جديد، كما أنها مطالبة أيضا بطرح ما يوحي بالخلاص الإنساني.

ولكي تحقق القصيدة الحديثة مستوًى معقولاً من الدراما اعتمدت على كثير من العناصر الفكرية والأسلوبية في مقدمتها استيعاب التراث وإعادة اكتشافه ومحاولة صياغته من خلال هذا الإطار الجلي، كما اعتمدت على الحوار بنوعيه الظاهر الملموس، والداخلي. وكذلك استعارت القصيدة من الفنون الأخرى بعض عناصرها، وبهذا بعدت القصيدة الحديثة دراميا عن مجال القصيدة العمودية، واستخدم الشاعر فيها عناصر وإمكانات الدراما التي تخدم تجربته، فاستخدم أسلوب القص أو الحكي. واستخدم القطع، والتفسير. واستخدم الجدل القديم والحديث حينما استنطق أصوات الماضي وواجهها بقدر الإنسان العصري. كما استخدم أكثر من إيقاع موسيقي.

وبالرغم من أن الدراما قد تكون خلاصًا من غنائية القصيدة أو من وهم وصولها إلى طريق مسدود، فهي كذلك ليست الخلاص الوحيد، فما زالت هناك آفاق أخرى يمكن ارتيادها يجد فيها الشعراء ملاذا، وإمكانات تحليق متجددة!



دينار نادر لسلطان مملوكي

إعداد: صلاح أحمد البهنسي

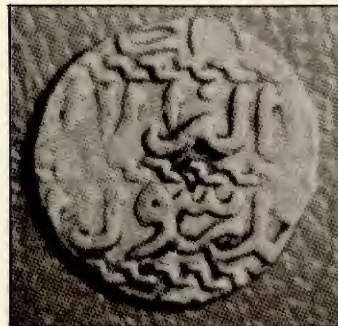
الأمر يبدو مختلفًا، فبينما كان المتبع في عصر سلاطين المماليك في مصر أن تبدأ مراسم تولية السلطان الجديد فور وفاة سابقه أو عزله، وأن يطاف بالسلطان الجديد في القاهرة على فرس مطهم ومسرج بأفخم السروج في موكب مهيب، فإن السلطان أبو سعيد بلباي لم تبدأ مراسم توليته عرش مصر إلا بعد تجهيز سلفه السلطان الظاهر أبي سعيد خشقدم للدفن وكان ذلك في يوم السبت العاشر من ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة بعد أن حكم مصر ست سنين وخمسة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا (٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ/ ١٤٦١ ـ ١٤٦٧م)، كما لم يطف بأبي سعيد بلباي في القاهرة، ولم يعمل له موكب.

والظاهر أبو سعيد بلباي هو السلطان الرابع عشر من سلاطين المماليك الجراكسة (البرجية) في مصر، وكان مملوكًا للسلطان المملوكي المؤيد شيخ (٨١٥ ــ ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ ــ ١٤٢١م) كما عمل جمدارًا لديه[1]، وتدرج في الوظائف في فترة سلطنة الظاهر جقمق (٨٤٢ ــ ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣م)، وأثناء فترة حكم الأشراف إينال (٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ ـ ١٤٦١م) حتى وصل في فترة حكم الظاهر خشقدم (٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ/ ١٤٦١ ـ ١٤٦٧م) إلى منصب أتابك العسكر[2]، وظل كذلك حتى وفاة خشقدم فخلفه في حكم مصر.

وإن كانت الأقدار قد دفعت بأبي سعيد بلباي إلى سرير الملك، إلا أنه لم يكن بأفضل المماليك أو أكثرهم كفاءة، بل إنه كان من أسوأ من حكموا مصر، حتى وصفت فترة حكمه بأنها غلطة من الغلطات، ولقد فكر الناس بسوء أيامه منذ اليوم الأول لسلطنته إذ سقط في ذلك اليوم باب القصر بالقلعة وأصبح الدخول للقصر صعبًا إلا من أحد الأواوين، وكان ذلك يعني ـ بمفاهيم ذلك العصر ـ بشير سوء. وقد صدقت توقعات الناس وسوء ظنهم به، فلقد كانت فترة حكمه القصيرة، والتي لم تدم إلا ستة وخمسين يومًا، كلها مساوئ.



صورة وجه الدينار



صورة ظهر الدينار

إنها غلطة من الغلطات، ولكن مثل تلك الغلطة لا تدوم طويلاً، ففي يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة عُزل أبو سعيد بلباي وسجن بالقلعة ثم في سجن الإسكندرية، إلى أن مات في ليلة الإثنين مستهل ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة، لتنتهي بذلك فترة حكم أمراء المؤيدية الذين ينتسبون إلى السلطان المؤيد شيخ، وكان أبو سعيد بلباي آخرهم.

وتمضي الأيام، وتدول الدول، ويبقى الأثر. ولأن الأيام كانت قليلة، ولأن الظروف كانت عسيرة، فلم يصلنا من آثار أبي سعيد بلباي إلا أثر واحد، وهو دينار ذهبي نادر محفوظ بمتحف الآثار الإسلامية بكلية الآثار جامعة القاهرة برقم مسجل ١١٥٦ع، وكان من قبل ضمن مجموعة الأستاذ الدكتور هنري أمين عوض ثم أهداه إلى متحف كلية الآثار، ويبلغ قطره ستة عشر ملليمترًا، ويزن ثلاثة جرامات ومائتان وتسعين ملليجرامًا، ويشتمل على كتابات نسخية في سطرين على الوجه، وثلاثة أسطر على الظهر، ونصها:

الوجه: (السلـ) طان الملك الظا (هر).

سعيدبلباي

الظهر:

أرسـ(له).

لاإله إلا ا(لله).

محمد رسول الـ(له).

ويفصل بين الكتابات أشرطة زخرفية عبارة عن خطوط منكسرة متنظمة، ويلاحظ أن هذه الزخارف أكثر ليونة في الوجه منها في زخارف الظهر، وقد استعملت مثل هذه الزخارف على مسكوكات العصر المملوكي مثل دراهم السلطان المملوكي إينال، ودراهم السلطان الأشرف قانصوه الغوري. ولا يشتمل الدرهم على كتابات بالهامش فالكتابات بمركز الدرهم فقط، كما لا يشتمل على تاريخ ومكان الضرب.

وكما كان توليه الحكم عجيبة من عجائب الدهر، سيظل ديناره الوحيد نادرة من نوادر التحف.

الهوامش

(١) الجمدار كلمة من جزئين جامه تركية بمعنى الثوب، ودار فارسية بمعنى ممسك. أي ممسك الثوب أو الوصيف الذي يلازم السلطان أو الأمير لإلباسه ثيابه. انظر: د. حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية. الجزء الأول. القاهرة ـ ١٩٦٥م. ص ص ٣٥٦ـ ٣٦٠.

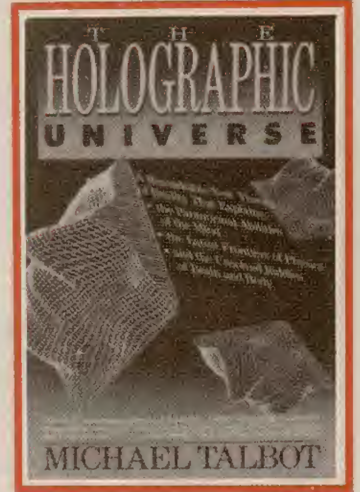
(٢) أتابك: من كلمتين تركيتين، أتا بمعنى أب، وبك بمعنى أمير، وهو الشخص الوصي على أولاد السلطان وتربيتهم، أما أتابك العسكر فهي من أرقى الوظائف العسكرية في العصر المملوكي في مصر.

انظر: د. حسن الباشا: المرجع نفسه. ص ص ٣ـ ١٤

نافذة على ثقافة الغرب

حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لا يبدو أن سكانها سيكفون عن التساؤل عن أمور لا قبل لهم بها، وما ذلك إلا لأن الله قد أودع فينا قدرة على العجب، وعلى التأمل في كون أرحب وأضخم من هذه القدرة. إعمال الفكر في أمور بعيدة ومستعصية هو إذن مسألة حتمية بدرجة ما، أكثر منها موضوعًا يُسمح به أو يُنهى عنه، ويقول تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ الذي أجده في هذه الآية ــ ورحم الله أمرأً عرف قدر نفسه ـ هو أن الله سبحانه وتعالى لا ينهانا عن ذلك التساؤل، فهو عالم بقدرتنا عليه وبما نحن فيه من حيرة، إنه فقط يأمر رسوله عليه السلام بأن يدلنا على أن أمر الروح يفوق قدرتنا على الفهم طالما نحن في آسار الجسد، ولكن الغوص في أعماق المعرفة جائز ولعله محتوم.

وكلما تعمقنا في العلم التجريبي وضح لنا كم نحن جاهلون بالحقيقة ذاتها، لم يؤدِّ الغوص في أعماق الذرة إلا إلى إدراك أن المادة الصلبة الصماء شيء لا وجود له في الحقيقة! وأنها لا تزيد عن أن تكون شيئا يشبه مجالاً مغناطيسيًا قويًا تتطاير فيه الكهارب الدقيقة، وإنك عندما تضرب منضدة بيدك وتسمع صوتًا وتحس ألما لم تصدم شيئا بشيء، كل ما فعلته هو أنك قربت مجالاً من مجال مشابه فوقع التنافر الحاد بينهما. يقول الفيلسوف والعالم الرياضي برتراند راسل: كلما تعمقنا في الفلسفة وفي العلم التجريبي، أدركنا أن المادة أكثر عقلانية مما نظنه وأن العقل أكثر مادية مما نتخيل. وهذا الكتاب حلقة جديدة في تلك السلسلة الطويلة من التساؤلات.



نشر: ١٩٩٢م

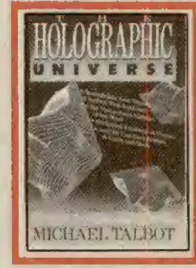
الكون الهولوجرافي

The Holographic Universe

تأليف:
مايكل تاليوت
عرض وتقديم:
محمد الحديدي

مجرد فكرة من الأفكار، محاولة بريئة أخرى لتفسير التفاعل بين حقيقة الكون والوجود من جهة، والإدراك الإنساني من جهة أخرى. وقد أتيح لي أن أقرأ العديد من هذه الكتب، كل منها يقول للقارىء: آه... هذا هو تفسير ما لم تسطع عليه صبرًا! الوجود هو عقل الإنسان، لا، إنه سلسلة من الأحداث بعضها يدور في العقل وبعضها الآخر في دنيا المادة، بل هو المادة التي يتكون منها جهازنا العصبي، بل هذه الحياة لا تعدو أن تكون حلمًا طويلاً نظن أننا نراه. نظريات تليها نظريات، لا بأس بأن نرى ما يقولون به ونستمتع به دون التزام منا بالاقتناع بما نقرأ فمن الواضح أن الأسرار تفوق قدرتنا على الإدراك، ومن أصدق ما قيل في هذا ما ذهب إليه الفيلسوف البراجماتي وعالم النفس الأمريكي **وليم جيمس**: «إنني بعد ما قضيت ربع قرن من الزمن أبحث في الأرواح أيقنت بشيء واحد وهو أننا لا نعرف شيئا عن يقين في هذه المسألة»، ويضيف متحدثا عن الخوارق: إنه يكفينا أن نأتي بغراب واحد أبيض لكي نثبت أن الغربان ليست كلها سوداء، بمعنى أنه لم ير بعيني رأسه ظاهرة واحدة خارقة بشكل لا يقبل الشك.

ومن جانبي فقد غصت في أعماق ما أتيح لي من كتب ومن وقت، مثل هذا وغيره، منها مؤلفات الكاتب البريطاني الشهير **كولن ويلسون «الغوامض Mysteries» و«الغيب The Occult»**، ثم **لايال واطسون «ما فوق الطبيعة Supernature»**، وريموند مودي **«الحياة بعد الحياة Life After Life»** وكثير غيرها، حكايات لا أول لها ولا آخر لم يشهدها إلا من يرونها: عفاريت وأشباح وأجسام نورانية ومركبات تهبط من الفضاء وتلتقط «عينات» آدمية من الأرض وتفحصها بل وتعيد هؤلاء إلى الأرض ليرووا ما وقع لهم، وغيلان ونعوش تطير في الجنازات و«مندوبون» من عالم آخر يعيشون بيننا ويرتدون دائما ملابس سوداء «الرجال ذوو الملابس السوداء»، مما أتيح لي أن أرويه مرة على صفحات «الفيصل» لمؤلف من هؤلاء هو جون كيل، وإن المرء



الكون الهولوجرافي

ليدهش لقدرة هؤلاء الباحثين ــ مع اتساع ثقافتهم ونزعتهم الفائقة إلى الاطلاع - على أن يصدقوا أمورًا لمجرد أن هنـاك من يروونها ! يأخـذونها هكذا على علاتها. وتجد الكتـاب - والـذي نعرضـه هذا ليس استثنـاء من ذلك ــ يبـدأ بـدايـة علميـة منطقيـة مشجعـة، ثم ما يلبث أن ينـزلق إلى هوة الخرافـة، والأخـذ السـاذج بما يـدور على الألسنـة بـرغم أن المؤلف عادة رجل واسع الاطلاع يروي ما يدل على استيعاب مئات وربما آلاف من الكتب.

الخوارق والتخاطر

إنني عندمـا أرى ظاهرة أحـار في تفسيرها فإن هذا لن يلـزمني بأن أقبل أي تفسير يأتي بـه هذا أو ذاك دون دليل على صحته.

وحتى عنـدما نكـون جمعـا ونرى كلنـا ظاهـرة خـارقة (ففي حـالة فـرد واحد قـد يكون الأمـر من ابتداع خياله، هذا إن صدق فيما يرويه)، حتى في مثل هذه الحالة فإننا قد نجد التفسير في أمور مثل التخاطر Telepathy أو الإدراك الجماعي الــذي يقول به العالم النفسي السويسري **كارل يونج**، فإذا صح أنني تخيلت أو اختلـق لي ذهني أنـني رأيت طبقًا طائرًا أو مركبة فضائية من كون آخر أو انتقلت إلى عصر نابليون ورأيت جنوده يجولون قاهرة المعز، وأمكن أن تنتقل الموجات من خلايا مخي إلى غيري فأحس بما أحسست به، فـإن هذا قد يـؤدي بنا إلى أن نحكي نفس القصـة ويصدقها النـاس. لست أزعم إمكــان ذلك ولم أره يحدث ولكنني فقط أرى مثل هذا تفسيرًا آخر ممكنًا ولست أرى سببًا يدفعني لأن أقر أن قدوم مركبـات من كواكب أخرى تبعد عنا مسافات يقطعها الضوء نفسه في آلاف السنين، ثم رجوعها إليها، لست أرى هذا أكثر معقولية من الإحساس الجماعي أو الإدراك التخاطري.

ويتعرض هذا الكتاب - بطبيعة الحال - لمسألة الإدراك الـذي يأتي من داخل النفس البشريـة ومـا يأتي من خارجها وينتهي إلى ما يشبه انعدام الفارق بين الحالتين ! وقد ذهب الماركسيون والماديون إلى أن أصل الـوجـود هـو المادة، بل إننـا عنـدمـا نكتب قصيـدة شعر فإن هـذا ليس إلا نتـاج التفاعـلات المادية في مخ الإنسان الذي هو «المادة التي تفكر»،

وقد انهارت معتقـداتهم ماديًا ومعنـويًا وثبت فشل النظريـة والتطبيق على كـل المستـويـات. ويـرى المثاليون مثل **هيجل** وغيره أن المادة شيء لا وجود له وأن الكون الذي نـراه من ابتداع خيالاتنا، ويرى الفيلسوف والعالم الرياضي **برتراند راسل** أن المادة والعقل ليس لهما وجود حقيقي وأن الموجود سلسلة من الأحـداث منهـا ما يمضي طبقـا لقـوانين المادة ومنها ما يتبع قوانين العقل.

يتعرض هـذا الكتاب لكل هـذه الأمور، ويأتي المؤلف بنتـائج بحوث وتجارب تجعل القـارئ يحيي فيه ما بذله من جهد عظيم في القراءة والتلخيص، وهو - مثل غيره - يبـدأ بالعلم والمنطق وما يلبث أن يقع في الخرافة التي يستمدها مما تأثر به في طفولته، وخذ هذه المقتطفات مثلاً :

«إنني أعد نفسي محظوظًا، فقد كنت دائما أدرك أن هناك مـا يفوق ما هـو شائع بشأن هذه الـدنيا، هناك المزيد مما يكمن في الخفاء. فقد نشأت في أسرة من الـروحـانيين وأتيح لي منـذ الطفولـة أن أشهـد العديد من الظواهر التي يعرض لها هذا الكتاب».

ثم في مرحلة لاحقة، وهو يتحدث عن «الهالة» التي يقـال إنها تحيط بكـل واحـد منـا وأن بعضهم لـديهم القـدرة على رؤيتهـا، وتسمى أيضـا «مجال الطاقة»، يقول :

«كنت ذات مرة منشغلا بـالتفكير العميق وأنا في سبيل تأليف قصة عن الرجل الذئب، ولاحظت أن الهالة المحيطة بجسمي قـد أخذت تتخذ شكل فـرو الذئب، وأحب أن أؤكـد أن ما وقع كـان مجرد ظـاهرة بصريـة وأنني لم أشعر على الإطـلاق بأنني تحولت إلى ذئب، الأمـر لا يعـدو صورة شبحيـة، ولكن هذا لا ينفي أن هذه الصورة كانت حقيقية بما يكفي لأن أرى شعـر الـذئب وهـو يحيط بـذراعي ومخالبه وهي تبرز من أصـابعي، وإن كنت ما أزال أرى يدي الحقيقيـة المكونـة من دمي ولحمي وهي تبـدو من خـلال هـذه المعالم الجديـدة الشفـافـة. وكانت صـديقتي الروحانية الشهيرة كـارول درايار ضيفـة لـدينا وتصـادف أن عبرت الغـرفـة في تلك اللحظة، نظرت إليّ قائلـة : يا للهول ! لا بد أنك منشغل بـالـذئاب الآدميــة لأنك قـد تحولت أنت نفسك إلى رجل ذئب».

ربما أكـون قـد ظلمت المؤلف بـالإتيـان بهذه الفقرة في بـداية عرضي لكتـابه، فمن الصعب على الفـرد العـادي مثلي ومثلك أن يأخذ شيئـا كهـذا مأخـذ الجد. ولكنهم ــ المؤلف وهـذه السيــدة المعروفة في مدينـة لوس أنجلس وغيرهم من الذين يوهمون النـاس بأنهم يمارسون الغيب والروحـانيات ويجدون آلافـا أو مـلايين من النــاس يصـدقـونهم ويتعــاملـون معهم ــ كلهم يقـولـون إن هنــاك مستويات للإدراك ومستويـات للوجود وإن وجود الهالة حول كل مخلوق آدمي - وهي فكرة قديمة - لا يعني أن أي فـرد يمكنه أن يـراها، لا بـد أن تكون لديك القدرة على ذلك ! وبهذا يقفل باب المناقشة، هنــاك مــا يمكنني أن أبصره ولكنـك أنت ليست لديك هذه المقدرة، فماذا نفعل ؟

مثل هــذه القصـة كثير جــدًا في الكتـاب، التخـاطـر، زوار الفضـاء، الخروج مـن الجسـد، الاقتراب من الموت ثم العودة إلى الحياة، المقابلات مع كائنـات من أنواع لا نهايـة لها. قصص يروونها وعندما نقول لهم إن أحـدًا لم ير شيئًا من هذا فإنهم يقطعون الطريق علينا بـالقول إن هناك مستويات عـديدة للحقيقـة وإننـا ــ نحن الناس العـاديين - نعيش في واحـد منهـا وليسـت لـدينـا القـدرة على الانتقال من واحدٍ لآخر.

حسنًـا، لنتأمل هـذه القصة كمجـرد مثـال.

استغرق المؤلف في التفكير في الإنسان الذئب فوجد نفسه قد اكتسى بغلاف هلامي يشبه جسد الذئب وله شعره وأظافره ولكنه لم يشعر بشيء آخر وظل قادرًا على أن يرى جسده الحقيقي من خلال هذا المجال الذي أحاط به، وأبصرته زميلته ورأت ما وقع له، ولولا هذا لاسترحنا إلى افتراض أن ما حدث كان من ابتداع خياله، فكيف رأته هذه السيدة؟ هناك احتمالات محددة :

- إما أنه يكذب علينا، فهو قصاص على أية حال ولعله تأثر بما في ألف ليلة وليلة من الأمير الذي انقلب إلى ثعلب أو فيل وغير ذلك .

- وإما أنه يذكر الحقيقة وفي هذه الحالة هناك احتمالان، أولهما أن ما خيل إليه قد انتقل بالتخاطر إلى مخيلة ضيفته وأنه هو الذي أوحى إليها بما رآه بأسلوب يشبه التنويم المغناطيسي حيث يمكن للمنوم فيما يقال أن يوهم «ضحيته» أو «نظارته» الذين قد يكونون كثيرين، بأنهم رأوا أشياء لا وجود لها، والثاني أن هناك قدرًا من الصحة فيما يقولون به وهو أن هناك مستويات للحقيقة والإدراك وأن كلاً منا تحيط به هالة أو «مجال حيوي» كما يسميه المؤلف وأن بعض الناس لديهم القدرة على رؤية هذا المجال الذي يتأثر بما يدور في أذهاننا .

إلا أن الكتاب يبدأ في الواقع بداية علمية مشجعة، أو على الأقل بالحديث بأسلوب علمي، ثم يمضي ليدلنا على مدى عجز العلم عن كشف حقائق الكون .

دون أبعاد !

برغم أن الإلكترون - أي الجسم الدقيق الذي يدور عدد منه حول نواة الذرة - يبدو لنا جُسيمًا ماديًا متماسكًا، فإن الفيزيائيين قد وجدوا أن هذا الجُسيم ليست له أية أبعاد، وهو ما يبدو لنا أمرًا غريبًا من حيث إننا قد اعتدنا على فكرة أن كل شيء في عالمنا له حجم وله مقاسات . برغم أن المادة تتكون من ذرات والذرات من نواة والإلكترونات - أي كهارب - فإن الإلكترون ليس في الحقيقة مادة أو شيئا بهذا المفهوم . والأكثر من ذلك أن الإلكترون يبدو لنا على هيئة جُسيم دقيق عندما نطلقه على شاشة مرئية، فإنه يمكنه أيضا أن يبدو كما لو كان مجرد سحابة من الطاقة وأن يتصرف كما لو كان موجة تنتشر في الفراغ، وإذا أطلق في اتجاه مائل به منفذان فإنه ينفذ منهما معًا . إن جميع الاختبارات التي تجري على الإلكترون تجعله يبدو جُسيما عندما نرقبه ومجرد طاقة شعاعية عندما لا نرقبه . وهذا هو الحال مع كل الجسيمات الأدنى من الذرة، ومع الكثير من الأشياء التي كنا نعدها مجرد موجات، كالضوء وأشعة جاما وأشعة الراديو وأشعة إكس، كلها تتبدل من موجات إلى جسيمات ثم تعود إلى الصورة الموجية . **ويعتقد علماء الفيزياء الآن أن كل الموجات الأدنى من الذرة لا يمكن تصنيفها على أنها جسيمات أو إشعاع، ولكن على أنها «كوانتا»☆، وهو ما يعني أنها جسيمات موجية، طبقا لنظرية الكوانتم . هذه «الكوانتات» تسلك سلوك الجسيمات عندما نرقبها ولكننا عندما نغفل عنها فإنها تتصرف كالموجات .**

> لم نعرف المجالات حتى الآن، وإنما نتعامل مع خواصها وآثارها فقط ..

الذي يأتي به المؤلف هنا هو الدليل الذي اقتنع به العديد من العلماء والفلاسفة، ومنهم برتراند راسل، وهو أن المادة شيء هلامي لا وجود له، مجرد مجال، ويقول المؤلف :

«نحن لا نعرف ما المجال، سواء كان مجالاً مغناطيسيا أو كهربائيًا أو مجالاً للجاذبية . نحن نتعامل مع هذه المجالات ونصف خواصها ونقيس آثارها ولكننا لا نعرف ما هي . وقياسا على ذلك فإنه قد يأتي يوم نضع فيه تعريفا لمجال الطاقة، أي الهالة، التي تحيط بالإنسان ونحدد تأثيراته دون أن ندرك ماهيته» .

الهولوجرام والهولوجراف

هول تأتي من holo اليونانية، يعني الكل أو الشيء بأكمله، و«جراف» تعني «شكل» أو «مخطوط»، **والمعنى التقليدي لكلمة هولوجرافي هو أنها صفة لمخطوط مكتوب بأكمله بخط يد المؤلف الذي وضعه**، ولكن هذا الكتاب يستخدم التعبير مجازًا كما سنرى .

الإصطلاح الثاني الذي يلزمنا أن نفهمه قبل أن نمضي هو «ليزر» . وهذه الكلمة «Laser» أصبحت شائعة جدا في حياتنا فهي تطلق على أجهزة الطباعة المكتبية الحديثة وهناك أجهزة طبية تستخدم في علاج العيون وغيرها تعمل بأشعة الليزر . **والكلمة في الإنجليزية تمثل الحروف الأولى من جملة هي** : Light Amplification by Simulated Emission of Radiation تعني **«حث ارتفاع موجة أشعة الضوء باستخدام انبعاثات تحاكي الإشعاع»** . المسألة باختصار نوع من الأشعة مثل جاما وإكس وغيرها .

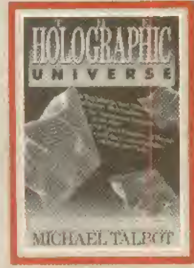
إذا أتينا بمصدر لإشعاع الليزر وجعلنا الشعاع الصادر عنه ينشطر نصفين، أحدهما يسقط على مرآة ثم مرآة أخرى ثم يمر من خلال عدسة ناشرة للأشعة، بحيث تسقط هذه على لوحة تصويرية، بينما يسقط الثاني على عدسة مماثلة ثم يمر من خلالها منتشرًا ليغمر «شيئًا» مثل التفاحة الظاهرة في «شكل ١»، **وينعكس عليها ليسقط على ذات اللوحة التصويرية فإنه سينتج «تداخل» لهذين الإسقاطين ليظهر على الفيلم على هيئة تموجات دائرية تشبه ما ينشأ عن «لجة الماء يلقى فيه بالحجر»**

كما يقول ابن الرومي :

إلا بمقدار ما تنداح دائرة

في لجة الماء يلقى فيه بالحجر !

الذي سيظهر على الفيلم سيكون شيئا يشبه (**شكل ٢**)، إلا أن هذا بدوره عندما يضاء بأشعة الليزر سيعطي صورة فضائية ثلاثية الأبعاد للجسم الذي صورناه أصلا وهو التفاحة في (**شكل ١**) أو شمعة مضيئة كما في (**شكل ٣**)، في جميع الحالات



الكون الهولوجرافي

سيبدو لنا الأمر حقيقيًا تمامًا ولكننا إذا مد الواحد منا يده ليمسك به ستمر من خلاله فهو ليس إلا خيالاً ! ولكنه خيال مجسم . والأكثر من ذلك أنه إذا صورنا التفاحة أو ورقة شجر بعد اقتطاع جزء منها فإن الذي سيظهر سيكون هذا الشيء كاملاً بصورته المتكاملة وكأنه لم يقتطع منه شيء ! بل إننا إذا أخذنا الفيلم وقطعناه أجزاء فإن كل جزء منه يضاء بالليزر سوف يعطي الشكل كاملاً أيضًا مما يدل على أن الجزء لا ينفصل تمامًا عن الكل في هذا المستوى من الوجود والإدراك ! **الواقع أن الجزء هو الكل «الهولو» ، والكل هو الجزء** . يلحق بذلك أن مخ الإنسان غير القابل للتجزئة هو أيضا بالقدر الذي نتصوره ، وقد أجريت تجارب على الفئران تثبت أنه حتى اقتطاع أجزاء من المخ لن يؤدي إلى فقدان جزء من الذاكرة ، فالذاكرة والإدراك هما كذلك مسألة «مجال هائم» وليست «عبوة» تختزن في هذا الوعاء المادي .

يستمد المؤلف قدرًا كبيرًا من النظرية التي بنى عليها كتابه من اثنين من الباحثين أحدهما عالم في الفيزياء النووية والثاني في الطب ووظائف الأعضاء . يدله هذا الأخير على أن الذاكرة الواعية للإنسان ليست متمركزة في مناطق بعينها من مخ الإنسان وأن المخ هو نفسه «هولوجرام» والكون أيضا «هولوجرام» . الفقرة التالية من الجزء الأول للكتاب «نظرة جديدة إلى الحقيقة» :

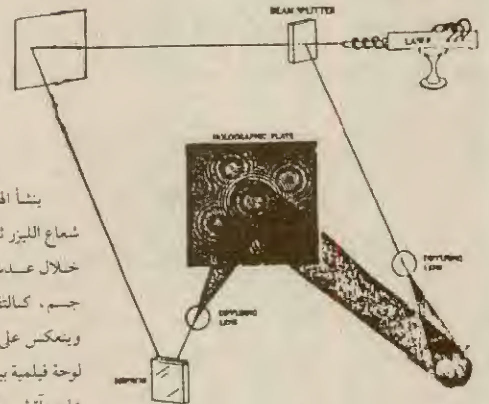
«من الأمور التي تجعل الهولوجرافيا شيئا ممكنًا ، الظاهرة المسماة بالتداخل ، التداخل هو نمط الوجود الذي يحدث عندما تتقاطع موجتان أو أكثر وتتمازجان معا ، تمامًا كما تلقي حجرًا في الماء فتحدث التموجات ثم تلقي حجرًا آخر وتتلاطم هذه مع تلك . أشعة الليزر بالغة النقاء ، إنها الضوء في أنقى وأوضح صورة له ، ولذا فإنها عندما تتلاطم موجتان منها ينتج الهولوغرام كما نعرفه اليوم ، وهو ما لم يكن ممكنا قبل استحداث أشعة الليزر» .

«كلية» الأشياء

جاءت النسبية لتقول لنا إن الفضاء والزمن لا ينفصلان . بل هما كل واحد وجزء لا يتجزأ من «استمرارية» المكان والزمن . ويقول لنا هذا الكتاب إن كل شيء في الكون جزء من استمرارية الكون وأن التقسيمات والتصنيفات هي من ابتداعنا نحن لأننا نجد هذا مناسبًا لقدرتنا على الإدراك ، وأن هذا مجرد «تجريد» ، مجرد وسيلة لجعل الكون يبدو في صورة تتفق مع أفكارنا . إن مخ الإنسان يعمل على بناء حقيقة موضوعية عن طريق التفسير أو الترجمة الرياضية لذبذبات هي في نهاية الأمر إسقاطات من أنظمة كونية أكثر عمقًا واستعصاء ، تقع فيما وراء المكان والزمن كما نعرفهما . وهكذا فإن المخ هو هولوجرام ينطوي داخل كون هولوجرافي . وهكذا فإنه ليس هناك وجود لعالم موضوعي ، أو على الأقل مثل هذا لن يكون مطابقًا لتفكيرنا ، الذي يوجد هو محيط هائل من الأمواج والذبذبات ،

وما يبدو لنا حقيقة صلدة ليس إلا ما تفعله عقولنا بهذا الضباب الهولوجرافي وهو أنها تحوله إلى عصى وحجارة وأشياء مألوفة لنا نصنع منها هذا الكون الذي نعيش فيه .

بهذا المفهوم ينطلق المؤلف في محاولة لتفسير غوامض الحياة والكون ، وهو هنا يفرق تمامًا بين ما هو «معجزة» مما أتى به المسيح - عليه السلام - مثلاً ، كإبراء المريض وإحياء الميت ، وهو ما أتى به بإذن الله وقوته ، وما هو «فوق الطبيعة» مما يتسنى تفسيره بحكم «هيولية» الكون وانتفاء الحدود والفوارق ، لا بين الأحياء والأشياء فحسب ، بل بين الأماكن والأزمنة . لماذا إذن نجد ما يدعيه بعضهم



ينشأ الهولوجرام عندما ينشطر شعاع الليزر ثم يمرق أحد نصفيه من خلال عدسة ناشرة ويسقط على جسم ، كالتفاحة في هذه الصورة ، وينعكس على الجسم ليسقط فوق لوحة فيلمية بينما ينعكس الشطر الآخر على مرآة ثم من خلال عدسة ناشرة ثم يتقابل مع موضع سقوط الشطر الأول . (شكل رقم ١)



يختلف التصوير الهولوجرافي عن التصوير العادي في أن كل قطعة من الفيلم مهما كانت صغيرة يمكن أن تنتج عنها رؤية للشيء المصور كاملا .
وقد أمكن تصوير أشياء بالكامل برغم أنه سبق اقتطاع أجزاء منها . ورقة شجرة مثلا يقطع منها جزء ثم تصور هولوجرافيا فتظهر كما كانت من قبل .

من خـوارق وغـرائب ، أمـوراً لا يقبلهـا المنطق العادي؟ لأنها ـ ببساطة ـ أمور غير عـادية ، لا بد من أن تتـوافر لها ظـروف معينة وأن يـدركها أنـاس محددون لـديهم القـدرة على اقتحام مـا يجده الفـرد العـادي حـائلاً بين الماضي والحاضر والمستقبل مثلاً ، أو بين كوكب الأرض الذي نعيش عليه وبقية الأجرام السماوية ، بين الجسد المادي والضمير أو الحس . ويستدل على ذلك ـ كما هي عادة الكتاب الـذين ينساقـون وراء نظريـات كالهولـوجراميـة أو المادية أو المثالية أو الوجودية . إلى آخر هذه القائمة الطويلة ـ بأقاصيص لا أول لها ولا آخر .

واحد من المرضى الذيـن كان يعودهم الطبيب النفسـاني كـارل يـونـج ، كـان يهذي بأمـور تتعلق بالشمس مثلاً ، ثم يتضح للطبيب أن هذا الهذيان يدور حول صورة لها جذورها في الأساطير القديمة ، من أين لهذا الرجل أن يعرف بأمر هذه الأسطورة ؟

لا بد إذن أن الأسـاطير القديمـة متاحـة لنا جميعًـا بحكم هولوجرامية الكون والحياة ، وكل منا قد يجد نفسه يدري بأمـور لم يدله أحد عليهـا ولم يقرأها في كتـاب أو يتعلمها في مـدرسة ! وصلنـا إذن بنفس هـذا الأسلوب يمكننـا أن نفسر الأحلام والتنـويم المغنـاطيسي والتخاطر والأشباح والخيـالات . . .

وزوار الفضـاء والعـلاج بـالإبر . وطبعًـا الإنسـان الذئب الـذي تقمصه هو نفسه ورآتـه زميلته . وفي هذا السبيل نجد المؤلف على استعداد لأن يصدق كل مـا يسمعه تقـريبا : «هنـاك تسع عشرة حالـة مـوثقـة لأنـاس أتيحت لهم معرفـة مسبقـة بغـرق السفينة تايتانك ! بعضهم أحجم عن السفر ونجا بنفسه وبعضهم تجاهل ما أحس به وغرق وبعضهم لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء» ! هكذا يحكى لنا !

ولو أن أجسامًا تهبط من الفضاء وتلتقط نماذج من الحيـاة الآدميـة على الأرض ، أو أن أعـدادًا من الناس قد جربت ذلك وحكت عنه بصدق ، سواء كـان هـذا من ابتـداع الخيـال أو كـان حقيقـة ـ والكتـاب بصفـة خاصـة لا يضع حـدًا يفصل في وضوح بين هذا وذاك ـ أكـانت مثل هذه الأحداث تمضي هكذا في عصر وسائل الإعلام الذي نعيشه ؟ إن حوادث السيارات على الطرق تذاع في التلفزيون فكيف بأمور كهذه ؟

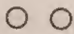
كما ذكرنا ، مؤلف هذا الكتاب ـ والكثيرون من أقرانه ـ لا يفرق بين الخيال والحقيقة ، فالخيال عندما يضطـرم في ذهـن فـرد واحـــد ، يحدث أثـره في «هولوجرام» الكون والحياة ويتحول إلى واقع فيزيائي يـراه آخرون ! زعم لا دليل عليـه ولكنه قـد يصلح وسيلة لتفسير الكثير من الغرائب .

الاقتراب من الموت

يحكي الكثيرون ممن جـربوا الاقتراب من الموت أنهم يرون كائنات ضوئية ــ طبعا ـ ينبعث منها نور بـاهـر ، أو مبهر ، ولكنـه «لا يـؤذي العينين» ، أي عينين ؟ إذا كنـا قد خـرجنـا من الجسد وأصبحنـا نطير في اهواء فأي عينين وأي ذراعين ؟ إن بعضهم يحكـون في غمـرة حماستهم إن المرء «يمـد يـده» ليمسك بأكـرة الباب ولكن يده تمرق مـن خلالها ؟ فأي أيد هذه ؟ !

في فصل بعنوان « الترحال في الهولوجرام» نجد المؤلف يبحث بعض هذه الظواهر بقدر من التعقل الذي يهبط عليه فجأة وكأنـه قد عـاد إلى جسده ، و«ثـاب إلى رشـده» . فهــو يشك في مـوضـوع زوار الفضاء الـذين يتخذون أشكـالا مشابهة لنـا ـ فيما يحكي من رأوهم ــ ويتنفسـون هـواءنـا ويـرتـدون مـلابس كمـلابسنـا . ويقــول أيضـا : إن قـومًا يمتلكون تكنـولوجيـا تجعلهم يعبرون فيـافي الكون بسرعـة تفوق سرعـة الضـوء لن يكـونـوا في حاجـة لإجـراء اختبــارات بــدائيـــة كتلك التي يجريها «المتخلفون» من أمثالنا . كل هذا ـ فيما يرى في هذه الفقرة الـرائعة ـ نتـاج تصوراتنـا نحن ، إلا أن هذه التصـورات تكـون أحيـانـا قـادرة على أن تعبر عما يسميـه هـو : حـواجـز الحقيقـة . فـالحقيقـة لها مستويات وفي أحوال معينة قد يتسنى لنا أن ننتقل من مستوى لآخر .

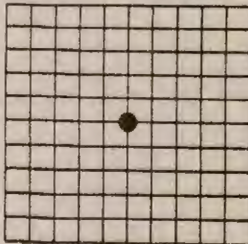
بهذا القدر نكتفي تاركين للقارئ أن يحكم على هذه النظرية ، أما نحن فقـد وجدنـا في الكتاب وأمثاله قراءة تمتعنا دون التزام بمضمونها !





عندما يتكون الهولوجرام الثلاثي الأبعاد فإنه يبدو حقيقيا إلى حد أنك تحاول أن تمسك به فتجد يدك تمرق من خلاله . هذه صورة حقيقية حسب قول المؤلف .





يقول لنا المؤلف إنـه لكي نعرف كيف يعمل المخ على تصويـر ما نظن أنـه الحقيقـة ، فإن لنا أن نجري هـذه التجربة : أقفل عينك اليسرى وحدق بصرك في البقعة السـوداء وحـرك الورقة أمامـا وخلفا إلى أن يختفي النجم . ثم اقفل عينك اليمنى وحـدق في النجمة وحـرك الـورقـة حتى تختفي شبكـة الإحداثيات . ستلحظ أنه برغم اختفاء البقعة ، فإنك ستظل ترى الخطوط . أنا شخصيا فشلت في إجراء التجربة وأرجو أن يكون القارئ أسعد حظا .

☆Quanta هي جمع Quantam معناها باليونانية «كمية» وهي أيضـا عنـوان النظـريـة التي تحكم الإشعـاعـات الصـادرة من المادة .

الخال فانيا

بقلم: د. محمد أبوبكر حميد

كتب تشيكوف في سنة ١٨٨٩م مسرحيته الثانية «شيطان الغابة» التي عرضت في مسرح سولوفزوف Solovzov في موسكو لعدة أيام برغم عدم رضاه عنها، ومنيت المسرحية بفشل ذريع، فقد كتبها تشيكوف على عجل - قرابة أسبوع - وجاء إخراجها رديئًا وعرضها غير مقنع. سحب تشيكوف المسرحية ولم يسمح باستمرار عرضها على الجمهور، وكانت تجربة احتراقه في هذه المسرحية لا بد وأن تنضج مسرحيةً أخرى جديدة. ولم يمض وقت طويل حتى خرج تشيكوف على الناس بصياغة جديدة لمسرحية «شيطان الغابة» في مسرحية جديدة عنوانها «الخال فانيا»، وهي تعد اليوم رائعته الثانية بين روائعه الأربع التي كتبها للمسرح.

الأستاذ وزوجته

تدور أحداث المسرحية في عزبة سيربير ياكوف وهي مثل بقية مسرحيات تشيكوف يقع أبطالها الطيبون ضحايا لمشكلات ومشاعر لا حول لهم بها ولا قوة، فهم جميعًا ضحايا أحلام لا تتحقق وحب بائس لا يثمر لأنه من طرف واحد فيبقى حلمًا ولا يتحول إلى حقيقة. وأحداث المسرحية تبدأ بعودة سير بير ياكوف الكاتب والأستاذ الجامعي المتقاعد بصحبة يلينا زوجته الشابة الجميلة إلى العزبة حيث سيتفرغ الأستاذ للكتابة والتأليف. ويسكن في العزبة ويديرها الخال فانيا أخو زوجته السابقة التي توفيت منذ سنوات، وتعيش ابنتها سونيا مع خالها فانيا في العزبة منذ وفاة أمها ومعها جدتها المُسِنَّة ماريا، ويتردد عليهم في العزبة طبيب ريفي يُدعى استروف.

وكالعادة في مسرحيات تشيكوف فإن وصول شخصيات رئيسة إلى مسرح الأحداث يكون بمثابة الحجر الذي يُلقى في ماء ساكن فيثير ما ركد في قاعه فيظهر على سطحه. وهكذا كانت عودة الأستاذ وزوجته الشابة تغير مجرى الحياة في العزبة، فالأحداث تكشف لنا الفشل وخيبة الأمل وتتحدث عن العمل والمستقبل ولكنها لا تستطيع أن تعمل حتى لنفسها شيئًا. فهذا الخال فانيا يكتشف بعد ما أمضى خمسة وعشرين عامًا من حياته في العزبة أن الأستاذ لا يستحق ذلك، فهو في رأيه «أمضى خمسة وعشرين عاما وهو يكتب ويحاضر عن الفن ولكنه لا يفقه في الفن شيئًا، قضى ربع قرن وهو يلوك أفكار الآخرين عن المذهب الواقعي والمذهب الطبيعي وما إلى ذلك من اللغو. يحاضر ويكتب عن أمور يعرفها الأذكياء منذ أجيال! ومع ذلك كله فإن غرور الرجل لا يعرف حدًّا. يا للرجل! لقد تقاعد وليس هناك مخلوق يعرفه أو يهمه أمره. انظروا إليه، إنه يسير مختالاً».

كشف القناع

لقد أحس الخال فانيا أنه وقع ضحية وهم وسراب وأضاع ربع قرن من عمره في خدمة من لا يستحق. ويتأكد فانيا من كل ظنونه، ويتأكد من أنانيته عندما يدعو الأستاذ كل أفراد العائلة ويعرض عليهم بيع العزبة واستثمار جزء من ثمنها في سندات مالية ممتازة والجزء الآخر يُشترى به بيت ريفي صغير في فنلندا. ويكون هذا الاقتراح بمثابة الزلزال الذي يعصف بكيان الخال فانيا، وتصل به الأحداث الدرامية إلى قمتها بمحاولة الخال فانيا إطلاق الرصاص على الأستاذ سيربير ياكوف بعد أن عجزت لغة الكلام عن التعبير. ذلك لأن العزبة أساسًا ليست ملكًا للأستاذ، لقد اشتراها والد الخال فانيا مهرًا لابنته زوجة الأستاذ الأولى، وكان الأمل - أمل أم سونيا الراحلة وأمل الخال فانيا - أن تنتقل العزبة تلقائيًّا إلى سونيا. ولعل هذا كان أحد الدوافع التي جعلت الخال فانيا يمضي هذه السنوات الطوال من حياته في خدمة العزبة مع ابنة أخته. لم يدفع الخال فانيا سنوات من حياته فحسب بل أكثر من ذلك، يشرح للأستاذ قائلاً: **«لقد اشترينا العزبة وفقًا للأسعار السائدة في ذلك الوقت بخمسة وتسعين ألف روبل، دفع والدي منها سبعين ألفًا وبقيت العزبة مرهونة على الخمسة والعشرين ألف روبل الباقية، والآن استمع إليَّ جيدًا، كان من المستحيل أن يتم شراء هذه العزبة لو لم أتنازل عن حقي في الميراث لأختي التي كنت أعزها. زد على ذلك أنني اشتغلت كالثور عشر سنوات حتى سددت ما عليها من رهن».**

يحاول الخال فانيا أن يكشف القناع فهو يرى أن الجميع قد خُدعوا بشخصية الأستاذ وهو في مقدمتهم، **«زوجته الأولى، أي شقيقتي، مخلوقة رقيقة الشمائل، كانت تحبه حبًّا لا تحمله إلا الملائكة الأطهار، وأمي أي حماته لا تزال مفتونة به إلى يومنا هذا ولا يزال يثير في نفسها شعورًا بالرهبة والجلال، أما زوجته الثانية وهي امرأة جميلة ذكية**

> «كل أبطالها من الطيبين فهم لا يضرون إلا أنفسهم»

فقد تزوجت منه بعد أن جاوز سن الشباب مضحية بشبابها وجمالها وحريتها من أجله. لماذا؟!».

الحب البائس

ومما زاد مأساة الخال فانيا عمقًا وقوعه في حب يلينا زوجة الأستاذ، ورغم معرفته جيدًا أنها لم ولن تبادله الحب، وأنه حب بائس يائس إلا أنه يصر على بقائه من طرف واحد: **«إنني أعرف أن لا أمل لي في أن تبادليني نفس المشاعر، ولكنني لا أطلب منك شيئًا. كل ما أريده هو أن تسمحي لي أن أنظر إليك وأن أسمع صوتك. هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجعلني أسعد إنسان على وجه الأرض!»**. والحقيقة أن الخال فانيا كان يعرف يلينا قبل الأستاذ، كان يراها في بيت أخته، كانت في السابعة عشرة وكان هو في السابعة والثلاثين وهو يقول الآن بندم: **«لم أقع في حبها في ذلك الوقت وأتقدم لطلب يدها. كنت أستطيع أن أتزوجها بسهولة، وكان من الممكن أن تكون زوجتي الآن!»**

ويظل يؤرقه شعور داخلي بأن الأستاذ قد أخذ منه كل شيء، ربع قرن من حياته والمرأة التي كان من الممكن أن تكون زوجته وتسعده، أخذ منه الحياة والحب والأمل.

ومأساة سونيا أنها تحب الطبيب استروف رغم معرفتها أنه لن يحبها وتعاني من عقدة أي فتاة غير جميلة، فهذه هي تفصح عن مأساتها: **«أوه.. ما أشنع أن تكون الفتاة غير جميلة.. ما أشنع ذلك! إنني أعرف أنني فتاة عادية.. سمعتهم يتحدثون عني يوم الأحد الماضي... قالت إحدى السيدات: إنها فتاة طيبة كريمة الطبع ولكنها، وا حسرتاه محرومة من الجمال»**. وعندما تعرف يلينا معاناة سونيا تحاول أن تساعدها وتكسب مودتها ومحبتها فتذهب إلى استروف وتصارحه بحب سونيا له وتنذره بأنه إن كان لا يبادل سونيا نفس المشاعر فمن الأفضل أن ينقطع عن العزبة حتى لا يُمعن في تعذيب الفتاة، فيختصر استروف الموقف محددًا ملامح شخصيته بقوله: **«شعوري قد تبلد ولا أظن أنني أستطيع الارتباط بأحد بعد الآن. إنني لا أحب أحدًا ولا أعتقد أنني سأقع في الغرام أبدًا. الشيء الوحيد الذي لا يزال يستهويني هو الجمال هو الشيء الوحيد الذي أقف أمامه عاجزًا»!**



تشيكوف

> «مسرحية الأعمار الضائعة بين الحلم والأمل والرجاء»

وكانت يلينا هي المعنية بالجملة الأخيرة، فقد كشف الموقف عن غرامه هو الآخر بجمالها لكنها استعصمت، ومما زاد في تعاسة سونيا أنها عرفت بحاسة المرأة غرام استروف بيلينا لذلك فهي تصارحها: «كنت أجد صعوبةً في إغرائه بالحضور، أما الآن فهو يزورنا يوميا ضاربًا بمرضاه عرض الحائط. لا شك أنك ساحرة!».

ضحية الشهرة

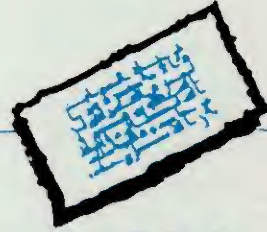
وشخصية يلينا طيبة ومسكينة من نوع النساء

> «لقد جعلتني هذه المسرحية أبكي لأجل حياتنا البائسة.. جوركي»

اللاتي يجر عليهن جمالهن الوبال، وهي مثل معظم الشخصيات ضحية للظروف التي وقعت فيها، وهي متهمة من كل الأطراف، فهذا الخال فانيا الذي يحبها يصفها بالبلادة وجمود الطبع والكسل: «أوه! آه لو كنت تستطيعين رؤية وجهك وحركاتك! خمولك فاق الوصف فلا تقدرين على التفاعل مع الحياة!»، وهذا استروف الذي يعشق جمالها هو الآخر يقول عنها: «لست أنكر أنها رائعة الجمال ولكنها لا تقوم بعمل شيء سوى الأكل والنوم والتنزه وسبي عقولنا جميعًا بجمالها.. إنها لا تقوم حتى بواجبات البيت». حتى زوجها الأستاذ العجوز الذي تتفانى في خدمته بإخلاص لم تسلم من اتهامه فهو يصرخ فيها في لحظة يأس **«إنني أعتقد أنك تشمئزين مني أكثر من غيرك... لست من الغباء بحيث يخفى ذلك علي... أنت شابة موفورة الصحة وجميلة... وأنا رجل عجوز مهدم»**. وعندما لا تجد من تتوجه إليه تضطر يلينا للدفاع عن نفسها أمام سونيا لتكسبها فتصارحها: «أنت تحقدين علي لأنك ظننت أنني تزوجت أباك بدافع الأنانية. ولكن صدقيني لقد تزوجته لأنني أحببته وأقسم لك على ذلك. بهرني بريق شهرته فوقعت في حبه. كان حبًا زائفًا مصطنعًا، كاذبًا ولكنه بدا لي حبًا صادقًا في ذلك الوقت.. إنني بريئة».

إنها ضحية بريق الشهرة مثل شخصية نينا في «طائر البحر» التي وقعت في غرام الكاتب الكبير تريجورين، مع الفارق بين تريجورين وسيريبرياكوف، إذ إن الأخير ليس بخبث الأول.

وقد وقعت يلينا في جاذبية الطبيب استروف دون أن تدري فهي تقول لنفسها في لحظة تأمل: **«أعتقد أني قد وقعت في حبه أيضًا. نعم إنني أشعر بالسأم في غيابه وأجد نفسي أبتسم عندما يخطر ببالي»**. ولكن هذا يظل مجرد خاطر عابر سرعان ما تطرده، وهي عندما عرضت على استروف إما أن يبادل سونيا الحب ويتزوجها أو ينقطع عن العزبة نهائيًا، كانت تحسم الأمر مع نفسها أيضًا بما يليق بها بوصفها امرأة متزوجة.



مدن سعودية [1]

أ

الأفلاج

جمع فَلَج، وهو الماء الجاري من العين أو النهر، هي منطقة عامرة بالسكان، والعمران، والنخيل، والزروع. في الجزء الجنوبي من اليمامة، مشهورة بعيونها الجارية، وبحيراتها، وخصبها، تنحدر عليها عدة أودية، من جبل (طويق) وتنتظم قراها، ومزارعها، وتنتهي برياض وسهوب ومرابخ، بمنطقة (البياض) مما يلي (**الدهناء**) لا يزال أكثرها غامرًا.

يحد منطقة الأفلاج من الشمال: (**الخرج**)، و(**الحوطة**)، ومن الغرب: جبل العارض ـ طويق ـ و(**السليل**)، ومن الجنوب، والشرق: رمال (**الربع الخالي**)، والدهناء، وقاعدتها (ليْلى).

تبعد عن الرياض ٣٣٤ كيلو مترًا

وللأفلاج شأن في التاريخ، وذكر حافل.

ففي الأفلاج قال امرؤ القيس:

بعيْنيَ ظعنُ الحيِّ لمّا تحمّلُوا لدى جانب الأفْلاجِ من جنْبِ قَيْمرا

وقال طفيل:

أسفَّ على الأفْلاجِ أيمن صوبه وأيسره يعلو مخارم سمسم

وقد أنجبت الأفلاج علماء ورجالاً أكفاء أسهموا في بناء كيان هذا الوطن وجمع كلمته، ومنهم (**حزام العجالين**) من الأربعين الذين رافقوا الملك عبد العزيز في فتح الرياض، ولا تزال الأفلاج منجبًا مخصبًا بالمعادن الطيبة من الرجال.

وقد ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب قال: الفَلَج قرية عظيمة بها نخيل ومزارع، وأنهار، وهي من قرى اليمامة، بينها وبين حَجْر مسيرة عشر مراحل، وبها عين يقال لها (**الزباء**)، يخرج منها سبعة عشر نهرًا.

وذكرها ناصر خسرو في رحلته التي زار بها نجدا قرابة منتصف القرن الخامس، قال عن الأفلاج: ومن مكة إليها ثمانون ومائة فرسخ، وتقع فَلَج هذه وسط البادية وهي ناحية كبيرة.

وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل، أما زرعهم ففي أرض عالية، يرفع إليها معظم الماء من الآبار، وهم يستخدمون في زراعتهم الجمال لا الثيران ولم أرها هناك. وزراعتهم قليلة، وقد رأيت هناك تمرًا طيبًا جدًا أحسن مما في البصرة وغيرها، وهناك تمر يسمونه ميدون تزن الواحدة منه عشرة دراهم، ولا يزيد وزن النواة عن دانق ونصف الدانق، ويقال: إنه لا يفسد ولو بقي عشرين سنة.

ب

البطحاء

واحدة البطاح، عرفوها بأنها المسيل الواسع فيه دقاق الحصى مما قد جرته السيول، قال عمر رضي الله عنه: بطحوا المسجد، أي ألقوا فيه الحصى.

تطلق البطحاء على عدة أودية، منها (**بطحاء مكة**)، و(**بطحاء ذي الحليفة**) و(**بطحاء سُدير**).

أما هذه فبطحاء (**الرياض**)، وهي وادٍ تقوم مدينة (**حَجْر**) القديمة على حافته الغربية، ويشق الآن وسط الرياض، ويعتبر من أطول شوارعها وأكثرها عمرانًا، وأوفرها حركة، وأغناها تجارة. تقوم المصارف على ضفتيه وتنصب السيارات كالسيل المتدافع عبره، ويغص بالغادين والرائحين، ويموج بالأنوار المتحركة والساكنة، وتلتقي فيه شوارع المدينة تأخذ منه وتعطيه في حركة دائبة صاخبة، وتتوسطه قناة عميقة شيدت جوانبها بالحجارة المربعة الحمراء وسنمت بالأرصفة، تمتد فوقها حواجز حديدية تحمي المارة عبر أرصفتها.. وإذا سال هذا الوادي واكتظت به هذه القناة يندفع في قوة واحتدام.

وكانت تتفرع منه سابقًا قنوات تسقي نخيل الرياض (**الصُّفُرات**)، و(**البُطيحاء**) و(**الشمسية**) وكثير غيرها، ولكنها الآن أصبحت أحياء تزدحم بالسكان.

وهناك بطحاء غير هذه في (سدير) جاء لها ذكر في تاريخ ابن عيسى.

ووادي البطحاء هذا هو وادي (**الوِتْر**) الذي ورد ذكره في المعاجم، وفي شعر الأعشى. ولا ندري متى حمل اسم (**البطحاء**) وزال اسمه القديم من على ألسنة الناس. و(وِتْر) أيضًا بدون الألف واللام وادي (**صُلْبُوخ**) ولا يزال يحمل هذا الاسم.

ت

التُّوَيْم

هو بلد قديم ورد ضبطه بعدة صيغ، قال ياقوت تُوم بالتحريك: موضع باليمامة به روضة.

وذكره صاحب (**بلاد العرب**) في بلاد تميم ـ حمان من سعد ـ مضموم التاء مهموزًا: تُؤم. وهذا يخالف ما جاء في شعر (**الحطيئة**) حينما ذكره، قال:

عفا تَومٌ من أهلهِ فجلاجلُهْ — فـــردتْ على الحيِّ الجميع جمائلُه

يعالينَ رقمًا فوقَ عقم كأنـه — دمُ الجوف يجري في المذارع واشلـُه

وقبل نهاية القرن السادس كان سكان التويم قومًا من قبيلة عائذ بن سعيد بادية وحاضرة، ثم ارتحلوا عنها وبقيت غامرة. وفي أوائل القرن الثامن تقريبًا أعيد عمرانها على يدي قوم من وائل كبيرهم مدلج بن حسين الوائلي وبنوه كانوا يسكنون (أشيعر) من بلدان الوشم.

وللتويم ذكر في وقائع (**نجد**) وحوادثها منذ القرن الحادي عشر حتى استتب الأمن في ربوع هذه المملكة.

ولقد أنجبت التويم شاعرين شعبيين كبيرين. هما محمد بن حمد بن لعبون شاعر الشباب وصاحب الوجدانيات المتألقة، وتوفى عام ١٢٤٧هـ. وإبراهيم ابن جعيش الشاعر الفكه والواصف المبدع توفي عام ١٣٦٢هـ.

ومنها الأديب المؤرخ حمد بن محمد بن لعبون صاحب تاريخ نجد وأنساب أهلها، وفارس بن سليمان بن بسام الوهيب التميمي المتوفى عام ١٢١٤هـ.

وفي التويم وأهله يقول شاعرهم إبراهيم بن جعيثين من قصيدة طويلة:

شُوَيٍّ وبانت لي علامات ديرتي — مــثل النعام إلي تقفّاه صياده

دار لنا ورجالها عادة لهــــم — ردّ السرايا والمعادي لهـم عـادة.

تقع التويم في وادي المياه من (**سدير**) تحت (**جُلاَجِل**)، و فوق (**عُشَيْرة**) جنوب (**المجْمعَة**).

ث

الثُمامة

واحدة الثمام، وهو النبت المعروف، وهي وادٍ من أكبر أودية (**العَرَمَة**) باليمامة، وقد حملت هذا الاسم متأخرة، ولعلها كانت تعرف قديماً بوادي (**الغَيْلانة**) كما أشار إليه في (**بلاد العرب**). هذا الوادي (**الثمامة**) ينحدر من قمة (**العَرَمَة**) مشرقًا تصب فيه عدة روافد صغيرة حتى يفضي إلى متسع من الأرض تحيط به الحزون والتلال، ويلتف بشجر الحمض والعرفج وغيره، هذه هي (**روضةُ مُصِدَّة**). وتحت هذه الروضة شرقًا يلتقي وادي مصدة بالثمامة، ويشكلان واديًا واحدًا، وبعد ذلك بقليل يفضي هذا الوادي إلى منحنى تقع فيه ماءة الثمامة المعروفة وهي ست آبار، وماؤها غير ثابت، وهي (**للجبور**) من سبيع، وماؤها من حيث الإساغة مشروب، وفيه هموجة، وبعد ماءة ثمامة شرقًا ينصب في وادي الثمامة رافدان يقبلان من ناحية الجنوب الغربي هما (**الشويهرات**) الأعلى والأسفل، كما يسميـــــان الآن، وإلا فهما (**الشُّوَيْهران**) واحدهما: شويهر. ومن تحتهما شرقا يصب في هذا الوادي أيضا رافد آخر يقال له: (**قُلَيِّل الحَطَب**) وهو أيضا يقبل من ناحية الجنوب الغربي بالنسبة لمصبه في الثمامة. ومن تحت مصب (**قليل الحطب**) بمسافة يصب في هذا الوادي أيضا رافد كبير اسمه (**جُرَيْذِي**)، يعتبر من أودية (العرمة) المعروفة، ومن تحت مصبه يمر الوادي بجبيلات بارزة هنالك تدعى (**ضُبَيْع**) الغَيْلانة أو (**بني ضبع**) بارزات في منفسح من الأرض حيث بعد مصب **جُرَيْذِي** تنحسر الجبال ويأخذ الوادي في السهل، وهنالك يعانق هذا الوادي وادٍ آخر كبير يدعى وادي (**المُساجدي**) يقبل أيضا من الناحية الجنوبية الغربية.

وعند مصب المساجدي في الثمامة هنالك ماءة (**الغَيْلانة**) المعروفة، وهي ثابتة، وعدد آبارها ست أو سبع، وهي (**للمدارية**) من سبيع. ثم يدفع وادي الثمامة في (**روضة خُرَيْم**) مع غيره من الأودية، وتستقر مياهها فيها كثرت أم قلت.

وإذًا فوادي الثمامة الشرقي هذه صفته تقوم جنوبه هضبة منساقة من الغرب، حيث منشأ هذا الوادي، وتتجه شرقًا بمحاذاته، حتى تقارب مصبه، وتنحدر سيولها الشمالية الشرقية فيه من أودية، هي: (**مُصِدّة**) (**الشُّويهران**) و(**قليل الحطب**) و(**جُرَيْـذِي**) و(**المُسَاجِدي**). أما شمال وادي الثمامة الشرقي فأوله مما يلي روضة خريم سهول، ثم حزون متداخلة يتجه سيلها شمالاً، وتصب في وادي (**أم أثلة**) و(**حُـمَـيِّم**) و(**جُنَيْب**) ومنها ما يستقر سيلها بها، ثم مرتفع هناك دمث يسمى (**دُمَيِّغ الهر**) تصغير دماغ، ثم مرتفعات العرمة الكبرى. هذا هو وادي الثمامة الشرقي، وعند منشئه من قمة العرمة هنالك فج يفري هذا المرتفع تقوم الجبال شماله وجنوبه، ويدعى: (**ريْع الثمامة**) معه طريق معروف للإبل والدواب، ينحدر أول ما ينحدر على منبسط يتهيأ للمنحدر إليه أنه أسهل. ولكنه وبعد مسافة ما يقرب من أربعة أكيال يعود فينحدر مع منحدر آخر أكبر من الأول. ويدعى هذا المنبسط بين المنحدرين (رَديفة)، **وفيه شعاب وتلال وتلول تكون مسيلاً واحدًا كبيرًا يصب مغربًا على مغارات ومنحدرات جبلية بديعة هي منتجع للرواد والمتنزهين.**

ج

الجُنَادِريَّة

(جَنَد) يعنى الأرض الغليظة والحجارة تشبه الطين. ومن مادة (جَدَر) الشيء يظهر فيه بروز وورم. ومن (جَنْدَرَ)الكتاب أمرّ القلم على مادرس منه، والثوب أعاد وشيه بعد ذهابه، ومن أسمائهم (جَنْدَرَة).

والمادة في مجموعها تفيد الصلابة والبروز. هذا مع التسليم باشتقاق الاسم ودلالة مضمونه. أما إذا كان مرتجلا ـ وكثيرا ما يرتجلون الأعلام ـ فلا معنى لكل هذه التعليلات.

وهي روضة كبيرة من رياض اليمامة. تقع شرق الرياض في شمالـه، بدأ يزحف العمران اليوم إليها.

والجنادرية ثلاث رياض متجاورات على شكل مثلث يدفع في الشرقية الشمالية (**غدير الحصان**)، ويدفع في الغربية الشمالية (**بنبان**) وروافده، ويدفع في الجنوبية (**أبو الجرفان**) وروافده، و(**بريشع**) إذا كبر سيله، على أنه إذا طغت السيول تلتقي كلها وتشكل بحيرة واحدة، وتعتبر هذه الروضة من متنزهات (**الرياض**) ومتربعاته.

ونباتاتها كشأن نباتات الروض: الحرف، والنفل، والحنوة، والرقم، والبسباس، والحوى، والحوذان، والأقحوان، وجميع نباتات الروض، وبها شجيرات الجثجاث والقيصوم والشيح.. وغيرها.

وكانت الجنادرية قبل (**حسب تقسيماتها**) تحمل عدة أسماء هي (**سُوَيْس**) و(**البَدِيع**) و(**الطنُب**) و(**الجِرْداء**) قال في (**بلاد العرب**): فأول ما يسقي وادي بنبان من رياض (**السُّلي**) روضة يقال لها (سويس) فيها قبتان مبنيتان يسكنها الزارعون، ثم تخرج من سويس فتصير إلى روضة يقال لها (**البديع**)؛ ثم من وراء البديع (**روضة الطنب**)، ومن وراء الطنب روضة يقال لها (**الجرداء**)، وهي تشرب من (**وادي جراف**) يفضي فيها ذو جراف، وجميع هذه الرياض من (**السلي**) تدعها يمينك وإذا جزعت وادي بنبان تريد (**البصرة**) من اليمامة.



حَجْر اليمامة

قاعدة اليمامة وحاضرتها وخضراؤها، كما وصفها صاحب كتاب (**بلاد العرب**) فقال: سُرة اليمامة، وهي سُرة (**نجد**) ومدينتها كما يقول ابن الفقيه.

وهي من أقدم المدن في (**جزيرة العرب**) إذ عرفت خضراؤها أيام العرب البائدة، فكانت حاضرة (**طَسْم**) ومدينتها الأولى.

يحدثنا الهمداني في كتابه (**صفة جزيرة العرب**) قال: وهي (**حَجْر**) **حضور** طسم وجديس وفيها آثارهم وحصونهم وبُتُلهُم الواحد بتيل وهو: هن مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين.

قال أبو مالك: لحقت منها بناءً طوله مئتا ذراع في السماء، قال: وقيل: كان منها ما طوله خمسمائة ذراع، من أحدها نظرتْ زرقاء اليمامة إلى من نزل من (جَوْجَان) من رأس (**الدّام**) مسيرة يومين وليلتين.

وكانت (**جَديس**) تسكن (**الخُضرمة**) وكانت (**طَسْم**) تسكن (**الخضراء**) وفي (**حجر**) حصون فارعة وقصور مشيدة وبتل وآطام، منها: (**بتيل حجر**) الذي شيدته (طسم)، ومنها: (**مُعْتق**) ويقع على رابية مرتفعة من روابي (**حجر**) بين الواديين (**العِرْض**) و(**الوتْر**)، ويروى بالنون (**مُعْنِق**).

ومنها (**الثَّرْمَليَّة**)، وقد بقيت أطلال تلك الحصون والقصور إلى القرن الرابع الهجري كما يحدثنا الهمداني عن شيخه أبي مالك اليشكري.

ولقد كانت (**اليمامة**) في عهود (**طسم**) و(**جديس**)، وفي أوائل الإسلام خضراء مُمْرعة، وكانت بها أنهار جارية وعيون ثرة وخضرة ونضرة، وكانت مدينة (**حجر**) تسمى (**الخضراء**) ومن عيونها (**الخضراء**) و(**وهيت**) **كما ذكر ابن الفقيه**.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أنها سميت (حَجْرا) لأن عبيد بن ثعلبة الحنفي هو الذي احتجرها بعد أن بادت منها قبيلة (**طسم**) وسبق إليها عبيد هذا. والحقيقة أن اسم (**حجر**) كان موجودًا أيام (**طسم**) وإنما احتجر عبيد جانبًا منها، وكانت قديما تسمى (**خضراء حجر**) ويبدو أن تكوينها وطبيعة أرضها حيث تحتجرها الحزون من كل جهاتها كانت هي سبب التسمية الأولى وهذا شيء طبعي.

وبعد (**طسم**) و(**جديس**) سكن (**حجرا**) قبيلة هزان من القبائل البائدة واختلف في نسبتها، إلا أنهم يؤكدون أنها غير (**هزان طسم**) وغير (**هزان عنزة**). وبعد هؤلاء سكنت عنزة (**حجرا**) وهم قبيلة (**عنزة بن أسد بن ربيعة**) ولكنهم سكنوها على ضعفٍ وكان استقرارهم فيها خفيفًا، فجاءهم بنو حنيفة يقدمهم (**عبيد بن ثعلبة الحنفي**)، فوجد مكان (**حجر**) خاليًا، ووجده مخصبا يانعا، فاحتجر لنفسه ولأولاده طائفة وحل بها وبث ومكث، وجعل يقول:

حَلَلْنا بدارٍ كان فيها أنيسُها ... فبادوا وخلَّوا ذات شيد حصُونها
فصاروا قطينا للفلاة بغُربْة ... رميما وصرنـا في الديار قطِينـها

وكما كانت (حجر) القاعدة الأولى لليمامة في الجاهلية، فكذلك ظلت هي القاعدة في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وصدر عصر بني أمية، إلا أن أحد ولاة بني أمية وأقواهم وأنبههم ذكرا (**إبراهيم بن عربي**)، اتخذ من بلد يسمى (**العُقَيْر**) في منتصف وادي حنيفة مما فوق (**الدرعية**) مقرا له، مع بقاء (**حجر**) على قوتها ومكانتها.

ومن آثار صدر الإسلام في (**حجر**) و(**العرض**) مسجد بناه خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ في حجر لا يزال باقيًا حتى الآن غرب (**الرياض**) جنوبها في ما يسمى الآن حيّ (**ابن غنام**). ومن الآثار التي تذكر عن الأمويين وواليهم إبراهيم بن عربي سجن اليمامة المشهور (**دوّار**) الذي ذكرته الشعراء وأفاضت في ذكر قسوته وشؤمه.

وقديما زارها الرحالة ابن بطوطة سنة ٧٣٢هـ. وقال: «ثم سافرنا منها إلى مدينة (**اليمامة**) وتسمى (**حجرا**). مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة وهي بلدهم قديماً وأميرهم (**طفيل بن غانم**) ثم سافرت منها بصحبة هذا الأمير برسم الحج...».

وفي منتصف القرن التاسع وفد (**مانع المريدي**) من بني حنيفة على ابن عمه (**ابن درع**) صاحب (**حجر**) و(**الجزعة**). وفد عليه من الدرعية بالقطيف فأقطعه (**المُلَيبِيد**) و(**غَصِيبْة**) وما بينهما الذي هو مكان الدرعية الآن، فسماه من

يومئذ بهذا الاسم (الدرعية) نسبة إلى هؤلاء الدروع. وقيل لأن بلاد مانع التي كان يسكنها في الخط اسمها (الدرعية) فسمى هذا المكان باسمها.

ومانع المريدي هذا هو الجد الثالث عشر للملك عبد العزيز يرحمه الله، ولم يزل نفوذهم يكبر وعددهم يكثر حتى أصبحت لهم الصدارة.



الخرج

مأخوذ إما من الخرج على زنته، وهو الوادي الذي لا منفذ له وهو ينطبق على (الخرج) المنطقة فهو واد لا منفذ له، وإما من الخرج على زنته أيضا، والمراد به الغلّة، مما يخرج من الأرض والضريبة، والإتاوة، ومنه قوله تعالى: ﴿أم تسألهم خَرْجًا فخراج ربك خير﴾، والمعنى الأخير هو ما ينطبق على (الخرج)، فهي منطقة زراعية ذات غلة وإنتاج. وكان خراجها يغطّي حاجة (الحَرَمَيْن) سابقًا.

ومنطقة الخرج أخصب إقليم في اليمامة، وأوسعها رقعة، وأكثرها ماء، وأشهرها إنتاجا، تلتقي فيها أودية عظام من أكبر أودية العارض وأبعدها مدى.

يعتبر إقليم الخرج من منطقة (العارض) في قلب (اليمامة)، ويحدها شمالاً جبال (المغَرة) وطرف (جبل الجُبَيْل) الجنوبي و(بُرْق أم الشّعَال) وجبال (نَسَاح) الشمالية و(العَفْجَة) ومدافع (الترابي) و(النَّخْش)، ويحدها شرقًا (الدّهْنَاء)، ويحدها جنوبًا (البَيَاض)، ويحدها غربا منحدرات جبل (عُلَيّة) الشرقية، وتبلغ مساحتها طولا من الغرب إلى الشرق حوالى مائتي كيل في خمسين كيلا في المتوسط، وتبعد عن الرياض أكثر من ثمانين كيلا، وتقع جنوبها بميل قليل إلى الشرق، وأرضها رملية طينية يكثر فيها شجر الحمض والسلم والعشر ونباتات الروض.

ومنطقة الخرج ذات تاريخ عريق يرجع إلى العرب البائدة، فلقد كانت قبيلتا (طَسْم) و(جَديس) هما سكان اليمامة وامتد نفوذهما إلى البحرين وما حولها، وكانت طسم تسكن (العِرض) ــ وادي حنيفة ــ من اليمامة، وكانت جديس تسكن (جَوّا) الخرج وما حوله، ويبدو أن الاسم الغالب عليه ذلك الزمن هو (جَو) على ما رجحه بعض المؤرخين، وأن الخرج اسم إسلامي.

أما في الجاهلية فقد كان الخرج ــ جو اليمامة ــ منافسًا كبيرا (لحجْر) ــ الرياض ــ فقد كان في الخرج (جو الخضرمة) وهي قصبة المنطقة ومدينتها العتيدة وحصنها المنيع وحولها الحصن العظيم الذي يقال له (الجَوْن) وإليه أشار المتلمسُ بقوله:

ألم تر أن الجونَ أصبح راسيا	تطيف به الأيام ما يتأيس
عصى تُبّعا أيام أهلكت القرى	يطان عليه بالصفيح ويكلس

يحدثنا الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) عن (الخرج)، فيقول: ثم تسير في السهباء، ثم تقطع جبيلا قريبا يقال له: أنقد، ثم الروضة، ثم ترد الخضرمة جو الخضارم مدينة وقرى وسوق، فيها بنو الأخيضر بن يوسف.. وهي دار بني عديّ بن حنيفة، ودار بني عامر بن حنيفة، ودار عجل بن لجيم، وديار هوذة بن عليّ السُّحيمي الحنفي.

وظلت الخرج محتفظة بمكانتها وقوة نفوذها في الجاهلية وصدر الإسلام.

وقد اتخذ الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ من الخرج ميدان مناورة حينما فتح الرياض وضم إليه المناطق القريبة.

وفي الخرج أسر عريقة كان منهم أمراء وقادة ورجال دولة أبلوا بلاء حسنا قديما وحديثا دون العقيدة والوطن والكيان... كما أنجبت علماء ذكر منهم ياقوت عددا في كلامه على الخضرمة، وكذا مَنْ جاء بعدهم.

وفي الخرج معالم ذات شهرة مثل: (الخضْرمة) قديما، و(رأس الكلب) و(أبو ولَد) و(الجَون)، و(أبرق سارة) و(الدّام) و(الأدَمي) و(أبرق الروحان) و(الغرف)، وغير ذلك.

د

الدرعية

نسبة إلى الدروع، وهم بطن من بني حنيفة إما نسبة إليها ابتداء وإما منقولة عن قرية في الخط اسمها الدرعية قد بادت، وكان يسكنها قوم من الدروع هنالك فنسبت إليهم. ولما استوبؤوها وأنهكتهم حُمّاها جاؤوا إلى بني عمهم في وادي حنيفة (حَجْر) و(الجزْعَة) وما فوق الرياض، وكان يرأسهم رئيس يقال له (ابن درع)، وكان يرأس الوافدين (مانع المريدي) جد الأسرة السعودية وهو الجد الثالث عشر للملك عبد العزيز رحمه الله، وكانت هذه الوفادة فيما يقدر المؤرخون سنة ٨٥٠هـ. فأقطعه ابن عمه ابن درع منطقة (المُلَيْبِيْد) و(غَصِيْبَة) وما بينهما، أما (آل يَزيد) من بني حنيفة فكان لهم ما فوق هذه المنطقة من (سَمْحَة) إلى (الوَصِيْل) و(النَّعميَّة) و(الجُبَيْلة) وما حول ذلك، أما ما فوقه من (الجبيلة) إلى (الأبَكَّيْن) إلى (الشِعيب) حريملاء وما حولها فهو لابن طوق جد آل معمر من تميم.

ولم يزل أبناء مانع المريدي وحفدته ينمون ويزدادون قوة ومنعة وعددا حتى سيطروا على هذه المنطقة.

وبعد وفاة مانع استقل بالحكم بعده ابنه ربيعة ولم تزل هذه السلسلة تتوارث الإمارة في الدرعية إلى أن استقل بإمارتها محمد بن سعود، وهو الذي خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عهده، وكان ابتداء حكمه سنة ١١٣٩هـ.

على هذا تتابعت سلسلة الحكام من لدن محمد بن سعود فابنه عبد العزيز فابنه سعود حتى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله.

كما تتابعت سلسلة الدعاة العلماء من لدن محمد بن عبد الوهاب فأولاده وأحفاده وتلاميذه.

لقد كانت الدرعية ركيزة خير ودعامة فضل ومدينة حضارة وعمران في جزيرة العرب، تضاهي الحواضر الكبرى في المشرق علما وتقدما وعمرانا وتجارة وحضارة..

يحدثنا المؤرخ ابن بشر عن الدرعية إبان ازدهارها فيقول: وكانت قوة هذه البلدة وعظم مبانيها وقوة أهلها وكثرة رجالها وأموالها لا يقدر الواصف صفتها، ولا يحيط العارف بمعرفتها فلو ذهبت أعد رجالها وإقبالهم فيها وإدبارهم في كتائب الخيل والنجائب العمانيات وما يدخل على أهلها من أحمال الأموال من سائر الأجناس التي لهم من المسافرين من أهلها ومن أهل الأقطار لم يسعه كتاب ولرأيت العجب العجاب، وكان الداخل في موسمها (سوقها) لا يفقد أحدًا من أهل الآفاق من اليمن وتهامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم، إلى ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عدهم.

وتقع الدرعية شمال غرب الرياض بمسافة عشرين كيلا، ويشقها وادي حنيفة نصفين، وتقع منه في شبه خط متعرج، ويدفع فيها من الروافد شعاب من أكبرها وادي (صَفَار)، ووادي (غُبَيْراء)، ووادي (سُدَيْر)، ووادي (الحَريقَة)، ووادي (الخَسيف)، و(قرى قُصير)، و(قرى عُمْران)، وعلى ثلاثة منها سدود صغيرة، وكان بأعلى الدرعية سد كبير يخزن ما يقرب من مليونين ونصف المليون من أمتار المياه، ويتبع إمارة الدرعية ملحقات: العَوْدة، والعِلْب، والمَلْقَى، والمُغَيْدر، والوصِيْل، وأبو الكباش، والعَمّاريّة. والدرعية بلاد زراعية كثيرة النخيل والأشجار، عذبة المياه، وقد دب فيها العمران وسرى فيها النشاط، والمؤمل أن تكون مدينة نموذجية سياحية بمتنزهاتها وآثارها.

ذ

ذات أبواب

قال ياقوت: ذات أبواب: قالوا في قول زهير:

عهدي بهم يومَ باب القريتين وقد
زال الهماليج بالفرسان واللجم

باب القريتين التي بطريق مكة فيها ذات أبواب: وهي قرية كانت لطسم وجديس، قال الأصمعي: حدثني أبو عمرو بن العلاء قال: وجدوا في ذات أبواب دراهم في كل درهم ستة دراهم من دراهمنا ودانقان، فقلت: خذوا مني بوزنها وأعطونيها فقالوا: نخاف السلطان لأنا نريد أن ندفعها إليهم. والله أعلم.

قلت: لا نعرفُ اليومَ في ديار طسم وجديس علما يحمل هذا الاسم، وما يقارب ذلك ثنية في جبل العرمة يقال لها: (بُوَيْب).

وهناك حَزنٌ في جانب الدهناء بالعرمة يقال له أبواب، ليس عنده ما يدل على العمران.

وهناك أبواب في المنطقة الشرقية بلاد وبها آثار، والأقرب أنها على طريق حاج تلك الجهة، وقد امتد نفوذ طسم وجديس إلى تلك الجهة، فلا يبعد أن تكون المرادة بهذه الترجمة. والله أعلم.

ر

رَغَبَة

من الرّغَب بالفتح ضد الرّهَب، ومنه قوله تعالى: ﴿ويدعوننا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ **سورة الأنبياء/ ٩٠**، أو من الرِّغَاب، وهي الأرض اللينة لا يجرى ماؤها، إحدى بلدان (**المِحْمَل**) مما يلي (**الوَشْم**) في منبسط من الأرض بارزة ظاهرة ترى من بعد، يأتيها سيلها من قبل صفحة طويق الغربية مما يلي (**خشم الحصان**) وشعابه التي حوله تتجمع السيول في رغبة، وإذا ارتوت نخيلها ومزارعها اندفع سيلها مشملا مغربًا يفلق رمل رغبة ويخرج على (**بَدَايع رغبة**) ومنها يخرج إلى (**أَعَيْوج**)، وربما إلى (**سبخة القَصَب**) ذات الملح المشهور.

وحول (**رغبة**) مراتع جيدة، ورياض مشهورة فمنها (**روضة أم الشُّقُوق**)، هذه تقع بين (**رغبة**) و(**نفودها**) رملها، وهي أثيرة عند أهل رغبة، وقريبة. ومنها (**روضة آل كثير**)، و(**روضة أم السِّدْر**) و(**روضة الطُريف**) و(**روضة البُرْدان**).

ويقابل رغبة من الشرق (**خَشْم الحصان**) أبرز أنوف (**طُوَيق**) وأشهرها، يطل على رغبة من علٍ، وكأنه يقول لها: ها أنذا عندك لن أبرح أبدًا، ويطل عليها من الشمال الشرقي جبل (**الغُرَابة**)وكأنه معرض عنها ومعط وجهه لبلدة (**ثادِق**).

وبرغبة (**بتيل**) سامق على نحو بتل الأوائل بني من الطين، داخله درج حلزوني الشكل يصعد حتى قمته، بُني منذ زمن طويل ليشرف على ما حول البلدة ويراقب من به سائمتها، ويتفقد من يمر بأرضها أيام كانت البلاد غير آمنة، وحمايتها في ذمة أهلها.

ولقد ربطت رغبة بخط معبد يصلها بالرياض وقاعدة المحمل (**ثادق**) وغيرها، وهي تبعد عن الرياض نحوًا من مائة وخمسين كيلا نحو الشمال الغربي.

ولقد كانت بلدة (**رغبة**) في مكانها الآن قديماً، ولأمر ما نزح أهلها وبنوا في مكان غيره، ثم عادوا سنة ١٠٧٩هـ وأعادوا بناء بلدتهم على أنقاض البلدة الأولى ولا تزال.

ومن المصادفات العجيبة في الأسماء أن بلدة رغبة هذه يجاورها بلدة اسمها (**البـرَّة**)تقرن معها أحيانًا في الاسم، فيقال: رغبة والبرة أو البرة ورغبة وأحيانا تثنى البرة، فيقال: البرتين، يعنى البرة والعويند، وأحيانًا تفرد.. بينما يوجد في عالية نجد جبلان متجاوران، أحدهما يقال له (**رغبا**) والآخر يقال له: (**البرة**).. وأحيانًا تفرد البرة وأحيانًا تثنى باعتبار أن البرة هناك جبلان مقترنان.

وقد قال (**كثير**) في (**رغباء**):

أبت إبلي ماء الرداة وشفها ... بنو العم يحمون النضيح المبرّدا
إذا وردت رغباء في يوم وردها ... قلوصي دعا أعطاشه وتبلدا

من معاني أسماء الأعلام

الأخفش : ضيّــق العينين، ضعيف البصر خلقةً .

الأصمعي : اسم مشتق من الاصمع، وهو الصغير الأذنين، العقل الذكي، السيف القاطع . .

الأعشى : السيئ البصر، المبصر في النهار دون الليل . .

الحُصين : مصغر حصن : مكان منيع محميّ، سلاح . .

السُكيت : آخر خيل الحلبة .

الصعب : الأبيّ، الأسد . .

الظاهر : المنتصر . .

العجاج : الصيّاح . .

العقّاد : صانع الخيوط والأزرار، بائعها .

المعتضد : المستعين بغيره . .

المقنّع : المنكّس رأسه على الدوام .

تامر : صاحب التمر، الكثير التمر . .

جُبير : مصّغر جبر، شجاع . .

حمّاد : كثير الحمد . .

حُنين : مصَغّر جن : نوع من الجن . .

حنبل : قصير وضخم البطن . .

حنيفة : من حنيف : مستقيم، متمسك بالإسلام .

خديجة : دابة مولودة قبل الأوان، أو ناقصة الخلق .

حَيدر : قصير (رجل)، أسد . .

ما اتفق لفظه واختلف معناه *

الخال

تأتي كلمة «الخال» على ستة أوجه، على النحو التالي :

- بمعنى الخُيَلاء

وفيه يقول العَجّاج : والخالُ ثَوْبٌ من ثياب الجُهّالْ .

منها المُخْتالُ نَفْسُهُ .

- وبمعنى ضَربٍ من البُرودِ، يقول النابغة :

كأن كشوحهن مُبطَّناتٍ إلى فوق الكعاب بُرُودُ خالِ .

- وتأتي بمعنى الرَّاية

- وبمعنى السحاب المُخِيل للمطر .

- وتعني الشامة .

- ومن أشهر معاني الكلمة «الخال» بمعنى أخي الأم .

☆ لأبي العَمَيْثل الأعرابي

معروف

عن ابن الحنفية، قال :

ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًّا، حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج .

العقل زينة

سُئل الأحنف بن قيس عن العقل، فقال :

رأس الأشياء، فيه قوامها، وبه تمامها، وهو سراج ما بطن، وملاك ما علن، وسائس الجد، وزينة كل أحد، لا تستقيم الحياة إلا به، ولا تدور الأمور إلا عليه .



حماية المها من الانقراض

المها العربي الذي ورد ذكره كثيراً في الشعر العربي، وضُرِبَ به المثل في جمال العيون (والذي أصبح مجرد «زينة» و«فُرجة» في حدائق الحيوان بعد أن كان موجودا في معظم أرجاء الجزيرة العربية) عملت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها في المملكة العربية السعودية على حمايته من الانقراض بعد أن تناقصت أعداده بشكل كبير بسبب الصيد، فاحتفظت الهيئة بقطيعين من هذا الحيوان وتم إطلاق بعضها في بيئتها الطبيعية التي تمت حمايتها بالقرب من الطائف .

ويأتيك بالأمثال

صَمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ

شهد شاهد ما تعرضه شاشة التلفاز عن الفظائع التي تُرتكب ضد المسلمين في البوسنة والهرسك فصاح : «صمّت حصاةٌ بدم» !

قال الأصمعي : المثل أصله أنْ يَكْثُر القتل وسفك الدماء حتى إذا وقعت حصاةٌ من يد راميها لم يسمع لها صوت ؛ لأنها لا تقع إلا في دم فهي صَمّاء، وليست تقع على الأرض فَتُصَوِّت، ومثله في تجاوز الحدّ «بَلَغَتِ الدِّماء الثُّنن»، وإنما جُعل الصَّمم فعلاً للحصاة، وهو ـ أعني الصمم ـ انسداد طريق الصوت على السامع حتى لا يدخل أذنه لأنهم جعلوا الدم سادًّا لم يخرج من صوت الحصاة إلى السامع، فعدُّوا عدم الخروج كعدم الدخول، يجوز أن يقال : جعل الحصاة صمّاء لأنها لا تسمع صوت نفسها لكثرة الدم، ولولا ذلك لصوّتت فسمعت. ويُضرب هذا المثل في الإسراف في القتل وكثرة الدم.

كومبيوتر ينظم فعالية الدواء!

خلافًا للأدوية التقليدية التي تبين موقع انحلال الحبوب الدوائية في الجهاز الهضمي بشكل تقريبي، فقد تم تطوير نوع من الحبوب في جامعة نيويورك تنحل في المكان الصحيح من الجهاز الهضمي بدقة متناهية. عندما تسرى حبة الدواء التي يبلغ طولها إنشًا واحدًا في جسم المريض ترسل إشارة إلى جهاز كومبيوتر يتحدَّد مكان موقعها الصحيح في الجهاز الهضمي في الوقت المحدد، فيوعز الكومبيوتر إلى هذه الحبة بأن تحل مركباتها الدوائية فيه.

○ ○

فيديوتكس Vedeotex

يعبر **الفيديوتكس** عن نوعين من التقنية الجديدة في مجال نشر الأخبار والمعلومات عن طريق شاشة التلفاز.

الأول : الفيديو تكست Video Text وهو نظام يربط بين شاشة العرض التليفزيونية في المنازل أو غير ذلك ومصدر للمعلومات والأخبار عبر الأسلاك، ويسمح هذا النظام بتفاعل ثنائي بين المصدر والمستقبل لهذه الخدمة الإعلامية.

الثاني : التلي تكست Tele Text وهذا النظام يربط بين شاشة العرض التليفزيونية ومصدر المعلومات دون استخدام أسلاك تسمح بتفاعل ثنائي، وإنما يتم بث المعلومات داخل الإشارات التلفازية لتعرض مكتوبة على شاشة التلفاز.

وقد أصبحت هذه الخدمة الجديدة أكبر تحدٍّ ينافس الصحافة المطبوعة اليومية، إذ وجب على الصحافة أن تقدم ما خلف الأخبار وليس فقط مجرد الخدمة الأخبارية دون تحليل وتفسير وشرح.

الجليلة



بعض القراء لن يصدق قصة «الجليلة» ولكنها قصة حقيقية حدثت، والناس الآن تعيش أحداثها.

ففي ذات يوم اجتمعت العائلة في منبسط من الأرض، أوسع من واد وأضيق من سهل، وكان مع العائلة عائلة من الأغنام يشربون من لبنها ويأكلون من لحمها عندما يأتي الضيف.

وقد أعجبت العائلة بالموقع المناسب وحفرت بئرا ووضعت بعض الخيام، ومع مرور السنوات أصبح الموضع قرية اسمها «الجليلة».

وزارت البَرَكَةُ «الجليلة» في شخص فقيه بنى المسجد الأول والأخير والوحيد فيها. ثم تكاثرت العشيرة لتصبح القرية أوسع مما كانت، وأصغر من أن نسميها مدينة.

بئر ومسجد وأرض خصبة طيبة وأغنام، ذلك كيل ليس باليسير.

ثم هبت زوابع زيغ وزيف وزندقة وزور على قرية «الجليلة» العربية النائية في وسط الهضاب والوديان، وعادت الجاهلية القديمة باسم الاشتراكية، وأمر المأمور بإقفال مسجد «الجليلة» الوحيد الأعزل، ثم تعاقد مع ذئب من البشر على أن يسكن في المسجد، وأن يجعل من المحراب حمَّامًا.

وكنت أقول إن العافية بين آذان الشر، فقد دارت الدوائر على الباغي بعد عشرة أعوام، وأصبح المأمور قتيلا بخناجر ورصاص رفاقه في الاشتراكية الذين مثلوا به وقطعوا ما ليس يذكر وملأوا به فمه.

وقبل ذلك كانت الصحوة قد انتفضت على المألوف السائد، وتوقدت عاطفة كامنة كانت راكدة أو راقدة، فما كانت المألوفات السوائد بقادرة على صمود في وجه صحوة فتية.

وفوجئ أهل التسلط والهيمنة في «الجليلة» وغيرها من القرى المبعثرة في الأغوار والأنجاد بهزيمة ساحقة كاسحة. وبدأت الأعين تحاصر الساكن ليتحرك وما كان سيفعل إلا رغمًا عنه. فاجتمع أهل القرية وأبلغوا الذئب البشري بأن عليه أن يخرج قبل أن يحدث ما لا تحمد عقباه.

وخرج مستوطن المسجد، وعاد للقرية غريبها الذي اختطف، وبدأ الناس بإمكاناتهم المتواضعة يرممون مسجد «الجليلة» بعد انهزام زوابع الزيغ.

وظهر النور وارتفع صوت المؤذن يؤذن ويجلجل في «الجليلة»، واطمأنت عظام الفقيه الذي بنى المسجد لأول مرة قبل مئتي عام أو ثلاثمائة عام.

فمرحبا بك يا مسجد «الجليلة» رمزًا للصحوة في ديار الإيمان.
ورحم الله فقيهك الأول. وبشراكم أيها المستضعفون

محمد علي الجفري

علامات استفهام في النقد الأدبي



تأليف الدكتور علي شلش.

يضم الكتاب مجموعة من المقالات النقدية كان المؤلف قد نشر بعضها في الصحف والمجلات التي تُفسح مكانًا للنقد الأدبي الجاد، ولعل عناوين هذه المقالات تدلّ عليها:

لماذا نكتب؟ هل يختلف خيال الأنثى عن خيال الذكر؟ ماذا تتعلّم السيرة من الرواية؟ هل النقد يفسد الودّ؟ أليست أزمة الشعر أعمق من هذه المعلّقات؟ ماذا كتب **طه حسين** بالفرنسية؟ **زكي مبارك** هل ظلمناه أم ظلم نفسه؟ هل كَنَسَ **يحيى حقي** دكّانه؟ (وهي إشارة إلى عنوان آخر كُتب عن يحيى حقي: كناسة الدكّان) والكتاب يضم مجموعة أخرى من المقالات الجادة، وهذه المقالات تطرح تساؤلات كثيرة عما يمور في الساحة الأدبية والثقافية العربية ـــ ويقع الكتاب في ٢٧٠ صفحة من القطع المتوسط وصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدّة.

كل شيء عن الطفل



تأليف الدكتور **خليل الديواني**. وهو كتاب صادر عن دار أخبار اليوم في ١٤٢ صفحة من القطع المتوسط. وضعه مؤلفه في خمسة عشر فصلاً هي عبارة عن إجابات عن أسئلة طبيّة تخص الطفل وترد على ذهن الأبوين في العادة. وتتناول موضوعات مثل التأخر العقلي وتأخر النطق وحالات السعال الديكي وغيرها.

في رحاب القرآن



عن دار «أبو للو» للنشر والتوزيع صدر للدكتور **محمّد شامة** كتاب «في رحاب القرآن» في طبعته الأولى. يقدم فيه الدراسات حول موضوعات مهمة للمسلمين مثل الكتب المقدسة في الأديان الثلاثة، وتعريف الوحي ومفهومه عند أتباع الأديان الثلاثة، وكيفية نزوله وموقف القرآن من قضايا العصر. يقع الكتاب في ٣٣٣ صفحة من القطع المتوسط.

أمريكا للبيع



تأليف **محمود عمارة**.

وهو عبارة عن نوع من أدب الهجرة. يحاول أن يقول فيه المؤلف إن هناك مستقبلاً زاهرًا يمكن تحقيقه في كلّ مكان إذا توفرت الموهبة والعزيمة، ويحكي تجربته الخاصة مع الهجرة إلى فرنسا ثم إلى أمريكا. يقع الكتاب في ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط.

الإعلام التربوي في دول الخليج العربية



يضم الكتاب وقائع اجتماع مسؤولي الإعلام التربوي في دول الخليج العربية الذي دعا إليه **مكتب التربية العربي لدول الخليج**، وعُقد بمدينة **الدوحة** في جمادى الأولى ١٤١٢هـ (ديسمبر ١٩٩١م) وضمّ عددًا من المسؤولين عن الإعلام، وعن الإعلام التربوي في الدول الأعضاء وناقشوا واقع الإعلام التربوي فيها، ووضعوا التصوّرات المناسبة للعمل، حيث أكّدوا على ضرورة تطوير العمل الإعلامي التربوي، خاصّة في ظل الغزو الثقافي الذي تتعرّض له المنطقة، مثل البثّ المباشر الذي يهدّد عادات المنطقة وسلوكياتها.

يقع الكتاب في ٢٣٢ صفحة وصدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج ومقره الرياض.

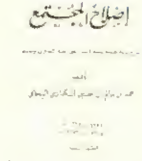
السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها



تأليف الدكتور **محمد البهي**.

والكتاب ضمن سلسلة البحوث الإسلامية للأزهر، ومن إصدارات عام ١٩٩١م. وفيه استعراض لأساليب الدعوة والشروط الواجب توفرها في الداعية والتركيز على أن الدعوة مرتبطة في بقائها بمبادئها وليس بالداعية. يقع الكتاب في ١١٣ صفحة من القطع الصغير.

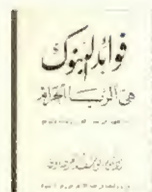
إصلاح المجتمع



تأليف **محمّد بن سالم ابن حسين الكدادي** البيحاني، ومن إصدارات دار المجتمع للنشر والتوزيع. والكتاب عنوانه بالكامل: «إصلاح المجتمع: شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه البخاري ومسلم». وجميع أحاديث الكتاب من الصحيحين ـ كما قال المؤلف في المقدمة ـ «تدل على الخير وترشد إلى الفضل واكتسابه، وكلها من الصحيحين... وموضوعها الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والآداب السامية، والعادات والتقاليد القومية الإسلامية، ومحاربة الفساد والرذيلة...»

يقع الكتاب في ٤٨٣ صفحة من القطع الكبير، وهذه هي طبعته الثالثة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

فوائد البنوك هي الربا الحرام



تأليف: الدكتور يوسف القرضاوي.

يستعرض الكتاب ما قيل عن فوائد البنكية وموقف الإسلام

منهـا . وبعـد أن ينتهي إلى تحريمهـا يناقش الفتـوى التي صـدرت عن **مفتي الديار المصرية** بإجازة أرباح شهـادات الاستثمار فينتهي الكتـاب إلى أنها ينسحب على فوائد البنوك من أنها من الرِّبا الذي حرّمـه الإسلام ، وينادي الكتاب بالتعامل مع البنوك التي تعـامل مع عمـلائهـا طبقًـا لأحكام الشريعة الإسلامية .

حياة رخيصة



المؤلـف : جمعة محمد جمعة

مجمـوعـة قصصية جديدة للكـاتب جمعـة محمـد جمعـة صـدرت عن المجلس الأعلى للثقافـة في مصر . تتضمن المجموعة عشر قصص قصيرة «دراما الحياة» و«بيت تحت الشمس» و«هذا الرجل أبي» و«غفلة حـامد» و«العدو تحت ضوء القمـر» و«وبـدأ شتـاء الأحزان» و«مشاهد على قبر الماضي» و«ذعـر في الحديقـة» و«مقـاطع من مهزلـة عائلية» بـالإضافـة إلى القصة التي حملت المجموعة اسمها .

للكـاتب مـؤلفـات متعـددة ، وتتميـز المجمـوعـة بأسلوب القص السلس وثراء معطياته الأدبية .

أطياف شعبية



تـأليـف عبدالله الحيدري

مجمـوعـة لوحـات شعبية تضمنهـا هـذا الكتاب الذي أصدره مؤلفه الإذاعي عن خـلال احتكـاكـه من قـرب بالمجتمع وأفراده وثقافته . .

قسّم الكـاتب كتـابه إلى ثـلاثـة أقسـام : الأول خصصـه للقصص والحكايات ، والثاني أسماه «شعبيات» ويضم تعليقات على بعض الأساليب والتعبيرات العـاميـة المستملحـة ، والقسم الأخير أطلق عليه متفرقات .

وإذا كـان تـدويـن القصص والحكايات فن قديم جدا في موروثنا الثقافي ، فإن ما سطره المؤلف هنا نابع من بيئته بطابعهـا الشعبي والتقائى ، ويلقي إضـاءات على روائع شعبيـة سطرتها بديهة ابن البادية .

صـدر الكتـاب في مـدينـة الرياض .

الأمثال الشعبية في المنطقة الجنوبية



جمعها وعلق عليهـا يحيى إبراهيم الألمعي

في ٤٢٤ صفحة صـدرت الطبعة الثالثة من هذا الكتاب الذي قام بجمعـه وترتيب أمثـاله والتعليق عليها الأستاذ يحيى إبراهيم الألمعي .

تأتي أهميـة هذا الكتـاب ـ كما ذكرت إدارة نادى أبها ـ من أن الأمثال عـامـة (الشعبية) وخـاصـة تعكس أصدق الصور عن حياة المجتمعات التي أفرزتها ، وهي جزء لا يتجزأ من تاريخ وثقافة وتراث الأمة . تضمنت الطبعـة الجديـدة أكثـر من مـائتين وخمسين مثلا جديدا .

الكتـاب نشره نـادي أبها الأدبي هذاالعام .

تاجر البُندقية المنتظر

تذكرته



والانتفاضـة العربيـة تدخل في عـامها السـادس في فلسطين .

كان هـذا الثري اليهـودي من وجهـاء التجار في البنـدقية ، يسميـه اليهـود (يوسف نـاسيّ) أي الأمير يـوسف . وكانت تجارتـه مزدهـرة في شرق البحر الأبيض المتوسط ، عاش في ميناء البندقية في عهد السلطان العثماني سليمان (القـانوني) أو (الأفخم) الـذي امتـد حكمـه من ١٥٢٠م إلى ١٥٦٦م . وكان يـوسف هذا بتجـارته الـواسعة مصدر إزعاج لـلإمبراطورية البريطانية بأساطيلهـا التي تسيطر على بحار العالم ومحيطاته بلا منافس ، ما عدا البحرية التركية التي كانت تضايقها في البحر الأبيض المتـوسط خصوصا ، لاسيما بعد أن وصلت الـدولة العثمانية إلى مصر وتـونس والجزائر ، وسيطـرت في أوروبـا على اليـونـان وروماـنيا ويوغوسلافيا بما في ذلك البوسنة والهرسك وكوسوفو وكذلك ألبانيا وأجزاء شاسعة من المجر وبلغاريا . وكان يـوسف يرقب الموقف عن كثب إلى أن علم بأزمة مالية حادةتجتاح السلطان سليمان بسبب البذخ الذي أحاط به نفسـه ، والحروب التوسعيـة التي خـاضهـا تحت شعـار حماية الإسلام في المناطق التي يواجه فيها تهديـدا استعماريا أو صليبيا . وأسرع يوسف فملأ صناديقه بالذهب عاقدًا العـزم على نجدة السلطان ، واتصل بقريبة له في هولندة اسمها (غراسيا) وكانت هـي أيضا واسعة الثراء جدا ، فشاركته في اللعب بورقـة السلطان العثماني ، الذي فـوجئ بصناديق الـذهب تنزل في إسطنبول مـن سفينة يـوسف تاجـر البندقيـة ، ورأى السلطان أن العنـاية الربانيـة قد أرسلت هذا الرجل في وقت كانت الخزينة التركيـة تكاد تعجز عن دفع رواتب موظفيها وجنودها . وسألـه عما يريده في مقابل هذا الكرم اليهـودي ، فأجاب بأن ذلك مجرد تعبير عن الإعجـاب بحكمة السلطـان وفخامـة دولته ! ثم أضاف ـــ بكل تواضع ـ أنه زار مـدينة القدس فـوجد حـاكمهـا قـد نـزع ملكيـة بعض المباني التي يملكهـا اليهـود وسلمهـا للمسلمين ، ممـا أغـراهم بـاضطهاد اليهـود ، حتي جعلـوا حـائط المبكى المقدس مكـانا لتكـديس الأوساخ والنفايـات . واهتزت أريحيـة السلطان التركي فأصدر عددا من المراسيم من بينها :

١ ـ منح يوسف درجة (أميرال) بالبحرية التركية .
٢ ـ تسليمه إدارة جزيرة (نيكسوس) في بحر إيجة .
٣ ـ تعيين قريبتـه (غراسيا) كبيرة للوصيفات في قصر السلطان .
٤ ـ ردّ الممتلكات اليهودية في القدس .
٥ ـ إلزام المسلمين في المدينة بإزالة القمامة عند حائط المبكى ، وتنظيف الحائط ورشّه بماء الورد كل أسبوع .

وانتهز يوسف الفرصـة فعرض على السلطان توطين بضع عشرات من الآلاف من العمال اليهـود في منطقـة (صفـد) للعمل في إنتـاج الحرير وتصنيعـه ، وأحضرهم فعـلا إلا أن الطـاعـون أبـادهم قبل أن يستفحل أمرهم . وبدأ البريطـانيون يهاجمون هذا اليهودي الـذي حالف السلطان ، ضدهم . وكان (شكسبير) شاهـدا لكل هذه الحوادث ، فكتب مسرحيتـه الرائعة (تاجر البندقية) ، ضد اليهود .

أ . د . حسن ظاظا

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة



□ الرياض تستضيف أول مؤتمر دولي لرعاية المعاقين.
□ موسوعة مصرية لأهم الكتب العربية.
□ صحف جديدة في الشارقة ومصر ولبنان.
□ معرض في باريس لفن التجليد.
□ موسوعة دولية لوسائط الإعلام والمعلومات.

السعودية

تمويل إكمال إنشاء مركز روما الإسلامي



الملك فهد بن عبد العزيز

أصدر خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز** توجيهاته **بإكمال مشروع المركز الثقافي الإسلامي في روما على نفقة المملكة العربية السعودية**.

ويعد هذا المركز من أكبر المراكز الثقافية الإسلامية في أوروبا، ويضم مسجدًا يتسع لأكثر من ألفي مصلٍّ، ومكتبة وقاعات ضخمة مجهزة لمختلف الأنشطة الثقافية الإسلامية، وينتظر أن يفتتح في غضون نصف عام.

ويذكر أن **خادم الحرمين الشريفين** كان قد أمر في وقت سابق **بدعم المركز الإسلامي في مدينة إيفري الفرنسية**.

المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم

تقام في مكة المكرمة في شهر شعبان المقبل **المسابقة الدولية الخامسة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره**.

تتكون **المسابقة من خمسة فروع** : الأول حفظ كامل القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد وتفسير الجزء الثاني عشر منه، والثاني حفظ كامل القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد، والثالث حفظ عشرين جزءًا من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد، والرابع حفظ عشرة أجزاء مع التلاوة والتجويد وحسن الأداء.

ينتظر أن يشارك في هذه المسابقة عدد كبير من حفظة القرآن الكريم الذين يتم ترشيحهم عبر الدول الإسلامية والمراكز والمنظمات والجمعيات والمؤسسات والهيئات الإسلامية في الدول غير الإسلامية، شريطة أن لا يزيد سن المشارك على ٢٥ عامًا، وألا يكون من مشاهير القراء في بلاده، وألا يكون قد سبق له المشاركة في هذه المسابقة الدولية من قبل.

المعرض الرابع للكتاب الأمني



الأمير فيصل بن فهد

افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز** الرئيس العام لرعاية الشباب في الأسبوع الأخير من شهر جمادى الأولى الماضي معرض الكتاب الأمني الرابع الذي نظمه المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض.

شارك في المعرض الذي استمر ستة أيام دور نشر من مختلف البلدان العربية قدمت ما يزيد على **تسعة آلاف عنوان** في موضوعات أمنية منها : التشريع الجنائي، والعلوم الشرطية، والعلوم الاجتماعية والنفسية والإدارية، والحماية المدنية، وغير ذلك.

اهتم المعرض بتبادل الخبرات والأفكار بين البلدان المشاركة ومناقشة توزيع الكتاب الأمني وتسويقه، وإطلاع الجمهور على جهود دور النشر العربية في مجال نشر كتب العلوم الأمنية.

الفائزون في المسابقات الأدبية لرعاية الشباب

أعلنت **الرئاسة العامة لرعاية الشباب** أسماء الفائزين في مسابقاتها الأدبية لعام ١٤١٢/ ١٤١٣هـ في مجالات : **الشعر، والمقال، والقصة القصيرة**.

ففي **مجال القصة القصيرة** جاء **طلال الحربي** في **المركز الأول** تلاه على التوالي كل من : **عبد العزيز الفاضل، ونايف الحربي، ونجلاء المسعود،**

٥٠٠ مليون معاق في العالم :

الأمير سلطان : نرعى المعاق في إطار الرعاية الكاملة للإنسان السعودي

عاشت الرياض خلال الفترة من ١٢ إلى ١٦ من جمادى الأولى ١٤١٢هـ حدثًا عالميًا بالتقاء أكثر من مائتي عالم من شتى أنحاء الأرض في المؤتمر الأول للجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين، برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان ابن عبدالعزيز، رئيس الجمعية.

حظي المؤتمر برعاية الدولة على أعلى المستويات، حيث افتتحه نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض الذي أكد في كلمة ألقاها أن المواطن المعاق يحظى برعاية واهتمام من حكومة خادم الحرمين الشريفين في إطار الرعاية الكاملة للإنسان السعودي التي تقدمها المملكة تطبيقًا لتعاليم القرآن الكريم دستور الأمة.

وعلى مدى أربعة أيام ناقش المؤتمرون مائة واثنين وثلاثين بحثًا ومحاضرة تدور حول كيفية مواجهة الإعاقة، وتوعية الأسرة والمجتمع بدوريهما في هذا المجال، والخدمات المقدمة للمعاقين، والأبحاث الجارية حول الوسائل التقنية المعينة والأجهزة التعويضية اللازمة للمعاقين.



سموه يتجول في معرض الكتاب الذي أقيم على هامش المؤتمر وبجواره معالي وزير العمل والشؤون الاجتماعية

وأعلن المؤتمرون أن عدد المعاقين في العالم يصل إلى نحو خمسمائة مليون معاق، أي ما نسبته ٧ ـ ٨٪ من إجمالي سكان العالم، يحظى مائة وخمسون مليون منهم فقط بالرعاية، والباقي يقاسون الإهمال.

وأصدر المؤتمر في ختام اجتماعاته عدة توصيات من أبرزها :

□ لفت انتباه مراكز الأبحاث بالجامعات والقطاعات المعنية الأخرى إلى ضرورة إعطاء أهمية للأبحاث المتعلقة بالإعاقة والمعاقين، وإيجاد برامج متخصصة لسد العجز في هذا المجال.

□ إيجاد برامج متخصصة لتوفير الكفاءات البشرية المتخصصة في مجال رعاية المعاقين.

□ مضاعفة البرامج وجهود التوعية بالإعاقة، وأسلوب التعامل معها على جميع المستويات : اجتماعيًا، وثقافيًا وإعلاميًا.

□ دعوة القطاع الخاص إلى تكثيف مشاركته وإسهاماته في تقديم الخدمات الملائمة للمعاقين، وتوفير فرص العمل المناسبة لهم.

□ العمل على تعزيز الأنظمة التي تكفل للمعاق حياة كريمة.

□ الاهتمام بالفحص المبكر والشامل للأطفال، كأحد برامج الخدمات الصحية، لما لهذا الفحص من أثر في الاكتشاف المبكر للأمراض للوقاية من الإعاقة أو التخفيف من حدتها.

□ إيجاد نظام السجل الوطني الطبي للمعاقين.

□ العمل على دمج المعاقين مع أقرانهم العاديين في مختلف نواحي الحياة والاستفادة منهم كقوة منتجة ما أمكن ذلك.

□ إيجاد برامج تعليمية لكل الأطفال المعاقين تتلاءم مع احتياجاتهم وقدراتهم.

وعبدالله العتيبي. وفاز نادي الأمل التابع لمكتب رعاية الشباب في القصيم بكأس المسابقة.

وتحصل عبد الله السكران على المركز الأول في مجال المقال الأدبي، تلاه في المراكز من الثاني إلى الخامس على التوالي كل من : علي العقلاء، وسميرة حمد العجمي، وندى العنزي، وحسين المكرمي، فيما فاز بكأس المسابقة نادي المجد التابع لمكتب رعاية الشباب بالمدينة المنورة.

أما في مجال الشعر، فحل أولاً خالد القرني، تلاه على التوالي كل من : سامي الحكمي، وعبد الرحمن عبد الله، وأنيسة العتيق، وأبكر جديري.

وقد حظي مكتب رعاية الشباب بالمدينة المنورة بدرع المسابقات الأدبية لأكثر إنتاج تم تقديمه هذا العام.

متحف طبيعي في حائل

تعتزم الهيئة الوطنية السعودية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها إقامة متحف طبيعي في منطقة مشار السياحية الواقعة في جبل أجا بمدينة حائل.

ينتظر أن يضم المتحف عينات من نباتات المنطقة وحيواناتها التي كانت تعيش فيها ثم اختفت ويجري توطينها من جديد.

ويتم حاليا بالتعاون بين الهيئة وكلية الهندسة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة تخطيط المنطقة بحيث تحافظ على طابعها البيئي المميز.

ويذكر أن هناك قرية سياحية أقيمت في متنزه مشار بتكلفة قدرها مائتا مليون ريال على مساحة ٨٨٨ ألف متر مربع تضم مخيمًا خاصًا بالاحتفالات ومطعمًا وسوقًا و٢٥ دارًا للعائلات و١٥ دارًا للعزّاب، فضلاً عن مبنى للإدارة وحدائق ومدينة ألعاب.

وفاة د. صالح الوشمي

فقدت الأوساط الثقافية والعلمية السعودية واحدًا من أبرز رجالاتها بوفاة الدكتور صالح السليمان الوشمي عن عمر يناهز ٥٣ عامًا.

وُلد الفقيد في مدينة بريدة عام ١٣٦٠ هـ، وتخرج في قسم التاريخ بجامعة الرياض (الملك سعود حاليا) عام ١٣٨٥/ ١٣٨٦هـ (٦٥/ ١٩٦٦م)، وحصل على درجة الماجستير من نفس الجامعة عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) ثم الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م).

بدأ الفقيد حياته العملية في وزارة الصحة ثم في



إدارة تعليم البنين في القصيم، وظل بها حتى توفاه الله وهو يشغل منصب رئيس التوجيه التربوي والتدريب بالإدارة.

والفقيد شاعر وأديب شارك في الكتابة الأدبية والتاريخية في العديد من الصحف والمجلات السعودية، كما أنه عضو مؤسس في نادي القصيم الأدبي ورئيس لجنته الثقافية، وكان يطمح قبل وفاته في إنجاز عدة أعمال أدبية ذات قيمة لعل أبرزها مشروع معجم لعلماء منطقة القصيم وأدبائها وشعرائها، إلا أن القدر لم يمهله لإكماله.

من مؤلفاته: «أبو مسلم الخراساني: صاحب الدعوة العباسية»، و«القيمة الاجتماعية والتاريخية لكتاب البخلاء للجاحظ» و«ولاية اليمامة».

نشرة «البريد»

أصدرت منطقة القصيم للبريد بمناسبة انعقاد المؤتمر البريدي الرابع عشر في بريدة خلال شهر جمادى الأولى الماضي نشرة صحفية عن المؤتمر ونشاطاته باسم «**البريد**».

تضمنت النشرة إلى جانب أخبار المؤتمر موضوعات شتى من أبرزها موضوع عن طوابع البريد في المملكة: قصتها وبداياتها.

كتب جديدة

● الأربعين في صفات رب العالمين، ط١، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق **عبد القادر محمد عطا صوفي**، صدر عن مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة.

● **كتاب الردة، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي**، تحقيق د. **محمود عبد الله أبو الخير**، صدر عن دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع.

● **فهارس التمهيد لابن عبد البر على حسب ترتيب الزرقاني للموطأ، إعداد الشيخ عطية محمد سالم، صدر في المدينة المنورة.**

● إليك أبوح، تأليف **يعقوب محمد إسحاق**، صدر عن دار أبي حسن للنشر.

● **المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية: بحث تأصيلي بين التجربة الميدانية والدراسة النظرية**، تأليف **هشام يوسف محمد بنان**، صدر عن دار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة.

● **افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية**، تأليف د. **غيثان علي جريس**.

● **كتابة البحث العلمي**: صياغة جديدة، طبعة رابعة منقحة، تأليف د. **عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان**، صدر عن مكتبة دار الشرق في جدة.

● **رسائل الماجستير في علم النفس**، إعداد وتصنيف وتلخيص د. **زايد عجير الحارثي**.

● **تقييم الكتاب الأساسي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، تأليف د. **محمد الخولي**.

● **معالم التحضر في المملكة**، تأليف الدكتور **محمد السرباني**.

● قياس التفكير الابتكاري ومشكلاته، تأليف د. **محمد حمزة خان**.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن معهد البحوث العلمية وإحياء التراث في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

● **مسائل من تاريخ الجزيرة العربية**، تأليف **أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري**، صدر عن دار الأصالة بالرياض.

● **الأطفال في التراث العربي**، جمع وتقديم د. **عبد الرزاق حسين**، صدر ضمن سلسلة «بحوث في ثقافة الطفل المسلم» عن إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

● **شعراء من الجزيرة العربية**، تأليف **عبد الله ابن سالم الحميد**، صدر عن دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر.

● **اليواقيت والدرر**: **شرح شرح نخبة الفكر**، تصنيف **محمد عبد الرؤوف المناوي**، تحقيق وتعليق **أبي عبد الله ربيع بن محمد السعودي**.

● **التبرك**: **أنواعه وأحكامه**، تأليف د. **ناصر ابن عبد الرحمن الجديع**.

● **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، تأليف عثمان بن علي بن حسن.

● **الفوائد**، تأليف الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد الرازي، تحقيق وشرح حمدي بن عبد المجيد السلفي.

● **خلاصة الكلام على عمدة الأحكام**، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الله المقدسي الدمشقي، تأليف فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك.

● **الرحمة في القرآن الكريم**، تأليف **موسى بن عبده بن محمد العسيري**.

صدرت الكتب الستة السابقة عن دار الرشد في الرياض.

● **السبع السيارة النيرات**، ديوان **الإمام ابن حجر العسقلاني**، تحقيق وشرح **محمد يوسف أيوب**، صدر عن نادي أبها الأدبي.

● **الأداء الأسطوري في الشعر المعاصر**، تأليف د. **علي البطل**، صدر عن مجموعة ميراديه للتأليف والبحث العلمي.

● **آهات**، ديوان **لإسماعيل حسناوي**، صدر في جدة.

● **الأمثال الكامنة في القرآن الكريم**، تأليف **الحسين بن الفضل الجلي**، تحقيق د. **علي حسين البواب**، صدر عن مكتبة التوبة بالرياض.

الإمارات
معرض كتاب ومجلة ثقافية في الشارقة

اختتم في التاسع عشر من شهر جمادى الأولى الماضي (١٢ من نوفمبر ١٩٩٢م) **معرض الشارقة الحادي عشر للكتاب** الذي نظمته دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة.

شارك في المعرض **٥١٣ دار نشر عربية وأجنبية** تنتمي إلى **٣٥ دولة** قدمت ما يزيد على **مائة ألف عنوان** في مختلف فنون المعرفة وبشتى اللغات الحية.

صاحب العرض نشاط ثقافي كبير تمثل في محاضرات وندوات وأمسيات شعرية وقصصية، وأعلن خلاله عن الاستعداد لإصدار **مجلة ثقافية جديدة** تحت اسم «**الرافد**» ستكون في مرحلتها الأولى

كل شهرين، ثم تصبح شهرية بعد فترة، كما يعد لأن تتضمن ملحقًا خاصًا بالأطفال، يستقل في مرحلة تالية ليصبح مجلة منفصلة للطفل.

قناة فضائية لتلفاز أبو ظبي

ثاني قناة فضائية تلفازية في دولة الإمارات العربية المتحدة بدأ بثها التجريبي مؤخرا في أبو ظبي بعد شهرين من نجاح القناة الفضائية لتلفاز دبي.

يعد البث في المرحلة التجريبية استكمالا للبث اليومي العادي، ثم تبدأ القناة بعد ذلك في مرحلة تالية ببث برامج خاصة.

يُنتظر أن يغطي بث القناة الجديدة منطقة الخليج ومصر وليبيا والسودان والأردن وسورية والعراق ولبنان وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا واليونان وجنوب فرنسا وقبرص ومالطا وأسبانيا والبرتغال والهند وباكستان وإيران وتركيا وأجزاء من أفريقيا.

كتب جديدة

● **ليجف ريق البحر**، تأليف **ثاني السويدي**.

● **بانتظار الشمس**، مجموعة شعرية **لصالحة غايش**، صدرت ضمن «كتاب اليوم».

● **مدينة للأموات مدينة للأحياء**، مجموعة قصصية للأديبة الحائزة على جائزة نوبل للأدب نادين جورديمر، ترجمها إلى اللغة العربية **صبحي عمر**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن اتحاد كتّاب الإمارات وأدبائها.

● **الحصون والقلاع في دولة الإمارات العربية المتحدة**، إعداد **علي محمد راشد عبد الله**، صدر عن وزارة الإعلام.

البحرين
مؤتمر دولي حول تقنية المعلومات

استضافت المنامة ــ مؤخرًا ــ **مؤتمرًا دوليًا حول تقنية المعلومات** أقيم تحت شعار «رحلة عبر محيط تكنولوجيا المعلومات».

شارك في المؤتمر خبراء غربيون وعرب ومسؤولون عن شركات صناعية وتجارية خليجية، ونظمته شركة الخليج للحاسبات الآلية ومقرها البحرين.

وقد ألقيت خلال المؤتمر عشرون محاضرة دارت حول آخر الابتكارات في مجال المعلومات واستخداماتها في مختلف الميادين.

من الكتب الجديدة

● **كلمات**، ديوان شعر **لإبراهيم الحسين**، صدر عن أسرة الأدباء والكُتّاب في البحرين.

قطر
معرض للخط العربي وآخر للكتاب

استضافت قطر ـ مؤخرا ـ معرضين، **أولهما عن الخط العربي، والثاني للكتاب**.

قام بتنظيم **معرض فن الخط العربي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إسطنبول**، وضم أعمالاً لنخبة من فناني الخط العربي الأتراك، واستمر حتى نهاية شهر جمادى الأولى الماضي.

أما معرض الكتاب الذي اختتم فعالياته في الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة المنصرم واستضافه مركز قطر الدولي للمعارض فقد شارك فيه نحو ١٧٠ **دار نشر** من مختلف البلدان العربية والأجنبية.

الكويت
مؤتمر لأكاديميات العلوم

تحت رعاية سمو أمير الكويت، استضافت العاصمة الكويتية **المؤتمر العالمي الرابع لأكاديميات العلوم في العالم**.

عقد المؤتمر خلال الفترة من ٢٩ جمادى الأولى إلى ٢ جمادى الآخرة الماضي (٢٣ـ٢٦ نوفمبر ١٩٩٢م) وناقش عدة موضوعات من أهمها عملية

حائل قبل مائة عام في معرض رسوم الليدي بلنت

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز أمير منطقة حائل بحضور السفير البريطاني لدى المملكة ألن مونرو معرض الرسوم المائية للرحالة البريطانية الليدي آن بلنت عن منطقة حائل الذي نظمه فرع الجمعية السعودية للثقافة والفنون بالمنطقة.

اشتمل المعرض على العديد من اللوحات التي رسمتها الفنانة الليدي بلنت خلال **رحلتها في منطقة حائل قبل مائة عام**، وتعتبر سجلاً لما كانت عليه المنطقة في تلك الحقبة بمواقعها الأثرية والسياحية ومناظرها الطبيعية وخيولها العربية الأصيلة، فضلاً عن الملابس التي كانت مستخدمة آنذاك، حيث **أبرزت الفنانة الرحالة بدقة وبرؤية فنية أبرز الملامح الصحراوية للمنطقة ومظاهر بيئتها وعناصرها**.



لوحة من المعرض عن الحياة اليومية في «عقدة» إحدى الهجر القريبة من حائل.



تقويم للتعليم الجامعي بعامة وفي مجال العلوم بخاصة، مع الأخذ في الاعتبار تقويم البيئة التدريسية والمناهج والمقررات وطرق التدريس وتقنياتها وأنماطها وأساليبها.

معرض للكتاب العربي

اختتمت في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة الماضي (٨ ديسمبر) نشاطات **معرض الكتاب العربي السابع عشر** الذي نظمه المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

شارك في المعرض نحو **٣٥٠ دار نشر وسبع منظمات عربية** توزعت معروضاتها على **١٦٠ جناحًا**، وقد حظرت كتب نزار قباني، وكذلك **منشورات دار الآداب في بيروت لصاحبها سهيل إدريس** لموقفها تجاه الكويت إبان محنتها.

وعقدت على هامش المعرض ندوة ثقافية عن أدب الأطفال، وأخرى بعنوان «**قضايا ثقافية في أزمة الخليج**» شارك فيها عدد من الأدباء والمفكرين. إلى جانب محاضرات وأمسيات شعرية وقصصية ونقدية.

«الكويت» تعاود الصدور

أصدرت وزارة الإعلام الكويتية العدد التجريبي من مجلة «**الكويت**» التي توقفت عن الصدور قرابة عامين.

تعاود «الكويت» الصدور بثوب جديد وملامح خليجية من أجل أن تصير نافذة يطل منها القارئ على الحياة الثقافية والفنية في بلدان الخليج العربي من خلال تعبيرها عن فكر المنطقة وثقافتها وفنونها.

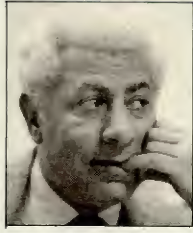
وفي الوقت نفسه توقفت عن الصدور صحيفتا «صوت الكويت» و«الفجر الجديد» اليوميتان اللتان كانتا تصدران بتمويل من وزارة الإعلام.

كتب جديدة

● **الفلسفة المعاصرة في أوروبا**، تأليف أ. م. **بوشنسكي**، ترجمه إلى اللغة العربية د. **عزت قرني**، وصدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

● **قصائد المهرجان الشعري الثالث: مارس ١٩٩٢م**، صدر عن عمادة شؤون الطلاب بجامعة الكويت.

مصر: مؤسسة لرعاية المواهب وجائزة باسم مبارك


مكرم محمد أحمد

تتجه النية لإنشاء **مؤسسة لا تهدف للربح تناط بها مهمة رعاية المواهب وتشجيعها والإنفاق على البحوث الفكرية والعلمية** التي تتعلق بحاجات الجماهير، بحيث يكون للمؤسسة جانبان: ثقافي واجتماعي.

طرح فكرة المؤسسة الصحافي **مكرم محمد أحمد** رئيس إدارة مؤسسة دار الهلال، ولاقت الفكرة - كما صرح وزير الإعلام **صفوت الشريف** - ترحيبًا من الرئيس **محمد حسني مبارك**.

محاضرات وندوات

● «**مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي**» عنوان محاضرة ألقاها برهان الدجاني.

● «**التحولات في النظام العالمي والمناخ الفكري الجديد وانعكاسه على النظام الإقليمي العربي**» عنوان محاضرة ألقاها د. **ناصيف حتي**.

نظم المحاضرتين السابقتين مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

● «**مالك بن نبي في ميزان الفكر الإسلامي**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية المعلمين بأبها د. **سليمان الخطيب**.

● «**آفاق جديدة في علاج السكر**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية الصيدلة بجامعة الملك سعود بالرياض د. **عز الدين الدنشاري**.

● «**الغربة في شعر عمر بهاء الدين الأميري**» عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية د. **جابر قميحة**.

● «**التصور الإسلامي لدور التربية الجمالية في بناء الشخصية الإسلامية**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي ببريدة **أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله**.

● «**الاستجابة: أسباب وعوائق**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد صلاح الدين بالثقبة الشيخ **سليمان الماجد**.

● «عقوبات المعاصي وأسباب الوقوع فيها» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الكعكي بمكة المكرمة الشيخ **سعيد بن مسفر**.

● «المشكلات الزوجية وأحكام الطلاق» عنوان ندوة نظمتها الأمانة العامة للتوعية الإسلامية في مكة المكرمة، وشارك فيها الشيخ د. **صالح ابن حميد**، والشيخ **سليمان المهنا**، وأدارها الشيخ **ناصر الزهراني**.

● «**التعليم ومتطلبات التنمية**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. **علي بن عيسى الشعبي**.

● «**وحدة العالم الإسلامي وعدم تأثير اختلاف العادات والتقاليد فيه**» عنوان محاضرة ألقاها بجامعة أم القرى في مكة المكرمة الشيخ **محمد قطب**.

● «**دلائل النبوة**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الأمير متعب بجدة الشيخ **سعيد بن مسفر القحطاني**.

● «**لا إله إلا الله**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الجشة الغربي بالأحساء الشيخ **عبد المحسن بن محمد البنيان**.

● «**معالم التطور العمراني لمكة المكرمة**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي

تشارك في هذه المؤسسة دار **الهلال وثلاثة بنوك مصرية هي: مصر، والأهلي، والسويس**. إضافة إلى رجل الأعمال **إبراهيم كامل**، وتدار بواسطة مجلس يشارك به المساهمون.

وقد تم الاتفاق على استحداث **جائزة تقديرية باسم جائزة مبارك للعلوم والآداب** قيمتها **مائة ألف جنيه** وتمنح عامًا للآداب، وآخر للفنون، وثالثًا للعلوم.

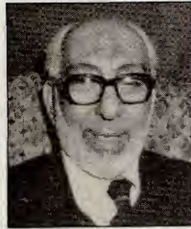
مؤتمر التواصل الثقافي الإسلامي

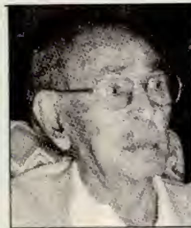

د. عبد الوهاب عزام

نظمت كلية الآداب بجامعة عين شمس خلال الفترة من ٢١ ـ ٢٣ جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ (١٥ ـــــ ١٧ ديسمبر) بالاشتراك مع المركز الدولي للبحوث الثقافية مؤتمرًا عن **التواصل الثقافي الإسلامي، بمناسبة مئوية الدكتور عبد الوهاب عزام**.

شارك في المؤتمر نحو مائة باحث حيث ناقشوا جهود العلماء في مجال تواصل الثقافة الإسلامية. وعناصر تلك الثقافة ومجالات تواصلها.

موسوعة تضم ملخصات لأهم الكتب العربية


محمود محمد شاكر


م. حسن فتحي

أصدرت مؤسسة دار الهلال بالقاهرة في إطار احتفالاتها بمرور مائة عام على إنشائها **أول موسوعة من نوعها تضم خلاصات لمائة من أهم الكتب العربية التي صدرت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين**.

من الكتب التي اختيرت للموسوعة: «**تخليص الإبريز في تلخيص باريز**» **لرفاعة رافع الطهطاوي** طبعة عام ١٨٣٤م، و«**فلسفة النشوء والارتقاء**» **لشبلي شميل** طبعة عام ١٩١٠م و«**الشوقيات**» **لأمير الشعراء أحمد شوقي**، و «**دائرة معارف القرن العشرين**» **لمحمد فريد وجدي** طبعة عام ١٩٢٤م، و«**التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**» للدكتور **زكي مبارك** الطبعة الأولى ١٩٣٨م، و«**المتنبي**» **لمحمود محمد شاكر** طبعة أولى ١٩٣٧م، و «**عمارة الفقراء**» للمهندس **حسن فتحي**، وغيرها.

مؤتمر: الإسكندرية والعالم الهلينستي والروماني

عقد في مدينة الإسكندرية في إطار الاحتفال بمرور مائة عام على إنشاء المتحف الروماني بتلك المدينة الساحلية مؤتمر دولي هو الثالث من نوعه حول: «**الإسكندرية والعالم الهلينستي والروماني**».

شارك في المؤتمر أكثر من **مائة باحث من** مختلف أنحاء العالم وبخاصة من مصر وإيطاليا، حيث دارت محاور المناقشات حول **تراث الإسكندرية في الأدب والفنون والعلوم والآثار**.

كما صدر على هامش المؤتمر كتاب ضم أعمال المؤتمر الأول الذي نظمه المصريون و الإيطاليون في

مكة الثقافي الأدبي د. **السيد أحمد الدرّاج**.

● «**تفسير سورة الإخلاص**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الحفيرة بالأحساء د. **سعيد بن سالم**.

● «**دور الترجمة في الثقافة العربية**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية عجمان الجامعية للعلوم والتكنولوجيا **مصطفى كمال**.

● «**الاعتبار بالنذر**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الأمير سلطان بحي الربوة في الرياض د. **علي سليمان الصالحي**.

● «**ساعة الاحتضار**» موضوع محاضرة ألقاها في جامع الأمير سلمان بالرياض الشيخ **محمد عوض الشقيقي**.

● «**مواقف من حياة السلف**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع النور بالعريجاء في الرياض الشيخ **عبد الإله بن مبارك الدوسري**.

● «**المسلمون في القرن الأفريقي**» عنوان محاضرة ألقاها في ندوة الشيخ أحمد المبارك الفكرية بالأحساء د. **مصطفى حمزة**.

● «أضواء على الآثار الإسلامية في منطقة الطائف» عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالطائف د. **ناصر بن علي الحارثي**.

● «**الآداب الإسلامية**» موضوع محاضرة ألقاها في نادي الرياض الأدبي الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز**.

● «كيف ننمي ثقافة أطفالنا ؟» عنوان ندوة أقيمت في جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، شارك فيها عدد من المختصات.

● «**النظرية السياسية بين أفلاطون وابن رشد**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية الإنسانيات بجامعة قطر د. **عمار الطالبي**.

● «صفات المؤمن» عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الكبير ببريدة الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ**.

● «**الجوانب الثقافية والأدبية والفنية المرتبطة بتواصل الحضارات ومدى ارتباطها بالمجتمع والإنسان**» موضوع محاضرة ألقاها في دار الأوبرا المصرية بالقاهرة د. **غالي شكري**.

● «**المفاوضات بين آخر ملوك الأندلس والملكين الكاثوليكيين**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية المعلمين بأبها **عبده محمد عواجي**.

● «**طب الكوارث**» موضوع ندوة أقيمت في كلية الطب بجامعة الإسكندرية، شارك فيها عدد من المتخصصين.

● «**روائع الآثار الإسلامية في مصر**» عنوان ندوة أقيمت بمقر السفارة المصرية بالرياض شارك فيها د. **محمد محمد الكحلاوي**.

● «**وظيفة المسجد في الإسلام**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الملك فيصل في أبها الشيخ **أبو عبد الرحمن بن عقيل**.

الحركة الثقافية

فبرايــر عــام ١٩٨٩م ويحمل عنـوان «**العلاقات الحضارية بين مصر وروما**».

ويذكر أن احتفالات المتحف شارك فيها عشر دول هي: **إيطاليا، الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، بريطانيا، بولندا، أيرلندا، ألمانيا، إسبانيا، واليونان**. أما المؤتمر فهو يعقد دوريًا كل ثلاث سنوات في **مصر أو إيطاليا**، وهذه أول مرة تشارك فيه بلدان غيرهما.

مهرجان كفافيس



د. نعيم عطية



رفعت سلام

اختتم ــ مؤخرًا ــ **مهرجان كفافيس الدولي الثاني** الذي يقام سنويًا تكريمًا لذكرى الشاعر اليوناني قسطنطين كفافيس (١٨٦٣ ـ ١٩٣٣م) الذي عاش وتوفي في مدينة الإسكندرية المصرية.

تضمن الاحتفال صدور **ترجمة عربية لأشعار كفافيس** قام بها **حمدي إبراهيم**، وترجمات لثلاثة من أبرز المبدعين اليونانيين في القرن العشرين هم: **الشاعر يانيس رويتسوس**، وترجم قصائده **رفعت سلام**، والشاعر **سيفيريس** وترجم قصائده **د. نعيم عطية**، **والروائي تسيركاس** وترجم نماذج أعماله **ميلاخرينوديس**.

كذلك افتتح **متحف يحمل اسم كفافيس** في البيت الذي كان يعيش فيه بالإسكندرية، ووزعت **جائزة كفافيس** في مجالي الترجمة والشعر، حيث فاز بها في **مجال الترجمة د. ثروت أباظة**، وفي **مجال الشعر محمد عفيفي مطر**.

وأقيمت على هامش المهرجان حلقة دراسية حول التجربة الإبداعية في الشعر اليوناني المعاصر، وعرض مسرحي، وأمسية شعرية.

استرداد جزء من الآثار المنهوبة

ينتظر أن تتسلم مصر خلال شهر يناير ١٩٩٣م الجاري مجموعة من القطع الأثرية التي قام الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة بسرقتها من الأراضي المصرية أثناء احتلال سيناء في الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٢م. وقد اتفق الجانبان على أن يتسلم المصريون هذا الشهر **٥٠٠ قطعة** كدفعة أولى من أصل أكثر من **خمسة آلاف قطعة** أثرية سرقتها جهات علمية صهيونية.

معرض كتب ورابطة لأدب الطفل



أحمد الشيخ



د. محسن خضر

اختتم في الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة الماضي (٧ من ديسمبر ١٩٩٢م) **المعرض الدولي التاسع لكتب الأطفال** الذي نظمته الهيئة المصرية العامة للكتاب.

شارك في المعرض **٣٨٠ دارًا للنشر تمثل نحو ثلاثين دولة عربية وأجنبية** حيث عُرض أكثر من **ثلاثة ملايين كتاب**، وأقيم على هامش المعرض مجموعة من اللقاءات الثقافية والندوات والعروض الفنية إضافة إلى حلقة دراسية.

من ناحية أخرى تم تشكيل «**الرابطة العربية لكتاب الطفل**» في القاهرة بهدف الاهتمام بأدب الأطفال.

من مؤسسي الرابطة: **أحمد الشيخ، د. محسن خضر، أحمد زرزور، د. إسماعيل عبدالفتاح، وعبد اللطيف زيدان** وآخرون.

كشوفات أثرية في سيناء

اكتشفت في منطقة الطينة في سيناء **ستة أبراج حربية** مختلفة الأشكال **ترجع إلى العصور الوسطى**، وتضم حجرات للضباط والجنود ودورات مياه بكل برج صالحة للاستعمال.

كما عثرت بعثات التنقيب بالمنطقة على **بعض الحصون و١٢ تلًا أثريًا** تعود إلى عصور مختلفة.

وفي منطقة قاطبة بسيناء تم العثور على **مسجدين يضم** أولهما ثلاثة أحواض ضخمة من الحجر الجيري، أما الثاني فقد شيّد من الحجر الأحمر، فضلًا عن **١٢٣٠ قطعة من العملات الأثرية** ومجموعة من المسارج الفخارية نقش عليها أسماء ملوك تلك الفترة وتاريخ أهم أحداثها.

وفاة فنان تشكيلي

توفي ــ مؤخرًا ــ في القاهرة الفنان التشكيلي **محمد صدقي الجباخنجي** أستاذ تاريخ الفن بكليات التربية الفنية عن عمر يناهز ٨٢ عامًا. وقد أسهم الجباخنجي على مدى ستين عامًا في إثراء الحركة الفنية التشكيلية المعاصرة، إذ **أسس عام ١٩٣٣م المجمع المصري للفنون الجميلة**، وأصدر في الخمسينيات **مجلة «صوت الفن»**.

القادة

هذا هو اسم **أول فصلية متخصصة في شؤون إعداد قادة الشباب** صدر عددها الأول مؤخرًا عن المجلس الأعلى للشباب والرياضة.

يشرف على المجلة الصحافيان **سمير ندا وعزت عبدالباري**.

كتب جديدة

- **وطن يرفض أن يغتال**. أوبريت غنائي مسرحي تأليف الشاعر **عبد الحميد زقزوق**، صدر عن مكتبة مصر بالقاهرة.
- **أصوات من الشعر المعاصر**، تأليف الناقد **أحمد فضل شبلول**، صدر عن دار المطبوعات الجديدة في الإسكندرية.
- **المواجهة بين الإسلام والعلمانية**، تأليف **د. محمد صلاح الصاوي**، صدر عن ندوة علماء الأزهر ضمن سلسلة «الدين والدولة» عن دار الآفاق الدولية للإعلام.
- **وردة الشمال: أيام في استوكهولم**، تأليف

أحمد هريدي، صدر عن المركز المصري العربي في القاهرة.

● حملة تفتيش: أوراق شخصية، تأليف د. لطيفة الزيات، صدر ضمن سلسلة «كتاب الهلال» عن مؤسسة دار الهلال بالقاهرة.

● محاكمة مطرب نشاز، خمس مسرحيات تأليف عبد الرحمن فهمي، صدرت عن دار أبوللو بالقاهرة.

● بعد أن يهدأ الغبار، تأليف د. حازم البيلاوي.

● التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، تأليف د. عبد المحسن صالح.


د. عبد المحسن صالح

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق.

● الأعمال الكاملة للشاعر الراحل علي قنديل صدر الجزء الأول منها عن مركز إعلام الوطن العربي.

● تفسير جديد للدولة الفاطمية في مصر، تأليف د. أيمن فؤاد سعيد، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.

● الجاسوسية ورجال الأعمال، تأليف د. محمد الخضيري، صدر عن دار العقاد للنشر.

● من ملف مسرح الستينيات، تأليف صافيناز كاظم، صدر عن الدار العربية.

● قطف القمر، ديوان شعر لمحمد حمد، صدر عن دار الثقافة الجديدة.

● نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث، تأليف د. علي شلش - صدر عن مكتبة غريب بالقاهرة.


د. علي شلش

● نجوم المحاماة في مصر وأوروبا، تأليف المستشار عبد الحليم الجندي، صدر عن دار المعارف بالقاهرة.

● الحروب الصليبية، تأليف وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي.

● قراءة في علم الكلام: الغائية عند الأشاعرة، تأليف نوران الجزيري.

● مقدمة في القصة المصرية القصيرة، تأليف عبد الرحمن أبو عوف.

● زكي نجيب محمود، تأليف مصطفى عبدالغني، صدر ضمن سلسلة «نقاد الأدب».


مصطفى عبد الغني

● الساعة الأمريكية، رواية أرثر ميللر، ترجمها إلى اللغة العربية شوقي فهيم.

● على باب كيسان: غيلان الدمشقي، تأليف صلاح والي.

● نرجو الانتباه، مسرحية للدكتور محمد المرسي، صدرت ضمن سلسلة «المسرح العربي».

صدرت الكتب السبعة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● موسيقا الشعر العربي بين الثبات والتطور، تأليف د. صابر عبد الدايم، صدر عن دار الأرقم بالزقازيق.


د. صابر عبد الدايم

سورية

مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب

تستضيف مدينة السويداء خلال الفترة من ٢٨ شوال إلى غرة ذي القعدة المقبلين (٢٠ - ٢٢ أبريل ١٩٩٣م) **المؤتمر السنوي السابع عشر لتاريخ العلوم عند العرب** الذي ينظمه معهد التراث العلمي ومحافظة السويداء.

يناقش المؤتمر عدة موضوعات منها: **تاريخ العلوم الطبية والصيدلانية والطب البيطري، وتاريخ العلوم الأساسية (رياضيات - فيزياء - كيمياء - جيولوجيا - علوم طبيعية)، وتاريخ علوم الفلك، وتاريخ العلوم الآثارية، وتاريخ التقنية والصناعات الحربية والكيميائية، وتاريخ العلوم الزراعية (الفلاحة - النبات - الري).**

ويحتفل خلال هذا المؤتمر بمؤرخ الطب ابن أبي أصيبعة، صاحب كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» الذي عاش في صلخد وتوفي عام ٦٦٨هـ (١٢٧٠م).

ودعت اللجنة المنظمة للمؤتمر العلماء والباحثين الراغبين في المشاركة بأبحاثهم إلى إرسال الأبحاث كاملة إلى معهد التراث العلمي العربي مطبوعة على الآلة الكاتبة في موعد غايته نهاية شهر ديسمبر الجاري ١٩٩٢م.

اكتشاف قصر آشوري ومدفن من العهد البيزنطي

عثر في تل الخويرة على بعد ٩٠ كيلومترًا من مدينة الرقة على قاعات **قصر آشوري يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.**

يدل الكشف على وجود حضارة كبيرة ذات أهمية ترجع إلى عصر الإمبراطور الآشوري **(توكولتي مي مي نورتا)** والحاكم **(لي مو)**.

كما اكتشف في دمشق **مدفن جماعي يضم** تسع معازب غُطيت فيها الجثث بالآجر المشوي بشكل قطع مربعة، فضلاً عن قطع أثرية من البرونز والزجاج، وبعض قطع الفخار.

وتعود هذه المكتشفات إلى **العصر البيزنطي**، وكشف عنها بالصدفة أثناء قيام عمال بحفريات لمشروع صرف صحي في الطريق التي تربط بين جامعة دمشق ومديرية الآثار والمتاحف.

أسبوع للعلم

شارك أكثر من **مائة عالم عربي وأجنبي** في **أسبوع العلم الثاني والثلاثين** الذي نظمته جامعة دمشق.

تم خلال الأسبوع إلقاء محاضرات وتقديم أبحاث في مختلف المجالات العلمية، والاحتفال بمرور خمسة قرون هجرية على وفاة العالم العربي المشهور **بدر الدين شمس الدين الغزالي الدمشقي الشهير بسبط الماروني**.

كذلك أقيم على هامش الأسبوع **معرضان** أولهما للكتاب العلمي العربي والعالمي، والثاني للأجهزة العلمية والطبية إلى جانب معرض خاص عن المستحضرات الطبية العربية التي تعتمد في



صناعتها على الأعشاب الطبيعية .

لبنان

صحيفة ومجلة جديدتان

انضمت — مؤخرًا — إلى ركب الصحافة اللبنانية صحيفة يومية سياسية تحمل اسم «**نداء الوطن**» ومجلة أكاديمية متخصصة هي «**نفسولوجيا**» .

«**نداء الوطن**» صدر عددها الأول، ووصفت نفسها بأنها مستقلة تعبر عن ضمير الشعب وحاجاته، وهي عاشر صحيفة يومية لبنانية مجازة تصدر حاليًا، ثمان منها باللغة العربية، وواحدة بالإنجليزية والأخرى بالفرنسية .

أما «**نفسولوجيا**» فقد صدر **عددها التجريبي رقم صفر**، وتهتم — كما يتضح من اسمها — بنشر الأبحاث والدراسات المعنية بعلم السلوك باللغتين : العربية والفرنسية، وقد أسسها **فارس أبو غانم**، وأسندت رئاسة تحريرها إلى **سمير صوايا** .

وفاة الإذاعية عبلة الخوري

توفيت الكاتبة والمذيعة اللبنانية عبلة الخوري، أحد الرعيل المؤسس للعمل الإذاعي في لبنان عن عمر يناهز ٧٣ عامًا .

وُلدت **عبلة الخوري** عام ١٩١٩م، وعملت في الإذاعة السورية وفي إذاعة الشرق الأدنى، وأمضت سنوات طويلة في الإذاعة اللبنانية رافقت خلالها الحياة الأدبية والثقافية قارئة ومقدّمة، كما عملت في القسم العربي بالإذاعة البريطانية . وتقاعدت عن العمل الإذاعي منذ سنوات حيث انصرفت إلى الكتابة ومن مؤلفاتها **كتاب عن جائزة نوبل** والفائزين بها .

مجلة « أطفال »

صدر - مؤخرًا - في بيروت العدد الأول من **مجلة «أطفال»** وهي مجلة **فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر،** وتعنى بالإنتاج الثقافي والفني الموجه للطفل العربي .

تصدر المجلة دار هزار غرافيكس في لبنان، ويرأس تحريرها كاتب أدب الأطفال الشاعر **حسن عبد الله**، وتهدف إلى متابعة ما ينتج للطفل في مختلف الأقطار العربية، وملاحظة هذا الإنتاج وعرضه وتقديمه، فضلاً عن إفراد أبواب متنوعة للمواقف والدراسات النظرية .

من أبرز أبواب المجلة باب يعرض أحدث كتب الأطفال ويقدم ملخصًا لمضمون كل كتاب، وآخر يولي اهتمامًا لموضوع لعب الأطفال التربوية، وثالث يجري مقابلات مع المبدعين في المجالات المتعلقة بالطفل مثل الأدب والفن .

فلسطين

معهد في القدس لصيانة الآثار الإسلامية

أول معهد من نوعه في فلسطين المحتلة افتتح - مؤخرًا - في مدينة القدس تحت اسم «**المعهد العالي للآثار الإسلامية**» .

يهدف المعهد إلى إعداد كوادر متخصصة في

رسائل جامعية

● «**قطف الأزهار في كشف الأسرار لجلال الدين السيوطي : تحقيق ودراسة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بفرع جامعة الأزهر في طنطا، تقدم بها **أحمد بن محمد الحمادي** .

● «**دراسة القيم الفنية والجمالية في الخط العربي**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها **عبد الله فتيني** .

● «**معيار الربحية التجارية للمشروعات الخاصة في الاقتصاد الإسلامي**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها **عبد الباري بن محمد مشعل** .

● «**القصيدة بين العربية والفارسية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغة الفارسية بكلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها **نبيلة أمين مصيلحي** .

● «**الترتيب بين العبادات في الفقه الإسلامي**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد الله بن صالح الكنهل** .

● «**آداب القارئ والقراءة لكتاب الله تعالى**» عنوان رسالة ماجستير **نوقشت في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها عبد العزيز بن عبد الله الجربوع** .

● «**الطرب ومناظره في العصرين التيموري والصفوي**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدم بها **ربيع خليفة** .

● «**المسائل النحوية والصرفية في شرح الكرماني على صحيح البخاري**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الأزهر، تقدم بها **محمد حسن طه** .

● «**الأحاديث والآثار الواردة في طبقات ابن سعد من أوله إلى آخر الوفود : دراسة وتحقيقًا**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها **صالح بن هادي الشمراني** .

● «**آراء الباقلاني وأثره في أصول الفقه**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **قطب**

مجال صيانة الآثار الإسلامية وحمايتها، متدربة على استعمال الطرق العلمية في البحث والحفريات الأثرية، فضلاً عن إيجاد وعي عام بقضية الآثار الإسلامية خاصة مع محاولات الاحتلال المتكررة القضاء عليها.

تبنت فكرة إنشاء المعهد مؤسسة **دار الطفل بكلية الآداب للبنات بجامعة القدس** بعد الموافقة عليه بواسطة مجلس التعليم العالي هناك.

من الكتب الجديدة

● **اليهود في الأدب الفلسطيني**، تأليف د. **عادل الأسطة**، صدر عن اتحاد الكُتَّاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة.

الأردن
اكتشاف مستوطنات زراعية أثرية

عثر في منطقة **وادي العجيب** على عدد من **مواقع الاستيطان البشري** قدر الآثاريون أنها تعود إلى العصر البرونزي المتوسط والعصر الروماني.

والمواقع المكتشفة عبارة عن مستوطنات زراعية صغيرة تدل على أن المنطقة كانت مزدهرة وعرفت التبادل التجاري في مجال الحبوب والمنتجات الحيوانية.

من الكتب الجديدة

● **أنقاض الغبطة**، ديوان للشاعر **محمد الدميني**، صدر عن دار الشروق في عمان.

ليبيا
كتب جديدة

● **أدبيات**، تأليف د. **رجب مفتاح بودبوس**،

● **ليس بالعقل وحده**، تأليف د. **نجيب الحصادي**.

● **الباب الخلفي للمحاسبة**، تأليف **عيسى أيوب الباروني**.

● **الداء السكري**، تأليف د. **عثمان الكاريكي**.

● **أطباق ألف ليلة وليلة الطائرة**، تأليف **خالد خضر**.

صدرت الكتب الخمسة السابقة عن الدار الجماهيرية للنشر في مصراتة

المغرب
الأندلس.. ذاكرة وآفاق

احتضنت مدينة فاس مؤخرًا ندوة علمية حول موضوع «**الأندلس.. ذاكرة وآفاق**» نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس بمشاركة أساتذة باحثين من المغرب والجزائر وتونس ومصر وإسبانيا وتركيا وفرنسا، وقد انصبت الندوة في المحاور التالية: **الأندلس حتى القرن العاشر، الآداب الأندلسية، الأندلس والمغاربة، الأندلس خلال القرنين ١٥ و١٦م، البحر المتوسط الوضع والآفاق، والفقه والتصوف والفكر الفلسفي في الأندلس.**

شهدت الندوة حضورًا مكثفًا للطلبة والباحثين خاصة من الأوساط الجامعية المهمّة بالمرحلة الأندلسية تاريخًا وثقافة وفكرًا ومجتمعا.

وجنحت إلى الدراسة العلمية والموضوعية للمرحلة الأندلسية مع احتدام النقاش بين المشاركين في بعض القضايا التي تهم الوجود الإسلامي بالأندلس، حيث أكد بعض المشاركين على ضرورة القيام بتعويض معنوي للمسلمين المطرودين من الأندلس في القرنين الخامس عشر

مصطفى سانو.

● «**دراسة طيف الأشعة تحت الحمراء والتطبيقات الصناعية لبعض أكاسيد المعادن الانتقالية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الهندسة بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **محمد عتيق الدوسري**.

● «**الصحافة الجامعية في المملكة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **محمد بن علي السويد**.

● «**الوصف المشتق من القرآن الكريم: دراسة صرفية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **عبد الله بن حمد الدايل**.

● «**الرحالة الفرنسيون في مصر**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة عين شمس بالقاهرة، تقدمت بها **راوية محمد حشيش**.

● «**منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها محمد بن ناصر بن صالح السحيباني.

● «**الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الجزائر، تقدم بها **عبد القادر فيدوح**.

● «**أدب الرحلة الجزائري**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الجزائر، تقدم بها **عمر بن قينة**.

● «**سلوك المستهلك في الاقتصاد الإسلامي**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **زيد بن محمد بن رحيم الرماني**.

● «**أثر الاتصال على الرأي العام في الريف المصري**» عنوان رسالة دكتوراه، نوقشت في قسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر، تقدم بها **محمد عبد العظيم**.

● «**الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل المتخلف عقليًا وعلاقتها بالمشكلات السلوكية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الخليج العربي في البحرين، تقدمت بها **آمنة علي السويدي**.

● «**السرايا والبعوث النبوية حول مكة المكرمة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **بريك محمد أبو مايلة**.



والسادس عشر. في حين أشار الأستاذ دوزايوس إلى أن الحضور الإسلامي بالأندلس لا ينحصر في ثمانية قرون ولكنه ما يزال قائماً إلى الآن ويمثل أساس الشخصية الأندلسية.

أما المشاركون الأتراك فقد عقدوا من جهتهم - خصوصا الأستاذ هيليوغلو - مقارنة بين وضع الموريسكيين المبعدين من إسبانيا قبل خمسة قرون بوضع الأتراك المبعدين قبل بضع سنوات من بلغاريا.

دورة تدريبية للمسؤولين عن المخطوطات

نظمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) دورة تدريبية أيام ١١-١٢-١٣ نوفمبر الماضي بمقر خزانة القرويين بفاس لخمسة عشر متخصصًا في صيانة المخطوطات من منسوبي المكتبات المغربية الكبرى، شملت دروسًا عملية في استخدام أجهزة تصوير المخطوطات واستنساخها.

وكانت «الإيسيسكو» قد أهدت خزانة القرويين بفاس - مؤخرًا - مجموعة متكاملة من الأجهزة الخاصة بتصوير المخطوطات واستنساخها وصيانتها، في إطار دعم خزانة القرويين التي تعتبر من أغنى خزانات الكتب في العالم الإسلامي.

ندوة علمية

نظمت مؤخرًا في مراكش ندوة علمية دولية حول موضوع «**المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء في بداية العصر الحديث: السعديون والصنغاي**» بإشراف جامعة محمد الخامس ومعهد الدراسات الإفريقية بالرباط.

جاءت الندوة احتفالاً بمرور أربعة قرون على إقامة العالم التنبوكتي أحمد بابا في مراكش.

المجتمع الأندلسي من خلال كتب الفقه والنوازل

ناقش مركز الأبحاث والدراسات الأندلسية بمدينة شفشاون المغربية في دورته الثالثة حول موضوع: «**المجتمع الأندلسي من خلال كتب الفقه والنوازل**» بمشاركة عدد من الباحثين المشتغلين بالأندلسيات داخل المغرب وخارجه.

وعلى مدى ثلاثة أيام عبر ثلاث جلسات ألقيت العديد من العروض ركزت في مجملها على الأهمية القصوى التي تحتلها كتب الفقه عامة والنوازل خاصة في استكشاف بعض الجوانب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الأندلسي، مع الإشارة إلى الحرص الشديد الذي يجب التعامل به مع هذه المصادر من ناحية التقيد بالمناهج العلمية الدقيقة.

وقد غطت المداخلات مختلف المراحل التاريخية للأندلس مع الوقوف بصورة خاصة عند القرنين الثامن والتاسع للهجرة.

وأوصى المشاركون بتقديم المزيد من الدعم إلى مركز الأبحاث والدراسات الأندلسية نظرًا للدور الذي يقوم به في التعريف بالتراث الأندلسي، وضرورة إغناء خزانة المركز بمصادر التراث الأندلسي المخطوط والمطبوع وإيفاد بعثات جامعية لاستقصاء الوثائق المتعلقة بالأندلس وتصويرها وتوثيق أواصر التعاون بين المركز والمؤسسات المماثلة في الداخل والخارج، وتوسيع نشاط المركز بإصدار دورية متخصصة في الدراسات الأندلسية وإشراك المتخصصين من الخارج في دوراته المقبلة.

معرض كتاب

أقيم - مؤخرًا - في مدينة الدار البيضاء **المعرض الدولي الرابع للنشر والكتاب** بمشاركة دور نشر من **ثلاثين دولة عربية وأجنبية**.

تضمن المعرض تنظيم عدة ندوات وملتقيات وتظاهرات ثقافية شارك فيها عدد كبير من المفكرين والمثقفين والأدباء العرب والأجانب، حيث ناقشوا أدب أفريقيا والمغرب العربي، وازدواجية اللغة، والأدب الفرانكوفوني، والثقافة والمرأة، والتراث والحداثة، وغير ذلك من الموضوعات.

تونس

كتب جديدة

● **معجم المصطلحات البحرية**، باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، إعداد الربان بحري **محمد عمر المستيري**، صدر في تونس.

● **بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاج**، **تأليف** أحمد فرجاوي، صدر باللغة الفرنسية عن المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات.

تركيا

مسابقة «ابن البواب» للخط العربي

أعلنت **اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي** التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي عن تنظيم **مسابقة للخط العربي** تزيد جوائزها على ٤٣ ألف دولار باسم **الخطاط العربي الكبير «ابن البواب»** بمناسبة مرور ألف عام على وفاته (ت ٤١٣هـ).

تنظم المسابقة في **أربعة عشر نوعًا من أنواع الخط** المعروفة في العالم الإسلامي هي: الثلث الجلي، والثلث العادي، والتعليق الجلي، والتعليق العادي، والديواني الجلي، والديواني العادي، والكوفي، والمحقق، والريحاني، والإجازة، والعرقة، والمغربي، والتعليق الدقيق.

ويذكر أن هذه ثالث مسابقة في الخط تنظمها اللجنة حيث أقيمت الأولى عام ١٩٨٦م، والثانية عام ١٩٨٩م.

إيران

اكتشاف أقدم وأكبر مقبرة في العالم

عثر قرب بلدة **شهر أي سوخته** (تعني: **المدينة المحروقة**) على الحدود الإيرانية - الأفغانية التي تبعد ١٢٠ كيلومترًا عن مدينة زاهدان، على **مقبرة ضخمة تضم نحو ثلاثين ألف قبر يعود تاريخها إلى الألف الخامس قبل الميلاد**.

وقدرت منظمة التراث الثقافي في مقاطعة سيستان الوشيستان الإيرانية أن تحتوي كل مقبرة على ثلاثة أو أربعة جثث، ولم تعط معلومات أخرى حول الحضارة التي نمت في تلك المنطقة خلال ذلك العصر .

وتم العثور على هذه المقبرة تحت طبقة سميكة من الملح الصلب كالإسمنت، وتعد أكبر مقبرة تعود إلى ذلك العصر تم اكتشافها في العالم حتى الآن .

الولايات المتحدة

قناتان تلفازيتان عربيتان

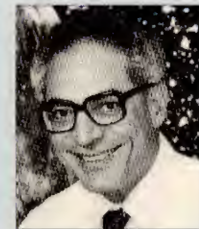
أنشئت ـ مؤخرًا ـ **قناة تلفازية عربية في مدينة واشنطن باسم التلفاز العربي** تبث برامجها عبر كابل خاص للمشتركين .

وينتظر أن تنشأ في مدينة **دالاس** بولاية تكساس **قناة مماثلة قررت جمعية التراث العربي إقامتها** لتكون جسرًا يصل الحضارة العربية بالولايات المتحدة، ويعبر عن العرب المقيمين بها .

ويذكر أن هناك عددًا من القنوات التلفازية العربية في بعض الولايات الأمريكية **مثل كاليفورنيا ونيويورك** وغيرهما .

جائزة الباب الذهبي للدكتور فاروق الباز

منح المعهد العالي في بوسطن عالم الفضاء المصري د. فاروق الباز جائزة الباب الذهبي العالمية لعام ١٩٩٢م تقديرًا لدوره في إرساء تقنية الاستشعار عن بعد منذ عام ١٩٦٧م .



د. فاروق الباز

ويعد د. الباز العالم رقم ١٩ الذي يحصل على هذه الجائزة منذ إنشائها عام ١٩٧٠م، وأول عالم عربي ينالها، وهو يعمل حاليا مديرًا لمركز الاستشعار عن بعد بجامعة بوسطن، وهو من الكُتّاب الذين تعتز «**الفيصل**» بتعاملهم معها، حيث سبق أن نشرت له دراسات بقلمه .

موسوعة دولية لوسائط الإعلام والمعلومات

عن إدارة الإعلام في هيئة الأمم المتحدة بنيويورك صدرت ـ مؤخرًا ـ موسوعة لوسائط الإعلام والمعلومات في ١٦٠ بلدًا تحت اسم **«الكتاب العلمي لوسائل الإعلام في العالم»** .

تكونت الموسوعة من **٥٠٠ صفحة معلومات** لم تتوافر من قبل في مصدر واحد، وبه قائمة تشمل أكثر من ألف صحيفة يومية و ١٣٠٠ مؤسسة تعليمية تدرس وسائل الاتصال الجماهيري .

جائزة الصحافة لأربعة صحافيين بينهم عربي

فاز أربعة صحافيين بينهم عربي **بجوائز حرية الصحافة لعام ١٩٩٢م** التي تمنحها لجنة حماية الصحافيين الأمريكية للصحافيين من خارج الولايات المتحدة تقديرًا لشجاعتهم وإيمانهم بحرية الصحافة .

والصحافيون الفائزون هم: **محمد جاسم الصقر** رئيس تحرير جريدة «القبس» الكويتية، **وجونيدولين ليستر** من صحيفة «ناميبي» التي تصدر في ناميبيا، **وسوفي اسديوس** من إذاعة تروبيك، **و تيشاي بونج** من صحيفة «ذانايش» التايلندية .

بيع مخطوطة للنكولن بمليون دولار

قامت إحدى دور المزادات في مدينة نيويورك ببيع **مخطوط** كتبه الرئيس الأمريكي الراحل **إبراهام لنكولن** بمبلغ **مليون وثلاثة آلاف ومائتي دولار** .

والمخطوط عبارة عن فقرة أخيرة تضم **٧٦ كلمة** كتبها الرئيس **لنكولن** في أتوجراف ضمن خطاب تنصيبه لفترة رئاسية ثانية، وتتضمن العبارة الشهيرة التي قالها في نهاية الخطاب وهي: **«إننا لا نحمل ضغينة لأحد بل نتمنى الخير للجميع»** .

والمقصود من هذه الفقرة إرسال مصالحة إلى قوات الجنوب التي هزمت في الحرب الأهلية .

ويذكر أن هذا أكبر مبلغ يدفع في مخطوط أمريكي .

جائزة للشعر باسم تافتي

استحدثت في واشنطن جائزة باسم « **جائزة كينغز لي تافتي للشعر**» قيمتها ٥٠ ألف دولار، تكريمًا للأديب والشاعر الراحل **لينغز تافتي** الذي توفي في العام الماضي عن عمر يناهز ٨٤ عامًا .

تمنح الجائزة لأفضل ديوان شعر سواء أكان منشورًا أم مجرد مخطوطة، وتعتبر أكبر جائزة فردية للشعر في الولايات المتحدة من حيث قيمتها المادية حتى الآن .

وفاة آلان بلوم

توفي ـ مؤخرا ـ الكاتب والأستاذ الجامعي والفيلسوف **آلان بلوم** عن عمر يناهز ٦٢ عامًا .

يعد بلوم من تلامذة الفيلسوف الألماني **ليو شتراوس**، ومن أبرز مثقفي أمريكا، وله مؤلفات وترجمات عدة، منها ترجمة كتاب أفلاطون **«الجمهورية»**، وقد تُرجمت مؤلفاته إلى لغات مختلفة وبصفة خاصة كتابيه **«إنهيار الفكر»** و**«مقالة عن الثقافة العامة»** .

أحدث الكتب

- **جريس**، سيرة لأميرة موناكو الراحلة جريس كيلي، تأليف **هوارد كورينر** .
- **المفاوضات الدولية: تحليلات، مناهج، قضايا**، تأليف مجموعة من الباحثين، وتحرير **فيكتور كريمنيوك** .

صدر عن دار جوس ـ باس في سان فرانسيسكو .

فرنسا

نساء فرنسا يقرأن أكثر من الرجال

أظهرت نتائج استفتاء أجري مؤخرا في باريس أن **المرأة الفرنسية تقرأ أكثر من الرجل**، حيث تبين

الحركة الثقافية

أن ٥٠٪ من النساء يفضلن القراءة مقابل ٢٨٪ للرجال.

وجاءت **الرواية الفرنسية المعاصرة على رأس اهتمامات المرأة** القارئة بنسبة ٢٨٪ تليها الكتب العلمية ٢٤٪ فيما حصلت الكتب البوليسية على ١٤ في المائة.

معرض لفن تجليد الكتب

أقيم ـ مؤخرًا ـ في باريس معرض للكتب النادرة التي تصور **تطور فن تجليد الكتب على مدى العصور.**

ضم المعرض **٢٥ طريقة للتجليد** صممها مجلدون فرنسيون وأجانب، واستمتع زائروه بمتابعة الخطوات المختلفة لمراحل تجليد الكتب من خلال ماكينات خاصة.

منح ويبرغانس جائزة رينودو

منح نقاد الأدب بالصحف الفرنسية **جائزة رينودو** للكاتب الفرنسي البلجيكي **فرانسوا ويبرغانس** البالغ من العمر ٥١ عامًا عن روايته **«جنون الملاكم»**.

و**«جنون الملاكم»** هي الرواية التاسعة في سلسلة روايات ويبرغانس الذي بدأ حياته الأدبية عام ١٩٧٣م برواية **«المهرج»**، وفضلاً عن كتابته للرواية فقد مارس أيضًا الإخراج السينمائي حيث أخرج ثلاثة أفلام.

من رواياته الأخرى: **«ماكير القبطي»**، و**«حياة رضيع»**، و**«أنا كاتب»**.

أحدث الكتب

● **رأس بيروت**، **رواية** لياسين رفاعية، صدرت عن دار المتنبي في باريس.

● **البرتقالة الرابعة**، رواية **ليجين دوتاميل**، صدرت في باريس.

● **تناقضات علم الاجتماع العربي**، تأليف **فريدريك معتوق**، صدر عن دار لارماتان في باريس.

● **عصفور بلا سيقان**، سيرة حياة الكاتب المسرحي الأمريكي **تينسي ويليامز**، أعدها **فليس ديبوا**، وصدرت عن دار نشر بالاند في باريس.


تينسي ويليامز

● **الكاتبة جورج صاند ومنزلها في توهانت**، إعداد **جورج لوبان. صدر عن دار نشر كومبلكس.**

أوزبكستان: مشروع لتطوير مسجد الإمام البخاري

قام مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية ـ ومقره بريطانيا ـ **بتأليف لجنة من العلماء والمفكرين المسلمين للإشراف على مشروع مسجد الإمام البخاري** في جمهورية أوزبكستان.

كان المركز قد وقع في شهر فبراير الماضي ١٩٩٢م **اتفاقية مع حكومة أوزبكستان** يتولى بموجبها إجراء مسابقة دولية للمهندسين المعماريين لتوسيع مسجد الإمام البخاري وتجديده.

يترأس اللجنة التي تم تشكيلها الرئيس الأوزبكي **إسلام كريموف**، وتضم في عضويتها الشيخ **جاد الحق علي جاد الحق** شيخ الجامع الأزهر، والشيخ **أبو الحسن علي الحسني الندوي** الأمين العام لجامعة ندوة العلماء في لكنؤ بالهند، والدكتور **عبد الله عمر نصيف** الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، والشيخ **محمد صادق محمد يوسف** مفتي جمهورية أوزبكستان، ومجموعة من العلماء البارزين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، إلى جانب الدكتور **فرحان أحمد نظامي** المدير العام لمركز أكسفورد منسقًا للجنة.

يرمي المركز من هذه الخطوة إلى تعزيز العلاقات مع مسلمي آسيا الوسطى، التي كان لها إسهامها الكبير والفاعل من خلال العلماء الكبار من أبنائها في نشر العلوم الدينية الإسلامية ولا سيما في مجال الحديث الشريف.

إيرلندا: نشر رواية لبيكيت بعد ٦٠ عامًا من تأليفها


صموئيل بيكيت

صدرت ـ مؤخرًا ـ في دبلن **أول رواية ألفها** الكاتب المسرحي الراحل **صموئيل بيكيت**.

تحمل الرواية اسم **«حلم بالصفاء لنساء في منتصف العمر»** وقد صدرت بعد أكثر من ستين عامًا على تأليفها وثلاثة أعوام على رحيل كاتبها. حيث تم تأليفها في صيف عام ١٩٣٢م في باريس وكان بيكيت ـ آنذاك ـ كاتبًا واعدًا في السادسة والعشرين من عمره، ورفضها الناشرون.

وقبيل وفاة بيكيت عهد بمخطوطة الرواية إلى صديق عمره الأستاذ الجامعي **أيوبين أوبريان**، وأوصاه بنشرها، واستغرق إعدادها للنشر وقتًا حتى صدرت أخيرًا.

النمسا: مجلة جديدة

صدرت ـ مؤخرًا ـ تحت اسم **«نيوز»** أحدث مجلة أسبوعية نمساوية.

تهتم المجلة الجديدة التي صدرت بالتعاون مع دار النشر الألمانية سبرنجر بكل ما هو جديد في مجالات: السياسة والاقتصاد والثقافة والعلوم في العالم.

ألمانيا: أطلس عن مناخ الكون

أصدرت مجموعة من العلماء **أطلسًا عن المناخ يغطي مرحلة زمنية تصل إلى ١٣٠ ألف عام مضى في الكون.**

يتناول الأطلس العصور الجيولوجية المختلفة

وظواهرها المناخية المتغيرة، ويضم بيانات تفصيلية عن أنواع النباتات والحيوانات التي كانت موجودة آنذاك.

تكلف إصدار الأطلس نحو خمسة عشر مليون مارك ألماني.

نيوزيلاند

صحيفة بالفاكسيملي

أول **صحيفة يومية عن طريق الفاكسيملي** قررت وكالة الصحافة الوطنية النيوزيلاندية إصدارها في مدينة أوكلان باسم «**ستار نيوز فاكس**» لتحل محل صحيفة «**أوكلاند ستار**» التي توقفت عن الصدور.

يبلغ سعر الصحيفة الجديدة دولارًا نيوزيلنديًا، وتورد موجزًا لأهم وأحدث الأنباء في أربعة صفحات، مركزة بصفة خاصة على الاقتصاد.

ليتوانيا

وفاة إيفاسك

توفي - مؤخرًا - الشاعر والناقد الليتواني **إيفار إيفاسك، أحد أشهر شعراء دول البلطيق** عن عمر يناهز ٦٥ عامًا.

وُلد إيفاسك عام ١٩٢٧م وتخصص في دراسة تاريخ الفن والأدب المعاصر في جامعة ماربورج الألمانية، وهاجر بعدها عام ١٩٤٩م إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وعمل بتدريس اللغة والأدب الألماني.

وترأس عام ١٩٦٧م **مجلة الأدب الدولية** (بوكز أبرود) التي تغير اسمها منذ عام ١٩٧٧م إلى «العالم الأدبي اليوم»، و أسس عام ١٩٧٠م «**جائزة نوستاد الأدبية**» التي تمنحها جامعة أوكلاهوما كل عامين، وتعتبر تمهيدا لجوائز نوبل الأدبية.

ولإيفاسك ثمانية دواوين شعرية، وعدد من الأعمال النقدية للشعر في أوروبا الشرقية، وقد اعتزل الحياة الأدبية منذ قرابة العام واستقر في هدوء بإيرلندا حتى وفاته.

إسبانيا

جائزة سيرفانتيس لشاعرة كوبية

منحت لجنة الجائزة الكبرى للآداب الأسبانية «**جائزة سرفانتيس**» لعام ١٩٩٢م **للشاعرة الكوبية دولثي ماريا لونياث** البالغة من العمر ٩٠ عامًا، بعد منافسة قوية مع ٣٧ أديبًا أسبانيًا وأمريكيًا لاتينيًا، بعضهم حاصل على جائزة نوبل للآداب.

ولونياث شاعرة متفائلة صادقة، اعتزلت الكتابة منذ مدة بل إنها لم تغادر كوبا منذ عام ١٩٥٨م **ولها ثمانية كتب** منشورة ويقال إن هناك غيرها لم ينشر، وقد كرمتها بلادها بتعيينها رئيسة لأكاديمية اللغة الإسبانية في كوبا. من مؤلفاتها: «**ألعاب مائية**» و«**رسالة حب إلى توت عنخ آمون**»، و«**الحقيقة**»، و«**صيف في تينيريفي**».

بريطانيا

أحدث الكتب

- **مكتبة الكشكول، الفهرس السنوي لعام ١٩٩٣-١٩٩٤م**، صدر عن منشورات رياض الريس في لندن وقبرص وبيروت.
- **حواء السجينة**، تأليف **هيلينا كيندي**، صدر عن دار نشر شاتو وويندااس في لندن.
- **كتاب أوروبا السنوي ١٩٩٢م، جزءان.** كتاب موسوعي، صدر عن مطبوعات يوروبا في لندن.
- **فرانكو**، تأليف **بول بريستون**، صدر عن دار نشر هاربون كولينز.
- **حياة بيكاسو**، تأليف **جون تشاردسون**، صدر عن دار نشر بيميكلو في لندن.
- **جلوب باشا**، تأليف **تريفور رويل**، صدر عن دار نشر ليتل براون اندكو في لندن.

طردوه لأنه قال الحقيقة عن اليهود!

كتب المحرر الثقافي:

قامت السلطات الكندية بطرد الكاتب البريطاني ديفيد أرفينج استجابة لضغط الجماعات الصهيونية التي تعادي أرفينج بسبب موقفه الصريح من المزاعم غير الحقيقية حول الادعاءات باضطهاد النازية لليهود.

وكان أرفينج قد أعلن بصراحة وشجاعة أن قصة محرقة اليهود «الهولوكوست» إبان الحرب العالمية الثانية بولغ فيها كثيرًا، مما حدا بالمنظمات اليهودية الكندية إلى الضغط على السلطات الكندية لمنعه من دخول كندا، وبالفعل نجحت مساعيها وصدر قرار المنع بحجة تحريضه على الكراهية في ألمانيا، وهو القرار الذي تحداه أرفينج، إلا أن السلطات الكندية نفذته وتم إبعاده رغم اعتراض الكثير من أنصاره.

ويذكر أن **أرفينج** قد تعرض للعديد من المضايقات عقب إعلانه آراءه ليكون عبرة وعظة لأي كاتب أو مؤرخ يجرؤ على قول الحق في أكاذيب الدعاية اليهودية، حيث اتهم بالعداء للسامية والتحريض على كراهية اليهود، وشُنت ضده حملات شعواء، وللأسف الشديد فإن أحدًا في عالمنا العربي أو الإسلامي لم يَسْعَ للوقوف إلى جانب هذا الكاتب الشجاع أو الاحتفاء به سوى قلة قليلة من الكتاب الذين علقوا على هذه الحادثة وأبرزوا موقف أرفينج وتعاطفوا معه، في وقت تسعى فيه المنظمات اليهودية لاحتضان أي كاتب - مهما تضاءل موقعه - ما دام يهاجم العرب.

تُرى ماذا كانت جمعيات حقوق الإنسان في الغرب ستقول إذا ما حدث أن طردت دولة عربية أو إسلامية كاتبًا مثل أرفينج لمجرد رأي أبداه حول قضية ما؟ بالتأكيد كانت لن تسكت مثلما فعلت مع قضية أرفينج لأنها تكيل الحق بمكيالين.

● أجوبة مسابقة العدد (١٨٦) ●

ج ١ : الأول هو نبي الله داود عليه السلام، فعن أبي موسى رضي الله عنه، أول من قال «أما بعد» داود عليه السلام، وهو فصل الخطاب. والثاني هو قس بن ساعدة الإيادي، كما نسبت أيضا إلى سحبان وائل أحد فصحاء العرب المشهورين.

□□□

ج٢ : زكاة الفطر واجبة على كل مسلم قادر عليها في وقت وجوبها، فعن عمر رضي الله عنه قال : «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على العبد، والحر، والذكر، والأنثى، والصغير، والكبير، من المسلمين». رواه البخاري ومسلم. شرعت في شعبان من السنة الثانية من الهجرة لتكون طهرةً للصائم، مما عسى أن يكون وقع فيه من اللغو والرفث، ولتكون عونًا للفقراء والمعوزين.

ويخرجها المرء عن نفسه، وعمن تلزمه نفقته، كالزوجة والأبناء والوالدين الفقيرين والخدم الذين يتولى أمورهم، ويقوم بالإنفاق عليهم، وتخرج من غالب قوت البلد، وتقدر بصاع (أربعة أمداد) من القمح أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الأقِط (لبن مجفف لم تنزع زبدته) أو الأرز أو الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر قوتًا، وأجاز أبو حنيفة إخراج القيمة.

وتصرف زكاة الفطر، مصرف الزكاة، أي أنها توزع على الأصناف الثمانية المذكورة في قوله تعالى : ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ (التوبة ـ ٦٠). والفقراء هم أولى الناس بها، لما ورد في حديث ابن عباس : «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرةً للصائم، من اللغو والرفث، وطُعْمَةً للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات». رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطني. ولما رواه البيهقي قال : «أغنوهم عن طواف هذا اليوم».

□□□

ج٣ : المواقيت المكانية للحج هي الأماكن التي يجب على الحاج أن يحرم عندها، وتختلف باختلاف البلاد التي يفد منها الحجاج وهي :

١ ـ الجحفة : قرية بين مكة والمدينة، وتقرب منها بلدة رابغ، وهي ميقات أهل مصر والشام والمغرب.

٢ ـ ذات عِرْق : قرية على بعد ٤٥ كيلومترا من مكة، وهي ميقات أهل العراق، وسائر أهل المشرق.

٣ ـ ذو الحُلَيْفَة : أبعد المواقيت من مكة، إذ بينهما ٤٥٥ كليومترا، وهي ميقات أهل المدينة.

٤ ـ يَلَمْلَمْ : جبل من جبال تهامة يبعد عن مكة ٤٥ كيلومترا، وهو ميقات أهل اليمن ومن في جهتهم.

٥ ـ قرن المنازل : جبل مشرف على عرفات، وهو قريب من مكة، وهو ميقات أهل نجد.

وهذه المواقيت لأهل الجهات المذكورة ولكل من مرّ بها أو حاذاها لقول الرسول ﷺ : «هنّ لهُنّ ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج أو العمرة». وإن كان دون ذلك فمهلّه من حيث أنشأ حتى أهل مكة يهلّون من مكة، والإهلال : الإحرام بالتلبية.

□□□

ج٤ : الصلادة هي مقاومة المادة للخدش، وهناك مقياس لدرجات الصلادة يسمي مقياس موهز، نسبة إلى مخترعه فردريك موهز، ويتكون من عشرة معادن تتدرج من حيث الصلادة من حد أدنى إلى حد أعلى، وهي كما يلي على الترتيب : طلق (١)، جبيس (٢)، كالسبت (٣)، فلوريت (٤)، أباتيت (٥)، فلسبار (٦)، كوارتز (٧)، طوباز (٨)، كوراندوم (٩)، ألماس (١٠). وتوجد معادن كثيرة تقع درجات صلادتها بين هذه الدرجات، وتقل صلادة المعادن برفع درجة حرارتها.

□□□

ج٥ : قانون جريشام : مؤداه أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من التعامل، ويبدو أثره عندما تكون العملة المعدنية هي أساس التعامل، فإن تخفيض كمية المعدن أو جودته في بعض أنواع العملة، مع بقاء الأنواع الأخرى دون تخفيض، يؤدي إلى اكتناز الأفراد للنوع الأخير، ولا يبقى في التعامل إلا العملة المخفضة الرديئة. وسمي القانون باسم صاحبه سير توماس جريشام (١٥١٩ ـ ١٥٧٩)، وهو من رجال التجارة والمال في إنجلترا.

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء :

جوائز قيمتها ٤٥٠٠ ريال تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة، على النحو التالي :

أ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٥٠ ريالاً

ب ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٠٠ ريال

ج ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٥٠ ريالاً

د ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٠٠ ريال

هـ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ١٥٠ ريالاً

و ـ ٢٠ جائزة قدر كل منها ١٠٠ ريال

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحًا عليها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

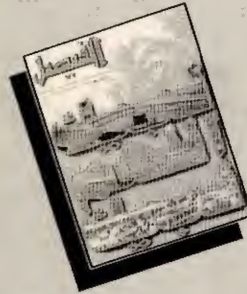
ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص. ب ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

هـ ـ الأسئلة لم تعد مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة وذلك لإفساح المجال للبحث في مصادر معلومات أخرى.



● نتائج مسابقة العدد (١٨٦) ●

م	اسم الفائز	البلـــد	قيمة الجائزة بالريال
١	حمد إبراهيم محمد البدر	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	عائشة علي أحمد أبو طور	الإسكندرية ـ مصر	٣٥٠
٣	محمد عيد عبد اللطيف محمد	ود مدني ـ السودان	٣٠٠
٤	مصطفى بن أحمد عبد الهادي	الدار البيضاء ـ المغرب	٣٠٠
٥	ناصر عبد الله حمد العثيمين	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	٢٥٠
٦	الفضيل بن السعيد بلعروسي	إسلام آباد ـ الباكستان	٢٥٠
٧	حبيب بن محمد عبد الملك	نواكشوط ـ موريتانيا	٢٠٠
٨	منصورة شريف محمد	عمان ـ الأردن	٢٠٠
٩	سميرة عبد الكريم العليوات	المنامة ـ البحرين	١٥٠
١٠	عباس مصطفى عباس علي	جدة ـ المملكة العربية السعودية	١٥٠
١١	حسن عبد الرحمن رابح سليمان	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
١٢	شريف محمد حجاج	المنصورة ـ مصر	١٠٠
١٣	أحمد كيفاني	مكناس ـ المغرب	١٠٠
١٤	محمد عبد الله تروالور	الدوحة ـ قطر	١٠٠
١٥	صالح أبو بكر علي أحمد	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٦	إقبال محمد يوسف	أم القيوين ـ الإمارات العربية	١٠٠
١٧	تهاني نصر الدين عباس	ود مدني ـ السودان	١٠٠
١٨	خيرية حسين محمد هرساني	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٩	محمود عبد اللطيف الجيسي	حلب ـ سورية	١٠٠
٢٠	السيد محمد علي عبده	الصفاة ـ الكويت	١٠٠
٢١	ضحى أبو الحمد حجازي	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
٢٢	أحمد أيت وارهام	مراكش ـ المغرب	١٠٠
٢٣	عبد الله بن محمد الراشد	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٤	حافظ محمد إبراهيم سومرو	السند ـ الباكستان	١٠٠
٢٥	النعمان محمد السماني محمد	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
٢٦	لطفي عباس محمد نعمان	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
٢٧	محمد عمر عاشور	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٢٨	فكرة سعد علي الغامدي	الباحة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٩	أمين عبد الرحيم العمري	الدار البيضاء ـ المغرب	١٠٠
٣٠	عفاف يحيى عبد العزيز	القاهرة ـ مصر	١٠٠

أسئلة مسابقة العدد (١٩٣)

● **السؤال الأول :**

أبطل الإسلام عادة التبنّي التي كانت شائعة في الجاهلية عند العرب. اذكر آية من كتاب الله تعالى تدل على ذلك.

□ □ □

● **السؤال الثاني :**

حرَّم الله ـ سبحانه ـ الخمر لما فيه من أضرار بالغة على الإنسان، في دينه، وعقلة، وبدنه، وماله. اذكر حديثين شريفين في تحريم الخمر.

□ □ □

● **السؤال الثالث :**

أديب وصحفي عربي، شارك أباه في تحرير صحيفته « مصباح الشرق »، وله مقامات بعنوان « حديث عيسى بن هشام». فمن هو ـ باختصار ـ؟

□ □ □

● **السؤال الرابع :**

مـــاذا يعني المصطلح الخرائطي الجغرافي « خط الانطباق » ؟

□ □ □

● **السؤال الخامس :**

هناك العديد من الأمراض التي تصيب الإنسان والحيوان نسبت إلى مكتشفيها، مثل « مرض إديسون » ومرض برايت »، وغيرها. ماذا تعرف عن « مرض بروس » ؟

□ □ □

السَّهرَوَرْدِي قتلته الزندقة!

في العدد (١٨٢) طالعنا مقال للأستاذ **عبد الرزاق البصير** تحت عنوان «**الوهم يقتل فيلسوفًا**» ناقش فيه مسألة قتل «شهاب الدين السهروردي».

والغريب أن الأستاذ الكريم حينما تحدث عن سبب قتل «حكيم الإشراق» ــ كما يسمى ــ رده إلى الحسد فقال: «ومهما يكن من شئ فإن سعة اطلاع السهروردي وفصاحة لسانه كانا سببًا في إراقة دمه (. . . .) وقد رأى حاسدوه أن خير وسيلة للخلاص منه تكمن في اتهامه في عقيدته، فكتبوا محضرا في ذلك ورفعوه إلى صلاح الدين. . .» وهي نقطة سبق أن أشار إليها الصليبي سلامة موسى في كتابه «**حرية الفكر وأبطالها في التاريخ**» حيث قال: «ويجب ألا ننسى أن السهروردي قُتل بأمر صلاح الدين الأيوبي. . فقد كان رجلا كُرديًا غير مثقف، فاستطاع الفقهاء أن يؤثروا فيه، ويزينوا له قتل «السهروردي»»(١).

الإسلامي الصامد في وجه الصليبيين، فاستحق العقوبة التي صدرت في حقه، هذه العقوبة التي وصفها الكاتب بالجريمة، وكأنه يريد تأكيد ما ذهب إليه بعض المستشرقين من أمثال «هنري كوربان» ومن بعده سلامة موسى، كما أشرنا من قبل.

إن ما يسمى «**التصوف الفلسفي**»، والذي يدخل السهروردي في إطاره يرجع إلى أصول غير إسلامية (غنوصية، هرمسية، هندية، أفلاطونية) وبالتالي يعتبر خروجًا عن العقيدة الإسلامية الصافية، إضافة إلى كونه ينطوي على أفكار من قبيل «**الاتحاد والحلول**» تكفي لإدانة صاحبها وإهدار حقه، عملا بالحديث النبوي الشريف: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: . . . التارك لدينه المفارق للجماعة» (رواه البخاري ومسلم)، خصوصا وأن أصحاب هذا

الوَهمُ يقتلُ فيلسوفًا

بقلم: عبدالرزاق البصير

أتصور أني غير مخطئ إذا قلت إن أحق الناس بالإشفاق هم أولئك الذين يطغى الوهم عليهم حتى يغلب عقولهم، فتظل حياتهم بحور خيال تتقاذفهم أمواجه، وكثيرًا ما ترديهم في مهاوي الهلكة.

هؤلاء يتصفون بالذكاء

فأخذها السهروردي بيده اليمنى فارتاع خصمه التركي



عبد الرزاق البصير

والحقيقة أن السبب الرئيس لقتل هذا الفيلسوف هو زندقته التي أَلَّبتْ عليه المسلمين في فترة حرجة من تاريخ المجتمع الإسلامي، عاشها وهو يجاهد بصمود فلول الجيوش الصليبية الغازية، لم يتورع فيها عن بث أباطيله وأفكاره المنحرفة. فالسهروردي ـ كما قال الكاتب ـ كان يقول بالفلسفة الإشراقية، ويعتبر من أكثر المتصوفة تأثرًا بالفكر الفارسي القديم والأفلاطونية المُحدثة (٢) مما يدخل في إطار الفكر الغُنوصي. والغنوص (GNOSIS) يعني «المعرفة الذوقية» التي يتم من خلالها وبطريقة لا عقلية مباشرة الوصول إلى الحقيقة المطلقة التي صدر عنها الوجود، وأن الإنسان يجب عليه أن يتجرد من العالم المادي الذي تتنازعه قوى الخير والشر كي يصل إلى «الخلاص» ويتمكن من «الاتحاد» بمصدره الذي «فاض» عنه!

وتأثُّر السهروردي بهذا الفكر، كما تأثر به الحلاج وابن سبعين وابن عربي، واضحٌ في قوله الذي نقله الكاتب في مقاله: «لا بد أن أملك الأرض»! وهو تأثُّر تجاوز حدوده ـ إن كانت له حدود ـ إلى محاولة إحداث فتنة داخل المجتمع

التيار يدعون إلى تعطيل التكاليف الشرعية وإسقاط الأوامر والواجبات بدعوى الوصول إلى الحقيقة المطلقة و«الخلاص»، وهو ما يفسر ما نقله الكاتب نفسه عن شهاب الدين بقوله: «كان رث الهيئة لا يغسل له ثوبًا ولا جسمًا ولا يقص ظفرًا ولا شعرًا». وإذا كانت هذه هي العبادة ـ كما يرى ــ فيحق لنا أن نصف «بوب مارلي» ـ المطرب الأمريكي ـ بالناسك المتزهد لأنه لم يغتسل في حياته قط.

وفي الأخير أقول مع الإمام الشافعي: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

محمد بوراس
بني ملال ـ المغرب

(١) سلامة موسى: حرية الفكر وأبطالها في التاريخ. القاهرة، دار المستقبل، ١٩٧٨م، ص ١٣٣.
(٢) منصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفية. الرباط، منشورات عكاظ، ١٩٨٨م، ط ١، ص ٣٠٥.

عن السَّهْرَوَرْدِي «المقتول»

شيء جميل أن نجد من يهتم بالسابقين، وذكر مآثرهم، وما تركوا لنا من آثار، وأن تُحمد لنا سيرتهم، ولكن حينما تصطدم هذه النظرة مع ما وصل إلينا من الثقات في أحوال بعض أولئك فهذا له شأن آخر. من هذه الزاوية جاء الكاتب عبد الرزاق البصير في العدد (١٨٢) وذكر لنا جوانب من حياة السهروردي.

حينما قرأت هذه الأسطر شدَّ انتباهي إعجاب الكاتب بهذه الشخصية وتأسفه عليها، بل إنه (خرّج) بعض الروايات التي ذكرها على حسب ظنه. وليسمح لي الأخ الكاتب أن أذكر ملاحظتين هما:

أولا: قال: اختلفت الآراء حول عقيدته فمنهم من يقول مؤمن عميق ومنهم من يرتاب.

ثانيا: قال: وقد رأى حاسدوه أن خير وسيلة للخلاص منه تكمن في اتهامه في عقيدته.

أما النقطة الأولى: فحسب اطلاعي - وإن كان قاصرا - لا أعلم أحدا من أهل السنة والجماعة صحح عقيدة هذا الرجل، وإن كنا نجد في التراجم التي كتبها أهل السنّة بعض الحسنات لأولئك، فمثلا نجد السهروردي يقول عنه الذهبي وغيره: «كان أوحد في حكمة الأوائل بارعا في أصول الفقه، مفرط الذكاء، فصيحا لم يناظر أحدا إلا أربى عليه»، وقبل هذا قال عنه: «كان قليل الدين»، وهنا المحك، وهذا من العدل الذي عرف عنه أهل السنّة والجماعة في تقويمه، فهم من أعدل الناس في هذا الطريق.

إن براعته هذه وذكاءه الوقاد قد غرق في لجج ما ذكر عنه من آراء عقدية، ولا أظن أن الكاتب يخفى عليه أن السهروردي المُزَكّى من قبل العلماء هو أبو شهاب عمر بن محمد السهروردي المتوفى ٦٣٢هـ، إلا أنه يكون قد التبس عليه ما ذكره ابن أبي صبيغة حيث قال إن اسمه عمر.

لقد كان ابن تيمية - رحمه الله - عندما يذكره يقول: «السهروردي المقتول». قال العلماء: حتى لا يظن أنه شهيد تمييزًا له من السهروردي أبي النجيب المتوفى ٥٦٣هـ والسهروردي أبي حفص شهاب الدين المتوفى ٦٣٢هـ.

وعقيدة السهروردي يحيى بن حبش في النبوات اشتهرت عنه، فقد كان يقول إن النبوة تكتسب، ذكر ذلك من لا نشك في علمه من الأئمة المشهود لهم بالإمامة في الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن الفلاسفة: «وصار كلّ من هؤلاء يدعي النبوة والرسالة، أو يريد أن يفصح بذلك لولا السيف، كما فعل السهروردي المقتول، فإنه كان يقول: لا أموت حتى يقال: قم فأنذر»(١).

ويقول في كتاب منهاج السنّة: «وكذلك في جنس المبتدعة الخارجين عن الكتاب والسنّة من أهل التعبد والتأله والتصوف، منهم طوائف الغلاة يدعون الإلهية، ودعوى ما هو فوق النبوة، وإن كان متفلسفا يجوِّز وجود نبي بعد محمد كالسهروردي المقتول في الزندقة وابن سبعين وغيرهما، صاروا يطلبون النبوة»(٢).

ويذكر الذهبي مايلي: «قال الموفق يعيش النحوي: لما تكلموا فيه، قال له تلميذ إنك تقول النبوة مكتسبة فانزح بنا، قال حتى نأكل بطيخ حلب...»(٣).

قال ابن خلكان: «كان يتهم بالانحلال والتعطيل ويعتقد مذهب الأوائل، اشتهر ذلك عنه، وأفتى علماء حلب بقتله، وأشدهم الزين والمجد ابنا جهل»(٤).

وهنا نأتي للنقطة الثانية وهي اتهام العلماء الذين أفتوا بقتله. بماذا عقب الإمام الذهبي حينما ذكر هذه الواقعة؟ لم يزد أن قال: «أحسنوا وأصابوا». ثم قال: «كان أحمق طيّاشا منحلاً».

قد يكون لحظوظ النفس مدخلٌ في ذلك، ولكن يجب أن لا نلقي التهم هكذا جزافا. ويجب أن نتساءل: على ماذا استند أولئك العلماء المفتون؟ هل على الظن، أم على حقائق واضحة؟

نحن نعلم أن الإنسان مُدان بأفكاره، وأفكاره تمثل عقيدته، والله سبحانه عفا عن الناس ما لم يتحدثوا، وإذا كان هناك فعل أو قول أدينوا عليه، وهذا له أصل في شريعتنا. إذن من تلك القاعدة أين يضع أولئك العلماء قول السهروردي «إلى أن يقال لي قم فأنذر»؟!

إننا حين نتساءل: ما الذي افتقدناه من الرجل، لن نجد إلا الفلسفة الإشراقية، هذه الفلسفة ما قوتها، وما مكانتها؟! هل تصلح بديلا عن الدين، أو هل نحتاج إليها لنفهم هذا الدين؟!

وسؤال أخير ومهم: وما حال المنتمين إليها؟

إن الناظر في حال أولئك القوم يجد لهم آراء لا نجدها حتى عند اليهود والنصارى، فأي حصيلة تجنى من علم تضيع حسناته في غمرة سيئاته؟

هذا لا يعني أنني أمتهن من يشتغل في ذلك العلم، ولكن ضمن حدود وأُطر يجب أن يأخذها ذلك المتعلم في حسبانه من أنه لا يتجاوز بها حدود هذه الديانة. ثم هل الفكر الإسلامي لم ينقصه إلا أمثال السهروردي ليثري لنا هذا الفكر؟ إنه عندما جاء الإسلام نهض الفكر العربي على أساس الوحي (الكتاب والسنة) فهما الروح له، وتعينت قضية الكيف لا الكم.

إننا نقبل الفكرة الحسنة وإن كان قائلها سيئا والعكس بالعكس، والحكمة ضالة المؤمن. إذن فكرنا يتحرك من خلال مبادئ ترتكز على ثوابت تأبى أي مساس بالعقيدة.

وأخيرا، فإن الوهم هو الذي قتل السهروردي، إذ إنه رأى في نفسه تمييزا من النظراء والأتراب بمزيد من الفطنة والذكاء، فدفعه هذا الوهم إلى أن يقول بآراء عقدية لها مساس بأصل من أصول عقيدتنا.

وكم تمنيت لو ألمح الكاتب إلى بعض المزالق التي وقع فيها، ومنها عقيدته

في النبوات، لأننا نعلم أن من أصعب الأشياء الحكم على الأشياء، لأن الحكم فرع عن تصوره، والحكم يحتاج إلى العدل والإنصاف والموازين الشرعية التي ينطلق منها. وهل يكفي مجرد نظرة أو تصور جانب جيد ثم الثناء المطلق ؟ مجرد سؤال!

رحاب بنت عبد الله

الرياض

الهوامش :

(١) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٢ ط. جامعة الإمام محمد بن سعود.

(٢) منهاج السنة ٥/ ٣٣٤ ـ ط. دار الكتاب الإسلامي.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١١.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٢.

استدراكات على استدراكات

لقد اطلعت على العدد (١٨٣) فراقني بما حواه من موضوعات وما اشتمل عليه من فائدة ومن أخبار ثقافية مفيدة، فشكرا على هذه المأدبة الثقافية الفاخرة المغذية للأفكار والعقول.

وكثيرا ما عنّت لي ملاحظات حول بعض الكتابات في «الفيصل» ولكني لم أكلف نفسي عنت التعليق أو التعقيب عليها لأن « من غربل الناس نخلوه» وأترك ذلك رغم أن بعض تلك الأغلاط مطبعي تحسن الإشارة إليه.

استدراكات لغوية

في العدد ١٧٩ عنّت لي بعض الاستدراكات أجملها في الآتي :

١ - في مقال «تجربة العقاد مع الشعر» ص ٢٥ جاء قول الكاتب إن العقاد بعد خروجه من السجن ...ل أبياتًا منها :

...صحبي لا اختلاف عليها سيعهدني (كُلْ) كما كان يع...

...اللام من (كلْ) والصواب (كلٌّ) بالضمة المشدَّدة ...

وقد قرأت في العدد المذكور في الصفحة ١١٥ تحت عنوان (استدراكات لغوية) لأحد قرائكم الكرام فشكرت له هذا الصنيع لأننا في حاجة ملحة لأمثال هذه الاستدراكات. وإذا كنت أتفق معه في بعض تلك الاستدراكات لوجاهتها فإنني أختلف معه في بعضها الآخر، وقد تفضلت المجلة بالرد على بعضها.

وأود أن أشير إلى أن الإصلاح رقم (٣) يحتاج بدوره إلى إصلاح أو استدراك لأن صاحب الاستدراك قرأ البيت قراءة غير صحيحة هكذا :

(وأوحشتنـــــــا) في دارتي حين اغتربت عن البلـــــــد

فحاول تصحيحه على (مجزوء الكامل) هكذا :

(أوحشتنـــــــا) في دارتي حين اغتربت عن البلـــــــد

ولم يلاحظ الجمع في(أوحشتنا) والإفراد في(دارتي)، والصواب كما هو مصور فوق الاستدراك :

وَا وحشتَـــــــا في دارتي حين اغتربت عن البلـــــــد

بواو النُّدبة مثل واو الاستغاثة : وامعتصماه، أي (يا لها من وحشة) ويمكن أن يقول : (واوحشتي . . .).

وقد أتى استدراكه نتيجة تصحيف وقع فيه أثناء القراءة خطأ أو سهوا.

أما الاستدراك رقم (٦) الذي قام به قارئكم الكريم فقد ظهر له فيه باب الصواب دون أن يشعر بأنه قد وقع في خطأ آخر، فأصل عجز بيت الرافعي هكذا :

. . . . كابتسام الموت من فوق (الفَمِ)

ويستدرك فيقول : (وصواب الكلمة المقوسة (القمم) حتى لا يختل الوزن (بحر الرمل) وهكذا يصبح العجز في رأيه :

. . . . كابتسام الموت من فوق القِمَمْ

بسكون ميم الروي (للوزن).

وقد سها صاحب الاستدراك عن شيء مهم، وهو أن رَوِيَّ البيتين في الأصل مكسور ويدل على ذلك عجز البيت السابق، كما في الصورة فوق التصويب.

. . . . يَتَلَوَّى ظُلَمًا في ظُلَمِ

لذلك فإن الأصل صحيح كما نشر :

كابتسام الموت من فوق الفَمِ

أضف إلى ذلك أن الابتسام يتلاءم مع (الفم) ولا يتناسب مع (القمم) التي اقترحها المستدرك، وفي التشبيه غموض ولا يمكن أن يقع إصلاح البيت إلا بالاعتماد على أصلٍ أو حجة واضحة.

أما التعقيب أو الاستدراك رقم (٢) فأظن أنه صواب لأن الضمير في(أستطيعه أو أستطيبه) يعود على « الشعر» ولا يمكن أن يعود على «التنجيم» إلا إذا قال : أما الشعر الذي يحوجني إلى التنجيم فلا أستطيبه والتنجيم لا أستطيعه.

وقد خطرت لي نفس ملاحظات «الفيصل» أثناء قراءة الاستدراكات، لذلك شكرت لكم ردكم الموالي لها وأوافقكم على ما جاء فيه. أما العنوان الذي نشر مع الاستدراك فهو غير دقيق لأنها غير لغوية في معظمها.

هذا وأجدد شكري للمجلة التي فتحت هذا الباب، وأشكر الكاتب الكريم على اجتهاداته التي وفق في بعضها وجانبه التوفيق في بعضها الآخر، وسبحان من لا يسهو ولا ينسى.

د. نور الدين صمود

تونس

على موعد



خطر "البروزة"

الواقع الأدبي في أغلب دولنا العربية لا يخرج عن موقفين متناقضين: إما أن تكون مع أو ضد، ولا شيئ ثالث غير هذين الطرفين.

فالناقد الأدبي قد يكون مع «الشلة» وترتبط مصالحه بمصالحها، ومن هنا فهو يكيل المدح ويقيم المجد ويصف أعمال شلّته بالريادة، وبأنها أول من فعلت كذا كذا في بلده أو في العالم العربي، والشلة تتقبل منه هذه النبرة بارتياح، وتجازيه إحسانا بإحسان.

وقد يكون الناقد الأدبي ضد «الشلة» وتتعارض مصالحه مع مصالحها، فيتصيّد لها الأخطاء ويراها تقف ضد التقدم والحضارة، والشلة الأخرى تشتعل غيظا، وتتحين الفرصة لكي ترد الصاع صاعين.

نحن إذن أمام حقيقة واضحة وهي غياب الموضوعية التامة، وهي حقيقة تتخذ ظواهر عديدة في مجال الحقل الأدبي، ونحاول فيما يلي أن نرصد بعض هذه الظواهر.

الأعمدة الأدبية وصفحات الثقافة والفكر في أغلب الصحف والمجلات العربية، فقدت دورها في تعريف القارئ بالجديد، ولفت نظره إلى الأعمال الرائدة التي تضاف إلى رصيد حياتنا الأدبية، وأصبحت تنشر أخبار الأصدقاء، وهي أخبار بعيدة عن حقائق الأدب، ففلان سافر، وثان قابل، وثالث تحدث، ورابع صرّح، وغير ذلك مما يدخل تحت باب «خبار الناس» أكثر مما يعبر عن حركة أدبية نابضة.

وأصبح الأديب لا يقاس بمقدار ما أنتج من أعمال، ولكن بكمّ الأخبار التي حوله، وقد تكون بعض هذه الأخبار مختلقة ومن باب سد الفراغ، وتكون النتيجة أيضا تضليلا للقارئ. وكثيرا ما أسأل بعض طلاب أقسام الأدب في جامعاتنا عن أهم الأدباء وتأتي الإجابة ترديدا لتلك الأخبار، فأهم الأدباء عندهم هو من تتوالى أخباره في الصحافة، وأهم أعمالهم تأتي ترديدا لعناوين كتب وروايات، أو ترديدا لأخبار عن سفر أو ترجمة أو مؤتمرات، وغير ذلك مما يدخل في باب حديث المدينة.

هذا تضليل أول يبتعد بالقارئ عن حقيقة الأعمال الأدبية.

أما التضليل الثاني فيأتي من داخل بهو الجامعة، فمن المعروف أن الجامعات في العالم المتحضر تقود الحركة الثقافية وتقول الكلمة الموضوعية التي يبحث عنها الجميع، ويصغي لها الجميع.

ولكن أستاذ الجامعة عندنا يدرك بذكائه العملي، أن حياتنا الثقافية لا تحتاج إلى كلمة حق ولا تبحث عن متخصص. ولو تمسك أستاذ الجامعة بهذه الموازين لأصبح «دمه ثقيل» وعاش في عزلة، وما أسهلَ - في غيبة التقاليد الثقافية — أن يلقي بكلامه في سلة المهملات دون تبكيت من ضمير أو إحساس بالمسؤولية.

ومن هنا يجد أستاذ الجامعة نفسه - إلا قليلاً — مضطرا لأن (يمشّي) حاله، ويفتّح عينه، ويساير الشلة، فيرضيها ويذهب به الأمر إلى تقنين سلوكها ووضع ترهاتها في مظهر علمي من مقدمات ونتائج وشروح وهوامش.

وهذا تضليل ثانٍ يضيف إلى التضليل الأول مظهر الأكاديمية وثوب العلم.

وتأتي مقدمات الكتب فتعبر عن غياب الموضوعية بصورة أشد.

فالأديب يختار الناقد الذي يقدم كتبه ويكيل له عبارات المدح، ويصنف أعماله تحت باب أول من فعل في العالم العربي، ويعرف الناقد سلفا هذا الدور فيخلص له، ولا يتحدث عن الأدب ولا يقوّمه، ولكن يتحدث عن أخبار الأديب ويكتشف دوره، وإذا ما خرج عن هذا الدور المرسوم فإنه يقابل بالصد والرفض. جربت كثيرا أن كتبت مقدمات موضوعية تقوّم العمل الأدبي، وخاصة إذا كان العمل الأول لصاحبه، وكلّي أمل أن أضع الصورة بأمانة أمام الأديب وألا أخدعه عن نفسه، حتى يمكن أن يتطور من مرحلة إلى مرحلة. وكانت النتيجة أن العمل يصدر دون هذه المقدمة، أو حتى دون كلمة اعتذار، فيضيع جهدي الذي بذلته بإخلاص، وأفقد صديقا أحرص على صداقته.

أما أغلب الندوات والمناقشات الجماعية، فقد غابت عنها الموضوعية تماما، وافتقدت الحركة التي تقوم على الرأي وما يقابله.

نحن إذن إزاء مجموعة من الظواهر تضلل القارئ عن العمل الأدبي، وقد تقنن هذا التضليل، وقد تضفي عليه مسحة جماعية، وتكون النتيجة في النهاية أن تتوارى الأعمال الأدبية الجادة في صمت مُمِضّ.

إن هذه الظواهر أشد خطرا إذا ما تسربت وتغلغلت إلى حياتنا الثقافية ومؤسساتنا الجامعية، لأن الفكر يمثل قوة المقاومة التي تعدل «المايل» وتبشر بالأمل، فإذا ما تسلل الخلل إلى تلك القوة، فهنا مكمن الخطر.

د. عبدالحميد إبراهيم